
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الرابع
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ
(الجزء الرابع)
للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ـ٧٧٤٠٥٢٣ـ ٠٢٥١ ٧٧٤٠ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان، تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

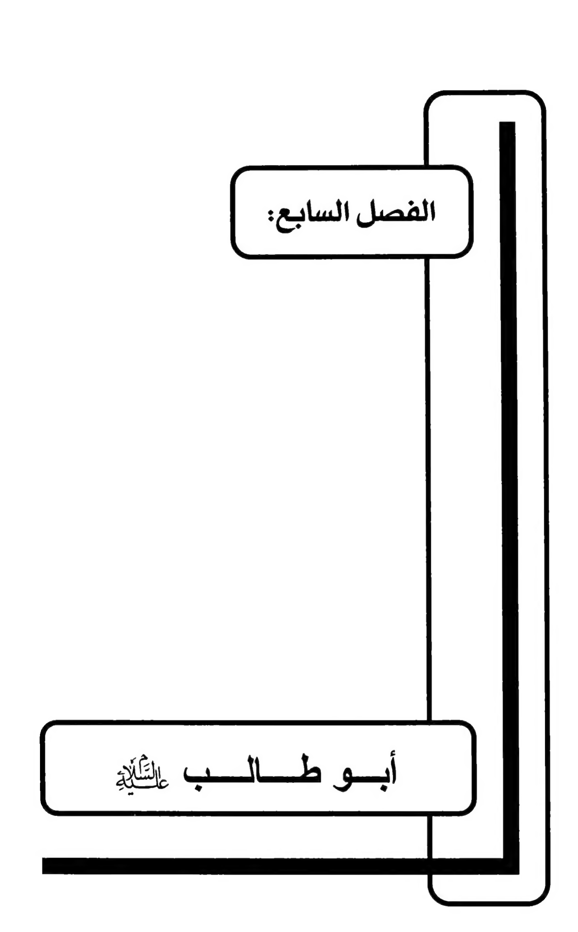
http://www.hadith.net

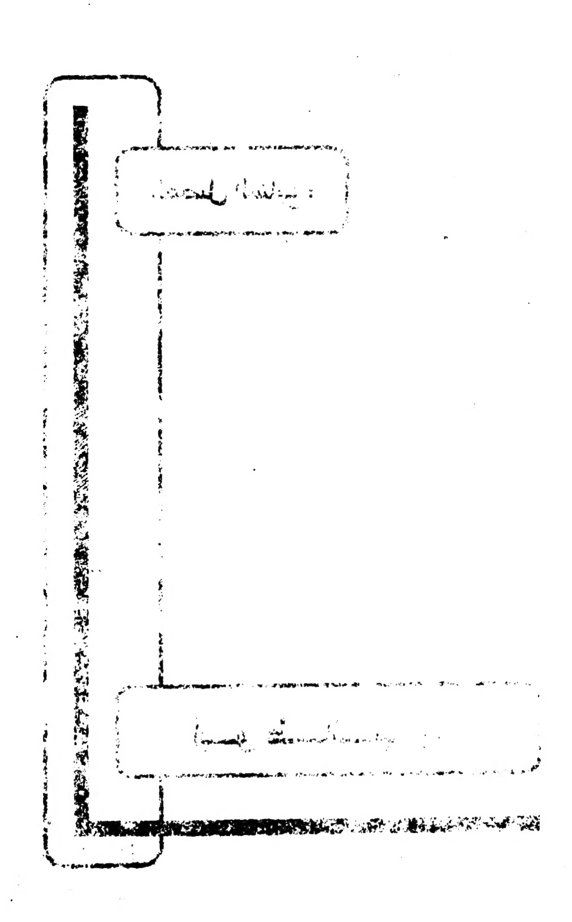
hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 175 - 8




الفصل السابع:
أبو طالب عليه السلام



البحث الأول

أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش

إيمان أبي طالب عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام:

لا بد لنا هنا من الحديث بإيجاز عن موضوع ما زال بين أخذ ورد بين المسلمين ألا وهو إيمان أبي طالب «رحمه الله»، فمن مؤيد، ومن منكر.

فأما أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، فإنهم مجمعون على إيمانه وإسلامه «عليه السلام»[1]، بل في بعض الأحاديث عنهم «عليهم السلام»: أنه من الأوصياء[2]، وأن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، والأئمة «عليهم السلام»، والسيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»[3].

---

(١) روضة الواعظين ص١٣٨، وأوائل المقالات ص١٣ والطرائف لابن طاووس ص٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٦٥، والبحار ج٣٥ ص١٣٨ والغدير ج٧ ص٣٨٤ عنهم، وعن: التبيان ج٢ ص٣٩٨، وكتاب الحجة لابن معد ص١٣، ومجمع البيان ج٢ ص٢٨٧.

(٢) الغدير ج٧ ص٣٨٩.

(٣) الغدير ج٧ ص٣٨٧ وكنز الفوائد للكراجكي ص٨٠ وأمالي الطوسي ص٣٠٥ و ٧٠٢ ط مؤسسة البعثة والإحتجاج (ط مطبعة النعمان) ج١ ص٣٤١ والبحار =

أهل البيت عليهم السلام أدرى:

والأحاديث الدالة على إيمانه، والواردة عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» لا تنحصر بما ذكرناه في هذه الدراسة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة[1].

وقد ذكر العلامة المجلسي في كتابه العظيم «بحار الأنوار» والطبسي في كتاب «منية الراغب» وكذلك الخنيزي في كتاب «أبو طالب مؤمن قريش» وصاحب كتاب: «مواهب الواهب» وغيرهم الشيء الكثير جداً مما يدل على إيمانه صلوات الله وسلامه عليه..

ونحن سوف نقتصر في هذا المعرض على أقل القليل من ذلك ونحيل من أراد التوسع إلى كتاب البحار الآنف الذكر، وإلى غيره..

غير أننا نقول هنا: إن هذه الأخبار هي من الكثرة والصراحة بحيث تعطي الانطباع الحاسم عما لأبي طالب من شأن عظيم، ومقام كريم عند الله تعالى.

وواضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه من كل أحد.

يقول ابن الأثير: «وما أسلم من أعمام النبي «صلى الله عليه وآله» غير

= ج٣٥ ص٦٩ و ١١٠ وبشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٣١٢ وكشف الغمة للإربلي (ط دار الأضواء) ج٢ ص٤٢ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص١٧٤.

(١) ومن هذه الكتب كتاب: منية الراغب في إيمان أبي طالب للشيخ الطبسي ومواهب الراهب في إيمان أبي طالب، وغير ذلك.

حمزة والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت»[١].

تآليف في إيمان أبي طالب عليه السلام:

وعدا عن ذلك، فما أكثر الأدلة الدالة على إيمانه، وقد أُلف في إثبات إيمانه الكثير من الكتب من السنة والشيعة على حد سواء.

وقد أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كتاباً، ومنها كتاب: «أبو طالب مؤمن قريش» للأستاذ عبد الله الخنيزي، الذي كاد أن يدفع مؤلفه حياته ثمناً له، حين حاول الوهابيون اتخاذ ذلك ذريعة للتخلص منه، فتداركه الله برحمته، وتخلص من شرهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبثوثة في ثنايا الكتب والموسوعات، ونخص بالذكر هنا ما جاء في كتاب الغدير للعلامة الأميني قدس سره..[٢].

وقد نقل العلامة الأميني عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا إلى ذلك أيضاً، وكتبوا الكتب والبحوث في إثبات ذلك، كالبرزنجي في أسنى المطالب[٣] والأجهوري، والإسكافي، وأبي القاسم البلخي، وابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الأخبار، والتلمساني في حاشية الشفاء، والشعراني، وسبط ابن الجوزي، والقرطبي، والسبكي، وأبي طاهر، والسيوطي، وغيرهم.

بل لقد حكم عدد منهم ـ كابن وحشي والأجهوري، والتلمساني ـ بأن

---

(١) البحار ج٣٥ ص١٣٩ والغدير ج٧ ص٣٦٩.

(٢) الغدير ج٧ وج٨.

(٣) الغدير ج٧ ص٦ و ١٠.

من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر[١].

من أدلة إيمان أبي طالب عليه السلام:

ونحن نذكر فيما يلي طرفاً من الأدلة على إيمان أبي طالب، فنقول:

أهل البيت عليهم السلام أعرف:

وقد تقدم بعض ما روي عن الأئمة «عليهم السلام»، والنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» مما يدل على إيمانه، وقد قلنا:

إن أهل البيت أدرى بما فيه، وأعرف بأمر كهذا من كل أحد.

التضحيات والمواقف:

ويدل على ذلك أيضاً: ما تقدم من مناصرته للنبي «صلى الله عليه وآله»، وتحمله المشاق والصعاب العظيمة، وتضحيته بمكانته في قومه، وحتى بولده، وتوطينه نفسه على خوض حرب طاحنة تأكل الأخضر واليابس في سبيل هذا الدين..

ولو كان كافراً؛ فلماذا يتحمل كل ذلك؟!

ولماذا لم نسمع عنه ولو كلمة عتاب أو تذمر مما جرَّه عليه النبي محمد «صلى الله عليه وآله»؟!.

واحتمال: أن يكون قد طمع بمقام دنيوي أعظم.

يرده: أن الطامع إنما يسعى للحفاظ على حياته لينال ما طمع به، أما أبو طالب فكان على استعداد لأن يقتل هو وجميع أولاده، وعشيرته في سبيل هذا الدين.

---

(١) راجع: الغدير ج٧ ص٣٨٢ و ٣٨٣ وغير ذلك.

تشنيع الأعداء:

وقد استدل سبط ابن الجوزي على إيمانه بأنه لو كان أبو الإمام علي «عليه السلام» كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه، والزبيريون وأعوانهم، وسائر أعدائه «عليه السلام»، مع أنه «عليه السلام» كان يذمهم، ويزري عليهم بكفر الآباء والأمهات، ورذالة النسب[1].

أشعاره الصريحة بالإيمان:

أما تصريحاته وأقواله الكثيرة جداً؛ فإنها كلها ناطقة بإيمانه وإسلامه.

ويمكننا أن ندَّعي: أن هذه التصريحات قد جاءت بعد قضية إسلام حمزة، أو بعد الهجرة إلى الحبشة.

أما قبل ذلك فكان «عليه السلام» يعمل بالتقية أمام قريش على الخصوص.

ويكفي أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، من حيث مجموعها[2].

فمن الشواهد على توحيده، قوله:

مليك الناس ليس له شريك ... هو الوهاب، والمبدي المعيد

ومن تحت السماء له بحق ... ومن فوق السماء له عبيد

---

(١) راجع: أبوطالب مؤمن قريش (ط سنة ١٣٩٨ هـ) ص٢٧٢ و ٢٧٣ عن تذكرة الخواص.

(٢) شرح النهج ج١٤ ص٧٨ والبحار ج٣٥ ص١٦٥.

ومن الشواهد على إيمانه بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نذكر:

١ـ ألم تعلموا: أنا وجدنا محمداً ... نبياً كموسى خط في أول الكتب

٢ـ نبي أتاه الوحي من عند ربه ... ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

٣ـ يا شاهد الله علي فاشهد ... إني على دين النبي أحمد

٤ـ أنت الرسول رسول الله نعلمه ... عليك نزل من ذي العزة الكتب

٥ـ أنت النبي محمد ... قرم أغر مسوَّد

٦ـ أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى أو كذي النون

٧ـ وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيم

٨ـ لقد أكرم الله النبي محمداً ... فأكرم خلق الله في الناس أحمد

٩ـ وخير بني هاشم أحمد ... رسول الإله على فترة[1]

١٠ـ والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب

١١ـ وقال «رحمه الله» يخاطب ملك الحبشة، ويدعوه إلى الإسلام:

أتعلم ملك الحبش أن محمداً نبياً ... كموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به ... فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وإنكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم

---

(١) وقيل: إن قائل هذا البيت هوطالب بن أبي طالب، راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٧٨، إلا أن يقال: إنه قاله على سبيل التمثل بشعر أبيه (رحمه الله).

١٢ـ وقال مخاطباً أخاه حمزة «رحمه الله»:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه ... بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرني أن قلت: إنك مؤمن ... فكن لرسول الله في الله ناصرا

وباد قريشاً في الذي قد أتيته ... جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحرا

١٣ ـ نصرت الرسول رسول المليك ... ببيض تلالأ كلمع البروق

أذب وأحمي رسول الإله ... حماية حام عليه شفيق

١٤ ـ لقد علموا: أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل

١٥ـ أقيم على نصر النبي محمد ... أقاتل عنه بالقنا والقنابل

١٦ـ أنت ابن آمنة النبي محمد ... عندي بمثل منازل الأولاد

١٧ـ ألا إن أحمد قد جاءهم ... بحق ولم يأتهم بالكذب

١٨ـ أوصي بنصر نبي الخير مشهده ... علياً ابني وشيخ القوم عباسا

١٩ـ ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد من ... خير أديان البرية دينا

وأشعار أبي طالب «عليه السلام» الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل، ويقال في هذا الموضوع.

مدائح أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله:

قال المعتزلي: «قلت: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق «رحمه الله»

يقول: لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش، ورئيسها، وذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمداً وهو شاب قد ربي في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجارٍ مجرى أولاده بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً ... على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوي إليه هاشم إن هاشماً ... عرانين كعب آخر بعد أول

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابى من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء.

فإذا تصورت: أنه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وأن أمره كان عظيماً»[1].

كما أن قصيدته اللامية تلك التي يقول فيها:

وأبيض يستسقى.. الخ.. ......

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٣ وماذا في التاريخ ج٣ ص١٩٦و ١٩٧ عنه.

وهي طويلة، وكان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم[١]، فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، وقد ذكرها ابن هشام وابن كثير، وغيرهما.

وهي ظاهرة الدلالة على عظمة الرسول «صلى الله عليه وآله» في نفس أبي طالب «عليه السلام»، وهي عظمة أوجبت خضوع قلبه له «صلى الله عليه وآله»، وتعامله معه تعامل التابع، المؤمن المصدق، والمسرور بهذا الإيمان، والمبتهج بذلك التصديق، والملتذ بذلك الانقياد.

النار محرمة على أبي طالب عليه السلام:

ومما يدل على إيمانه ما روي عنه «صلى الله عليه وآله»: أن الله عز وجل قال له على لسان جبرائيل: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك.

أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه، يعني أبا طالب «عليه السلام»، وفاطمة بنت أسد، وبمعناه غيره مع اختلاف يسير[٢].

النبي صلى الله عليه وآله يحب عقيلاً حبين:

ومما يدل دلالة واضحة على إيمانه: حب النبي «صلى الله عليه وآله» إياه، حتى لقد روي عن ابن عباس؛ قال: قال علي «عليه السلام» للنبي

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٩٦.

(٢) أصول الكافي ج١ ص٣٧١ والبحار ج٣٥ ص١٠٩ والتعظيم والمنة للسيوطي ص٢٧ وراجع: روضة الواعظين ص١٣٩ وشرح النهج ج١٤ ص٦٧ والغدير ج٧ ص٣٧٨ عنهم، وعن: كتاب الحجة لابن معد ص٨، وتفسير أبي الفتوح ج٤ ص٢١٠.

«صلى الله عليه وآله»: إنك لتحب عقيلاً.

قال: إي والله إني لأحبه حبين، حباً له، وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك.. الخ..[١].

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يحب أعداء الله سبحانه، ولا يحب إلا من يحبه الله.

كان على دين الله:

وكان الإمام علي «عليه السلام» يعجبه أن يروى شعر أبي طالب «عليه السلام»، وأن يدوَّن، وقال: تعلموه، وعلموه أولادكم، فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير[٢].

المسلم المؤمن:

وعن أبي بصير عن الإمام الباقر «عليه السلام»، قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً[٣].

---

(١) البحار ج٢٢ ص٢٨٨ وج٤٤ ص٢٨٨ والعوالم للبحراني ص٣٤٩ ومعجم رجال الحديث للخوئي ج١٩ ص١٦٦ عن أمالي الصدوق وقاموس الرجال ج٦ ص٣٢٢ عن أمالي الصدوق أيضاً.

(٢) راجع: البحار ج٣٥ ص١١٥ والغدير ج٧ ص٣٩٤ والكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج١ ص١٠٩.

(٣) البحار ج٣٥ ص١١٦ وأبو طالب حامي الرسول «صلى الله عليه وآله» لنجم الدين العسكري ص١٩١ والغدير ج٧ ص٣٩٠.

خلاصة جامعة:

وبعد كل ما تقدم نقول: إن إسلام أي شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور أربعة:

١ ـ من مواقفه العملية، ومعلوم أن مواقف أبي طالب «عليه السلام»، قد بلغت الغاية التي ما بعدها غاية في الوضوح والدلالة على إخلاصه وتفانيه في الدفاع عن هذا الدين.

٢ ـ من إقراراته اللسانية بالشهادتين، وقد تقدم قدر كبير من ذلك في شعره وفي غيره في المناسبات المختلفة.

٣ ـ من موقف نبي الإسلام ورائد الحق الذي لا ينطق عن الهوى، والموقف الرضي هذا أيضاً ثابت منه «صلى الله عليه وآله» تجاه أبي طالب «عليه السلام» على أكمل وجه.

٤ ـ من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، وعن حس، كأهل بيته، ومن يعيشون معه.

وقد قلنا: إنهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يخدعوا العامة بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا: «إنه لم يكن منقاداً»!![1].

كل ذلك رجماً بالغيب، وافتراء على الحق والحقيقة، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيرة بن شعبة وأمثاله من أعداء آل أبي طالب «عليه السلام»،

---

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٤ و ٤٧، والإصابة ج٤ ص١١٦ و ١١٩.

كما سنشير إليه حين ذكر أدلتهم الواهية إن شاء الله تعالى.

رواياتهم تدل أيضاً على إيمانه:

ومن أجل أن نوفي أبا طالب «عليه السلام» بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه من الروايات التي رويت في مصادر غير الشيعة عموماً ونترك سائره، وهو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، نجملها في العناوين التالية:

النبي ﷺ يرجو الخير لأبي طالب عليه السلام:

قال العياض: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربي[1].

أبو بكر فرح بإسلام أبي طالب عليه السلام:

جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقوده، وهو شيخ أعمى، يوم فتح مكة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟!

قال: أردت أن يؤجره الله، لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك الخ[2].

---

(١) الأذكياء ص١٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٨، وطبقات ابن سعد (ط ليدن) ج١ قسم١ ص٧٩، والبحار ج٣٥ ص١٥١ و ١٠٩.

(٢) مجمع الزوائد ج٦ ص١٧٤ عن الطبراني والبزار، وحياة الصحابة ج٢ ص٣٤٤ عن المجمع، والإصابة ج٤ ص١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٩.

والعلامة الأميني في الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول «صلى الله عليه وآله» قد قال لأبي بكر: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه.

ونحن نوافقه على ذلك أيضاً، فإن الشيوخ الذين أسلموا على يديه «صلى الله عليه وآله» كثيرون، وكان إسلام كثير منهم أصح من إسلام أبي قحافة.

وربما تكون هذه العبارة زيادة من بعض المتزلفين، كما عودونا في أمثال هذه المناسبات.

التشهد قبل الموت:

قال المعتزلي: «روي بأسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[1].

وتقدم في شعره تصريحات كثيرة بذلك أيضاً.

استغفار النبي صلى الله عليه وآله له:

وفي المدينة حينما استسقى النبي «صلى الله عليه وآله» لأهلها، فجاءهم الغيث، ذكر «صلى الله عليه وآله» أبا طالب «عليه السلام»، وقال «صلى الله

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٧١، وراجع: الغدير ج٧ ص٣٦٩ عن البداية والنهاية ج٣ ص١٢٣، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨٧ والإصابة ج٤ ص١١٦، وعيون الأثر ج١ ص١٣١، والمواهب اللدنية ج١٠ ص٧١ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٧٢ والسيرة النبوية لدحلان بهامشها ج١ ص٨٩، وأسنى المطالب ص٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٢٠ وكشف الغمة للشعراني ج٢ ص١٤٤.

عليه وآله»:

لله در أبي طالب، لو كان حياً لقرت عينه، من ينشدنا قوله.. فأنشده الإمام علي «عليه السلام» من قصيدته أبياتاً فيها قوله:

وأبيض يستسقى الغمـــام بوجهــه ثمــال اليتـامى عصمة لــلأرامــل

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يستغفر لأبي طالب «عليه السلام» على المنبر(١).

تشييع جنازته ومراسم دفنه:

ولما مات أبو طالب «عليه السلام» تبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» جنازته، مع أنهم يروون أن ثمة نهياً عن المشي في جنازة المشرك.

كما أنهم يروون أنه «صلى الله عليه وآله» أمر الإمام علياً «عليه السلام» بأن يغسله ويكفنه ويواريه(٢).

---

(١) راجع: عيون الأنباء ص٧٠٥ وشيخ الأبطح ص٥٥ و ٥٦ عن شرح النهج للمعتزلي ج٣ ص٣١٦.

(٢) راجع في كل ذلك: تذكرة الخواص ص٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٨١، والسيرة الحلبية ج١ ص١٤٧ والمصنف ج٦ ص٣٨، والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٨٧، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٥، وطبقات ابن سعدج١ ص٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب ج٣ ص١٢٦، وج١٣ ص١٩٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص١٢٥، والطرائف لابن طاووس ص٣٠٥ عن الحنبلي في نهاية الطلب والبحار ج٣٥ ص١٥١ والتعظيم المنة ص٧ ولسان الميزان ج١ ص٤١، والإصابة ج٤ ص١١٦، والغدير ج٧ ص٣٧٢ و ٣٧٤ و ٣٧٥ عمن ذكر، وعن شرح شواهد المغني للسيوطي ص١٣٦، وأعلام النبوة للماوردي ص٧٧، وبدايع الصنايع =

وحين التشييع اعترض النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» نعشه، وقال برقة وحزن وكآبة: وصلت رحماً، وجزيت خيراً يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً[1].

لماذا لم يأمر بالصلاة عليه؟:

وإنما لم يأمر علياً «عليه السلام» بالصلاة عليه، لأن صلاة الجنازة لم تكن فرضت بعد.

ولأجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» حينما توفيت، مع أنها سيدة نساء العالمين.

وقد فصلت ذلك: الرواية التي رواها علي بن ميثم، عن أبيه عن جده: أنه سمع علياً «عليه السلام» يقول: تبع أبو طالب عبد المطلب في كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، فقال: اذهب فواره، وانفذ لما أمرك به.

فغسلته، وكفنته، وحملته إلى الحجون، ونبشت قبر عبد المطلب، فرفعت الصفيح عن لحده، فإذا هو موجه إلى القبلة، فحمدت الله تعالى على ذلك،

= ج١ ص٢٨٣، وعمدة القاري ج٣ ص٤٣٥، وأسنى المطالب ص١٥ و ٢١ و ٣٥ وطلبة الطالب ص٤٣، ودلائل النبوة للبيهقي والبرزنجي، وابن خزيمة، وأبي داود، وابن عساكر.

(١) راجع: البحار ج٣٥ ص١٢٥و١٦٣، وراجع شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٧٦ والإصابة (ط مصر سنة ١٣٢٥ هـ) ج٧ ص١١٣ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج٢ ص٥٥٧ والغدير ج٧ ص٣٨٦ والدرجات الرفيعة لابن معصوم ص٦٢.

ووجهت الشيخ، وأطبقت الصفيح عليهما، فأنا وصي الأوصياء وورثت خير الأنبياء.

• قال ميثم: والله ما عَبَدَ علي، ولا عَبَدَ أحد من آبائه غير الله تعالى، إلى أن توفاهم الله تعالى[١].

رثاء علي عليه السلام لأبيه:

وقد رثاه ولده الإمام علي «عليه السلام» حينما توفي بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ	فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه	فقد كنت للطهر من خير عم[٢]

ولا أبو سفيان كأبي طالب عليه السلام:

وكتب أمير المؤمنين «عليه السلام» رسالة مطولة لمعاوية جاء فيها:

«ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق»[٣].

---

(١) سفينة البحار ج٥ ص٣٢١.

(٢) تذكرة الخواص ص٩.

(٣) صفين لنصر بن مزاحم ص٤٧١ والفتوح لابن أعثم ج٣ ص٢٦٠، ونهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج٣ ص١٨ الكتاب رقم ١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١١٧ والإمامة والسياسة ج١ ص١١٨، والغدير ج٣ ص٢٥٤ عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري باب ٦٦، وعن مروج الذهب ج٢ ص٦٢. وراجع أيضاً: مناقب الخوارزمي الحنفي ص١٨٠.

فإذا كان أبو طالب «عليه السلام» كافراً وأبو سفيان مسلماً، فكيف يفضل الكافر على المسلم، ثم لا يرد عليه ذلك معاوية بن أبي سفيان؟.

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً؛ فإن أبا سفيان هو الذي قال: «**إنه لا يدري ما جنة ولا نار**» كما ذكرناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم في أواخر غزوة أحد[١].

ويلاحظ هنا أيضاً: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يشير في كلامه الآنف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاوية، ولهذا البحث مجال آخر.

أبو طالب عليه السلام الداعية إلى الإسلام:

كما أن أبا طالب «عليه السلام» الذي يدعو ملك الحبشة إلى الإسلام، هو الذي دعا ولده جعفر إلى ذلك، وأمره بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة[٢].

وهو أيضاً الذي دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الإسلام[٣].

وأمر حمزة بالثبات على هذا الدين، وأظهر سروره بإسلامه ومدحه على ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة لولده أمير المؤمنين «عليه السلام».

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٧ ص٢٨٤.

(٢) راجع: الأوائل لأبي هلال العسكري ج١ ص١٥٤، وروضة الواعظين ص١٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٦٩ والسيرة الحلبية ج١ ص٢٦٩ وأسنى المطالب ص١٧ والإصابة ج٤ ص١١٦ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٧ والغدير ج٧ ص٣٥٧.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٧٢.

الاعتراف بممارسة التقية:

وقد صرح أبو طالب «عليه السلام» في وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقية في شأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قريش، وأن ما جاء به الرسول «صلى الله عليه وآله» قد قبله الجنان وأنكره اللسان؛ مخافة الشنآن، وأوصى قريشاً بقبول دعوة الرسول، ومتابعته على أمره، ففي ذلك الرشاد والسعادة[1].

موقف النبي ﷺ من أبي طالب عليه السلام:

ثم هناك ترحم النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» عليه، واستغفاره له باستمرار، وجزعه عليه عند موته[2].

ولا يصح الترحم إلا على المسلم، ولأجل ذلك قال «صلى الله عليه وآله» لسفانة بنت حاتم الطائي: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه[3].

---

(١) الروض الأنف ج٢ ص١٧١ وثمرات الأوراق ص٩٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٠١ و ٣٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٥٢ والبحار ج٣٥ ص١٠٧ والغدير ج٧ ص٣٦٦ عن مصادر أخرى.

(٢) تذكرة الخواص ص٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٥ وكنز العمال ج٣ ص٦٦٤ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١١ ص٣٥٩ وج٦٩ ص٢٠٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٣٢ وسبل الهدى والرشاد للشامي ج٦ ص٣٧٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٤٠٠.

أنا على دين أبي طالب عليه السلام:

وحمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه(١).

شفاعة النبي صلى الله عليه وآله له:

وورد عنه «صلى الله عليه وآله» **أيضاً قوله**: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي، وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية(٢).

فإن الشفاعة لا تحل لمشرك، كما سيأتي.

إقراره على زواجه بمسلمة:

وسئل الإمام السجاد «عليه السلام» عن إيمان أبي طالب «عليه السلام»، فقال: واعجباً، إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات(٣).

---

(١) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج٥ ص٦٧.

(٢) ذخائر العقبى ص٧ عن تمام الرازي في فوائده، والدرج المنيفة للسيوطي ص٨ ومسالك الحنفا ص١٤ عن أبي نعيم وغيره وذكر أن الحاكم صححه، وتفسير القمي ج١ ص٣٨٠ وتفسير البرهان ج٢ ص٣٥٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٢٣٢.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٨، والغدير ج٧ ص٣٨١ و ٣٨٩ عنه وعن: كتاب الحجة ص٢٤، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين، وادَّعي تواتر هذا الحديث عندنا.

ونزول آية النهي عن الإمساك بعصم الكوافر في المدينة لا يوجب بطلان هذه الرواية، لإمكان أن يكون النهي عن ذلك نهياً قولياً على لسانه «صلى الله عليه وآله»، قبل نزول القرآن.

وعدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك.

من لم يقر بإيمان أبي طالب عليه السلام:

وأخيراً، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام» عن إسلام أبي طالب «عليه السلام»، فإنه قد شك في ذلك، فكتب «عليه السلام» إليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بعد ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وبعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[٢].

دفاع النبي ﷺ عن أبي طالب عليه السلام:

وسيأتي في غزوة بدر: أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم يقبل من شهيد بدر عبيدة بن الحارث أن يعرض بعمه أبي طالب «عليه السلام»، ولو بمثل أن يقول: إني أولى بما قال منه.

---

(١) الآية ١١٥ من سورة النساء.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٨ والغدير ج٧ ص٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكي ص٨٠، وكتاب الحجة لابن معد ص١٦، والدرجات الرفيعة والبحار وضياء العالمين.

بعد قتل الفرسان الثلاثة:

وفي بدر العظمى، وبعد قتل عتبة وشيبة والوليد، وقطع رجل عبيدة بن الحارث، حمل حمزة والإمام علي «عليهما السلام» عبيدة بن الحارث من المعركة، وأتيا به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وألقياه بين يديه، وإن مخ ساقه ليسيل، فاستعبر، وقال: يا رسول الله، ألست شهيداً؟!

قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي (مما يشير إلى أنه لسوف تأتي قافلة من الشهداء من أهل بيته «صلى الله عليه وآله»، وهكذا كان).

فقال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامي تعني؟

قال: أبو طالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يُبْزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال «صلى الله عليه وآله»: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!.

قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟

قال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك[1].

---

(١) راجع: تفسير القمي ج١ ص٢٦٥، والبحار ج١٩ ص٢٥٥، وفي شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٨٠: أن رسول الله استغفر له ولأبي طالب يومئذ. والغدير ج٧ ص٣١٦.

وفي نسب قريش لمصعب ص٩٤ : أن عبيدة قال: «يا رسول الله ليت أبا طالب حياً =

وبلغ عبيدة مع النبي «صلى الله عليه وآله» الصفراء، فمات، فدفن بها..

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير منها.

قالوا: ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[١].

وفي البخاري: أن أبا ذر كان يقسم: أنها نزلت فيهم[٢].

ونزل في علي، وحمزة، وعبيدة أيضاً قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[٣].

= حتى يرى مصداق قوله إلخ».

وربما يقال: إن هذا هو الأنسب بأدب عبيدة وإخلاصه، ولكن لا، فإن قوله الآنف لا يضر في أدبه ولا في إخلاصه، حيث يرى نفسه قد ضحى بنفسه في سبيل الدين، فلا مانع من أن يقول ذلك.

(١) الآية ١٩ من سورة الحج.

(٢) البخاري (ط الميمنية) ج٣ ص٤، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج٣ ص١١٨ عن مسلم، من دون قسم أبي ذر، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج٢ ص٣٨٦، وصححه هو والذهبي في تلخيصه، والغدير ج٧ ص٢٠٢ عن: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢١٢، وتفسير ابن جزي ج٣ ص٣٨، وتفسير الخازن ج٣ ص٦٩٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٢٥ و ٢٦، وصحيح مسلم ج٢ ص٥٥٠، وبهذا قال ابن عباس، وابن خثيم، وقيس بن عباد، والثوري، والأعمش، وسعيد بن جبير، وعطاء.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب، الصواعق المحرقة ص٨٠.

وقيل: نزلت في علي وحده[1].

وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام»[2] فراجع.

غضب النبي صلى الله عليه وآله لأبي طالب عليه السلام:

ونقول:

إنه إذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله» يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو من التعريض المهذب، والمحدود، فماذا سيكون موقفه ممن يرمي أبا طالب «عليه السلام» بالشرك والكفر، ويعتبره مستحقاً للعذاب الأليم في نار الله المؤصدة؟! وفي ضحضاح من نار يغلي منه دماغه؟!

فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام، الذي لا سبب له إلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!

وما لأحد عنده من نعمة تجزى:

ثم إننا نجد النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة»[3].

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد رد هدية حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركاً، قال عبيد الله:

---

(١) مناقب الخوارزمي ص١٨٨، والكفاية للخطيب ص١٢٢.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص١١٨ وغيره.

(٣) راجع أبوطالب مؤمن قريش للخنيزي.

حسبت أنه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن[1].

ورد أيضاً هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد أسلم بعد.

ورد أيضاً هدية ملاعب الأسنة، وقال: لا أقبل هدية مشرك[2].

عن عياض المجاشعي: أنه أهدى إلى النبي هدية فأبى قبولها، وقال: إني نهيت عن زبد المشركين[3].

ولم يكن ذلك منه «صلى الله عليه وآله» إلا لأن قبولها يوجب احتراماً ومودة من المهدى إليه بالنسبة لمن أهدى.

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٤٨٤ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وصححاه. وحياة الصحابة ج٢ ص٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عن كنز العمال وعن مجمع الزوائد ج٨ ص٢٧٨ وكنز العمال ج٦ ص٥٧ و ٥٩ عن أحمد والطبراني، والحاكم وسعيد بن منصور، والتراتيب الإدارية ج٢ ص٨٦ ويلاحظ هنا: أنه (صلى الله عليه وآله) حين الهجرة لا يقبل ناقة أبي بكر إلا بالثمن.

(٢) كنز العمال (طبعة أولى) ج٣ ص١٧٧ عن ابن عساكر و (ط ثانية) ج٦ ص٥٧ عن الطبراني والمصنف لعبد الرزاق ج١ ص٤٤٦ و ٤٤٧ وفي الهامش عن مغازي ابن عقمة ومجمع البيان المجلد الأول ص٥٣٥.

(٣) كنز العمال ج٦ ص٥٧ و ٥٩ عن أبي داود والترمذي وصححه وأحمد والطيالسي والبيهقي، وراجع ما عن عمران بن حصين في الكنز نفس المجلد والصفحة والمصنف لعبد الرزاق ج١٠ ص٤٤٧ وفي الهامش عن أبي داود وأحمد وعن الترمذي ج٢ ص٣٨٩، وراجع الوسائل ج١٢ ص٢١٦ عن الكافي والمعجم الصغير ج١ ص٩.

ملاحظة: معالجة رواية الكشي:

إلا أن الكشي ذكر رواية تقول: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يرد هدية على يهودي ولا نصراني»[1].

وهذا إن صح فهو يشير إلى الفرق بين هدية الكتابي وهدية المشرك، فكان «صلى الله عليه وآله» يرد هدية الثاني، دون الأول، وذلك يدل على عدم صحة قوله لهم: إنه «صلى الله عليه وآله» في هدنة الحديبية قد استهدى أبا سفيان أدماً[2].

---

(١) اختيار معرفة الرجال للكشي (ط جامعة طهران) ص٦١٠ والبحار ج٥٠ ص١٠٧ والوسائل ج١٢ ص٢١٧.

(٢) راجع التراتيب الإدارية ج١ ص١٩٨ عن الإستيعاب.

البحث الثاني

أبو طالب ﵇ المظلوم المفترى عليه

الأدلة الواهية:

لقد حاول الذين يشتهون إثبات كفر أبي طالب «عليه السلام» أن يتشبثوا بطحالب واهية زعموا: أنها أدلة، نشير ههنا إليها، فنقول:

١ـ حديث الضحضاح:

عن أبي سعيد الخدري، أنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح[1] من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه.

وحسب نص آخر: أن العباس قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: ما أغنيت عن عمك؟! فوالله كان يحوطك ويغضب لك!!.

قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[2].

---

(١) الضحضاح: القلقل، وهنا المكان القليل العمق من النار.

(٢) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج٢ ص٢٠٩، وج٤ ص٥٤، والمصنف ج٦ ص٤١، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٩ و ٣٠. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، وطبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٧٩، ومسند أحمد ج١ =

ونقول:

أولاً: لقد ناقش كل من الأميني والخنيزي جميع أسانيد هذه الرواية، وبيَّنا وهنها وضعفها، وتناقض نصوصها العجيب، إلى حد أن بعض الروايات تجزم بأنه قد جعل في ضحضاح من نار، وأن الشفاعة قد نفعته فعلاً.

لكن بعضها الآخر يقول: لعله تنفعه شفاعتي، فيجعل في ضحضاح يوم القيامة.

ونحن نحيل القارئ الذي يرغب في التوسع إلى ما ذكره الأميني والخنيزي في كتابيهما حول هذا الموضوع[1].

ثانياً: إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد نفع أبا طالب «عليه السلام»، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتمم معروفه هذا، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضاً؟!.

ثالثاً: لقد رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلب من أبي طالب حين حضرته الوفاة: أن يقول كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها.

فهذا يدل على أنه قد أناط «صلى الله عليه وآله» مطلق الشفاعة بكلمة

= ص٢٥٦ و ٢٠٧، والبداية والنهاية ج٣ ص١٢٥، والغدير ج٨ ص٢٣ عن بعضهم، وعن عيون الأثر ج١ ص١٣٢، وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٦.

(١) راجع: الغدير ج٨ ص٢٣ و ٢٤ وأبو طالب مؤمن قريش.

لا إله إلا الله[١].

فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمة التي توجب حليتها؟!.

رابعاً: إنهم يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك، فلماذا حلت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجته من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؟[٢].

خامساً: قال المعتزلي: إن الإمامية والزيدية «قالوا: وأما حديث الضحضاح، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلي «عليه السلام» بالخصوص مشهور ومعلوم، وقصته وفسقه غير خاف»[٣].

غير أننا نقول: إنه يمكن المناقشة في ذلك بأنهم قد رووا ذلك عن غير المغيرة أيضاً، فراجع البخاري وغيره.

فلعل رواية غير المغيرة قد حدثت في وقت متأخر بهدف تكذيب الشيعة، ونقض استدلالهم، فتلقفها البخاري.

---

(١) الترغيب والترهيب ج٤ ص٤٣٣ عن أحمد بسندين صحيحين، وعن البزار، والطبري بأسانيد أحدها جيد وابن حبان في صحيحه وراجع: الغدير ج٨ ص٨ فما بعدها.

(٢) مستدرك الحاكم ج٢ ص٣٣٦، وتلخيصه للذهبي وصححاه والمواهب اللدنية ج١ ص٧١ والغدير ج٨ ص٢٤ عنهما وعن كنز العمال ج٧ ص١٢٨، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج١ ص٢٩١ وكشف الغمة للشعراني ج٢ ص١٢٤، وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٢٠.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٧٠ والبحار ج٣٥ ص١١٢.

وذلك لأن من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع..

وقد سكت المعتزلي عن هذا الرد، وعن جوابه، وكأنه يحتمل ما احتملناه، ولو وسعه التأكيد على الرد لفعل.

سادساً: سئل الإمام الباقر «عليه السلام» عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار؟

فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه.

ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» كان يأمر أن يحج عن عبد الله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم[1]؟!

سابعاً: سئل الإمام علي «عليه السلام» في رحبة الكوفة عن كون أبيه معذباً في النار أو لا، فقال للسائل: مه، فض الله فاك!! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم. أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟![2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٨، والدرجات الرفيعة ص٤٩، والبحار ج٣٥ ص١١٢ والغدير ج٨ ص٣٨٠ ـ ٣٩٠ عنهما وعن كتاب الحجة لابن معد ص١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والفتوني في ضياء العالمين.

(٢) البحار ج٢٥ ص٦٩ وج٣٥ ص١١٠ والإحتجاج (ط مطبعة النعمان) ج١ ص٣٤١ وكنز الفوائد للكراجكي (ط حجرية) ص٨٠ وكشف الغمة للإربلي (ط دار الأضواء) ج٢ ص٤٢ والغدير ج٧ ص٣٨٧.

ثامناً: روى عبد العظيم بن عبد الله العلوي: أنه كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا «عليه السلام»: عرفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي: أن أبا طالب في ضحضاح من نار، يغلي منه دماغه.

فكتب إليه الرضا «عليه السلام»: بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد، إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[1].

تاسعاً: بالإسناد إلى الكراجكي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟!

قلت: جعلت فداك، يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجليه نعلان من نار، تغلي منها أم رأسه.

فقال «عليه السلام»: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً[2].

وفي رواية أخرى عنه «عليه السلام»: كذبوا، والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم[3].

---

(١) البحار ج٣٥ ص١١١ وإيمان أبي طالب للمفيد ص٤ وسفينة البحار ج٥ ص٣١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٤٤٧ و ٥٥٨ وراجع الغدير ج٧ ص٣٩٥.

(٢) البحار ج٣٥ ص١١١ وكنز الفوائد للكراجكي ص٨٠ والغدير ج٧ ص٣٩٣.

(٣) البحار ج٣٥ ص١١٢ وإيمان أبي طالب للمفيد ص٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٦٩ ومدينة المعاجز ج٧ ص٥٣٥ والغدير ج٧ ص٣٩٠ وسفينة البحار ج٥ ص٣١٦.

٢ـ إرث عقيل لأبي طالب عليه السلام:

واستدلوا: بأن ولده عقيل هو الذي ورثه، ولم يرثه الإمام علي وجعفر «عليهما السلام»، لأنه كان مشركاً، وهما مسلمان.

فهما من ملتين مختلفتين، وأهل ملتين لا يتوارثان[1].

ولكن ذلك لا يصح أيضاً.

فأولاً: من أين ثبت لهؤلاء أن الإمام علياً وجعفر «عليهما السلام» لم يرثاه.

ثانياً: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب، فإنه لا يكون إلا من اثنين، ولأجل ذلك نقول: إن الصحيح هو مذهب أهل البيت «عليهم السلام»، من أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم[2]. فالإرث إذاً من طرف واحد، لا من طرفين!.

ثالثاً: لقد روي عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا»[3].

وقد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛ وقالوا: نرثهم ولا يرثونا[4].

---

(١) المصنف ج٦ ص١٥، وج١٠ ص٣٤٤، وفي هامشه أي هامش السادس عن البخاري ج٣ ص٢٩٣، وطبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٧٩.

(٢) راجع شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٦٩.

(٣) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج١٠ ص٣٣٩ وج٦ ص١٠٦.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ج٦ ص١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ وج١٠ ص٣٣٨ حتى ص٣٤١.

رابعاً: إنهم يقولون: إن الميراث في وقت موت أبي طالب لم يكن قد فرض بعد، وإنما كان الأمر بالوصية؛ فلعل أبا طالب قد أوصى بماله لعقيل محبة له، أو لما يراه من فقره وخصاصته، فأنفذ أولاده وصيته.

أو أن علياً وجعفر قد تركا لأخيهما نصيبهما من الإرث على سبيل الإيثار له، لما يرونه من حاجته، وضيق ذات يده.

بل قد يكون أبو طالب قد تنازل عن ماله لعقيل في حال حياته، فلم يبق شيء لكي يرثه علي وجعفر بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

٣ـ آية: ﴿وَيَنأَوْنَ عَنهُ﴾:

لقد ذكروا: أن آية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ..﴾[2].. قد نزلت في أبي طالب «عليه السلام»، الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، وينأى عن أن يدخل في الإسلام[3].

ونقول:

---

(١) راجع: أسنى المطالب ص٦٢.

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأنعام.

(٣) الإصابة ج٤ ص١١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٢٧، وطبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٧٨، وبهجة المحافل ج١ ص١١٦ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٦ والغدير ج٨ ص٣ عنهم وعن: تفسير الخازن ج٢ ص١١، وتفسير ابن جزي ج٢ ص٦، وعن الطبري والكشاف، ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج٢ ص٣٤٠ و ٣٤١.

أولاً: لقد تحدث الأستاذ الخنيزي حول أسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية[1] فليراجعه من أراد.

ثانياً: إن هذه الآية لا تنطبق على أبي طالب «عليه السلام» بأي وجه؛ لأن الله تعالى يقول قبلها:

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأولِينَ، وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

فضمائر الجمع، وهي كلمة: «**هم**»، وفاعل «**ينهون**» و «**ينأون**» ترجع كلها إلى من ذكرهم الله في تلك الآية، وهم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول في هذه الآيات، ويصفونها من عنادهم بأنها أساطير الأولين.

ولا يقف عنادهم عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه.

وهذه الصفات كلها لا تنطبق على أبي طالب «عليه السلام»، الذي لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبي «صلى الله عليه وآله»، والنصرة له باليد واللسان. وقد حض أشخاصاً بأعيانهم على أن يدخلوا في هذا الدين، وأن يصبروا عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، وحمزة، وجعفر، وعلي،

---

(١) أبوطالب مؤمن قريش ص٣٠٥ و ٣٠٦.

(٢) الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة الأنعام.

وملك الحبشة، حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، وأن معناها: ينهون عن استماع القرآن، واتباع الرسول، ويتباعدون عنه.

وهذا هو المروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي معاذ، والضحاك، وابن الحنفية، والسدي، ومجاهد، والجبائي، وابن جبير[١].

ثالثاً: ويقول الأميني «رحمه الله»: إن هذه الرواية تقول: إن آية سورة الأنعام: وهي قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ**..﴾ قد نزلت حين وفاة أبي طالب «عليه السلام».

مع أن ثمة رواية أخرى تقول: إن آية سورة القصص، وهي قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**..﴾[٢] قد نزلت حين وفاته أيضاً.

مع أن سورة القصص قد نزلت قبل الأنعام ـ التي نزلت جملة واحدة ـ[٣] بخمس سور.

---

(١) راجع: مجمع البيان ج٣ ص٢٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٢٧ والغدير ج٨ ص٣، والدر المنثور ج٣ ص٨ و ٩ كلهم ـ كلاً أو بعضاً ـ عن القرطبي، والطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة وابن مردويه وعبد بن حميد، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٤٠٦.

(٢) الآية ٥٦ من سورة القصص.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٣، وفتح القدير ج٢ ص٩٦ و ٩٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٢٢ والغدير ج٨ ص٥ عنهم وعن تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٣٨٢ و ٣٨٣ كلهم عن: أبي عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والنحاس.

وهذا يدل: على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد وفاة أبي طالب «عليه السلام» بمدة، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاة أبي طالب «عليه السلام» أعني السنة العاشرة من البعثة؟!

بل إن البعض قد ذكر: أن سورة القصص هي من آخر ما نزل من القرآن في المدينة (ولعله استند في ذلك إلى بعض ما ورد في شأن نزول بعض آياتها) فإذا تم هذا، فإن نزولها في أبي طالب «عليه السلام» يصبح غير مقبول أيضاً، لأن أبا طالب «عليه السلام» مات في عنفوان الإسلام، والنبي «صلى الله عليه وآله» في مكة[1].

رابعاً: إنهم يقولون: إن سورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة وكانت أسماء بنت يزيد الأنصارية ممسكة بزمام ناقته «صلى الله عليه وآله»[2] وذلك إنما كان بعد بيعة العقبة، التي كانت بعد وفاة أبي طالب «عليه السلام»، بمدة طويلة.

---

(١) راجع: البحار ج٣٥ ص١٥٢.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢ عن الطبراني، وابن مردويه.

وقد ذكر في الدر المنثور ج٣ ص٢ و ٣ نزولها جملة واحدة في مكة، أو باستثناء آية أو آيتين ليست الآية المذكورة واحدة منها، وقد قال: إن ذلك رواه عشرات الحفاظ، مثل البيهقي في شعب الإيمان، والخطيب في تاريخه، وأبي الشيخ، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وإسحق بن راهويه، والكلبي، وأبي عبيد، والطبراني، وابن الضريس، وابن مردويه، والسلفي في الطيورات، والإسماعيلي، والحاكم وصححه، وراجع: الإتقان ج١ ص٣٧ والسيرة الحلبية ج١ ص٢٦٠.

٤ ـ آية النهي عن الاستغفار للمشرك:

روى البخاري ومسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن أبيه، ما ملخصه: أن النبي محمداً «صلى الله عليه وآله» طلب من أبي طالب «عليه السلام» حين وفاته أن يقول كلمة: لا إله إلا الله، ليحاج بها له عند الله.

فقال له أبو جهل، وعبد الله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

فلم يزل الرسول يعرضها عليه، ويقولان له ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.

فأنزل الله: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بعدما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾**[١].

ونقول:

إننا لا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية[٢] المقطوعة، ولا أن نفيض في إيراد الدلائل والشواهد على أن ابن المسيب، فضلاً عن غيره، متهم في ما يرويه مما له ارتباط بالإمام علي «عليه السلام»، كما نص عليه البعض[٣].

---

(١) الآية ١١٣ من سورة التوبة.

(٢) راجع في ذلك: أبو طالب مؤمن قريش ٣١٣ ـ ٣٤٥ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٥ و ٢٦ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج٢ ص٣٤٢ و ٣٤٣.

(٣) الغارات للثقفي ج٢ ص٥٦٩.

ولكننا نشير فقط إلى ما يلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشرك قد وردت في سورة التوبة، ولا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه «صلى الله عليه وآله» في المدينة، بل لقد ادَّعى البعض أنها آخر ما نزل[1].

ولا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات معلقة في الهواء، والقرآن ينزل، حتى إذا نزلت سورة التوبة، أضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تلحق بالسور ـ لو صح أنها كانت تلحق بها بعد أن لم تكن منها ـ فإنما تلحق بما نزل سابقاً عليها، وكان ذلك في الأكثر في السور الطوال، التي كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التي كانت تنزل دفعة واحدة.

فلا بد إذاً من أن نقول: إن النهي عن الاستغفار إنما حصل بعد نزول سورة التوبة، فكيف بقي «صلى الله عليه وآله» يستغفر لأبي طالب «عليه السلام» طيلة هذه المدة، ويترحم عليه؟!

ثانياً: إن الاستغفار للمشرك، والترحم عليه من أظهر مصاديق المودة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة، كما في قوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ**

---

(١) الغدير ج٨ ص١٠ وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٤١ عن: البخاري، والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير والإتقان، وابن أبي شيبة والنسائي وابن الضرير، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثالثاً: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوة بني المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، ونزلت قبل سورة التوبة على كل حال:

﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥].

فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعرف أن الله لن يغفر للمنافق سواء استغفر له أم لا.. والمنافق هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، فإنه

---

(١) الآية ٢٢ من سورة المجادلة، وقد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الإتقان ج١ ص١١ وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٢٩، وفتح القدير ج٥ ص١٨٦ والغدير ج٨ ص١٠ عنهم وعن تفسير الآلوسي ج٢٨ ص٣٧ وأخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم والبيهقي وأبونعيم: أنها نزلت في بدر أو في أحد.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٣٩ من سورة النساء.

(٤) الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ٦ من سورة المنافقون.

يعرف أيضاً: أن الله لا يغفر لمن كان يبطن الشرك، ويظهره، ويأبى عن أن يعترف بإسلام أو بإيمان..

فلماذا يتعب نفسه في أمر يعرف أنه لا نتيجة له؟

فإن ذلك أمر لا يقره العقلاء، ولا يقدمون عليه.

رابعاً: ذكر الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموضح، بأسناده:

أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه، ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي وجعفر[1] وحمزة جلوس، فقاموا، وشيعوا جنازته، واستغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ـ ظناً منهم أن أبا طالب مات مشركاً؛ لأنه كان يكتم إيمانه ـ فنفى الله عن أبي طالب الشرك، ونزه نبيه، والثلاثة المذكورين رحمهم الله عن الخطأ في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى﴾[2].

فمن قال بكفر أبي طالب «عليه السلام» فقد حكم على النبي بالخطأ، والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله الخ..[3].

خامساً: لقد روي بسند صحيح ـ كما يقول الأميني ـ عن علي: أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان؛ فذكر الإمام علي «عليه السلام» ذلك

---

(١) لقد كان جعفر بالحبشة، فإما أن يكون قد جاء في زيارة قصيرة ثم رجع. وإما أن يكون الراوي قد ذكره من عند نفسه سهواً أوعمداً.

(٢) الآية ١١٣ من سورة التوبة.

(٣) الغدير ج٧ ص٣٩٩ عن كتاب الحجة لابن معد ص٦٨.

للنبي «صلى الله عليه وآله»، فنزلت آية النهي عن الاستغفار للمشركين[1].

وفي أخرى: أن المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت[2].

وأما القول: بأنها نزلت حينما استأذن «صلى الله عليه وآله» الله في الاستغفار لأمه فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها، فأذن لـه[3].

فهو لا يصح: حيث تقدم في بحث إيمان آباء النبي «صلى الله عليه وآله»: أن أم النبي «صلى الله عليه وآله» كانت مؤمنة موحدة.

وعلى هذا فإن الجزم بأن الآية المذكورة قد نزلت في أبي طالب يصبح في غير محله، خصوصاً إذا أضيف إليه ما قدمناه من شواهد وأدلة على إيمان

---

(١) الغدير ج٨ ص١٢، وغيره عن: الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء في المختارة، والإتقان، وأسباب النزول، وتفسير ابن كثير، والكشاف، وأعيان الشيعة، وأسنى المطالب ص١٨، وأبو طالب مؤمن قريش، وشيخ الأبطح ومسند أحمد ج١ ص١٣٠ و ١٣١.

(٢) مجمع البيان ج٥ ص٧٦ عن الحسن، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٩٣، وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٤٨، عنهما وعن الأعيان ج٣٩ ص١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن، والكشاف ج٢ ص٢٤٦.

(٣) جامع البيان للطبري ج١١ ص٣١، والدر المنثور ج٣ ص٢٨٣، وإرشاد الساري ج٧ ص٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم في صحيحه، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٩٤ وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه والكشاف ج٢ ص٤٩، وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٤٩.

شيخ الأبطح، وأضيف إليه أيضاً أن الآية بصدد نهي طائفة من المؤمنين عن الاستغفار لأقاربهم من أهل الشرك، ويكون ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» في جملتهم من أجل طمأنتهم، وتأنيسهم، والرفق بهم، والمداراة لهم، لا لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يفعل كفعلهم، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليقدم على أمر حتى يعرف رضا الله به، ويستأذنه سبحانه وتعالى فيه.

ملاحظة:

قد أثبتنا في كتابنا هذا إيمان آبائه «صلى الله عليه وآله» إلى آدم وكانت أمه «صلى الله عليه وآله» موحدة، بل إن الروايات التي تحدثت عن أنه لا يريد أن تكون لكافر أو مشرك عنده نعمة تجزى تدل على ذلك أيضاً.

فإن تربية أبي طالب للنبي «صلى الله عليه وآله» من النعم، والأيادي عنده، التي تستوجب منه الشكر والجزاء.

وهذا ما يجعلنا نعتقد: أن الرواية الأخيرة التي ذكرت كفر والدة النبي «صلى الله عليه وآله» بعيدة عن الصحة أيضاً.

سادساً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشركين قد جاءت عامة ولا يظهر منها أنها تتحدث عن أمر قد حصل أصلاً، ولو سلمنا: أنها تشير إلى واقعة من نوع ما، فلا يمكن أن تكون هي استغفار النبي «صلى الله عليه وآله» لأمه، لأنه «صلى الله عليه وآله» لا يفعل إلا ما يعلم أنه مرضي لله تعالى، ولا يقدم على أي فعل من تلقاء نفسه.

على أنه لا بد من الإجابة على السؤال عن السبب الذي جعل النبي «صلى الله عليه وآله» ينسى الاستغفار لأمه إلى آخر أيام حياته؟

سابعاً: إن قول أبي طالب: بل على دين عبد المطلب، هو من أدلة إيمانه، لا من أدلة كفره؛ إذ إن عبد المطلب لم يكن كافراً ولا مشركاً، بل كان مؤمناً على دين الحنيفية.

وقد صرح المسعودي في بعض كتبه أيضاً بأنه قد مات مسلماً[1].

فقول أبي طالب «عليه السلام»: بل على ملة عبد المطلب، قد جاء على سبيل التورية، حيث إنه بذلك يكون قد أثبت إيمانه، وأقر به من جهة، ثم يكون قد عمّى الأمر على فراعنة قريش، لمصالح يراها، لا بد له من ملاحظتها في تلك الفترة، من جهة أخرى.

٥ ـ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾:

ويقولون: إن الله تعالى قد أنزل في أبي طالب «عليه السلام»: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء**﴾[2]، حيث ادَّعى الزجَّاج إجماع المسلمين على نزول هذه الآية في أبي طالب «عليه السلام»[3].

ونقول في الجواب:

أولاً: قد تقدم: النهي عن موادة من حاد الله، وعن اتخاذ الكافرين أولياء.

ثانياً: قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا الله، وتعامل مع

---

(١) الروض الأنف ج٢ ص١٧٠ و ١٧١.

(٢) الآية ٥٦ من سورة القصص، والرواية في صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج٣ ص١١١، وغير ذلك.

(٣) راجع: شيخ الأبطح ص٨٢.

الناس كلهم على قاعدة: أن لا يجعل لكافر ولا لمشرك نعمة عنده.

ثالثاً: إن آية: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يقال: إنها نزلت يوم أحد، حينما كسرت رباعيته، وشج وجهه «صلى الله عليه وآله»، فقال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الخ..[1].

وقيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان الرسول «صلى الله عليه وآله» يرغب في إسلامه، بل لقد ادعي الإجماع على ذلك[2].

رابعاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يحب إيمان أبي طالب «عليه السلام»، فالله يحب ذلك أيضاً، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب الله.

وقولهم: كان «صلى الله عليه وآله» يكره إيمان وحشي، ثم آمن، لا يصح، لأنهما لو لم يتوافقا فإنه يدخل في دائرة التضاد بين الرسول وبين مرسله، لأن الرسول «صلى الله عليه وآله» يكره إيمان شخص ومرسله يحب إيمان ذلك الشخص نفسه.. وإذا توافقا، بأن كان الله ورسوله يكرهان إيمان ذلك الشخص، فإن السؤال هو: كيف يمكن أن يكره الله ورسوله إيمان أحد؟! [3].

خامساً: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا يمنع من إيمان

---

(١) راجع التراتيب الإدارية ج١ ص١٩٨ عن الإستيعاب، وأبو طالب مؤمن قريش ص٣٦٨ عن أعيان الشيعة ج٣٩ ص٢٥٩ والحجة ص٣٩.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص٣٦٩ وشيخ الأبطح ص٨٢ عن أسباب النزول لابن رشادة الواعظي الواسطي، وراجع: البحار ج٣٥ ص١٥١ وفيه: الحارث بن نعمان بن عبد مناف.

(٣) راجع هامش أنساب الأشراف ج٢ ص٢٨ عن الدكتور زرزور في مقدمته على تفسير الحاكم الجشمي.

أبي طالب «عليه السلام»، فإن الله قد شاء الهداية لأبي طالب «عليه السلام» أيضاً كما دلت عليه النصوص.

والآية إنما تريد تعليم النبي «صلى الله عليه وآله»: أن محبته لهداية شخص غير كافية، بل لا بد معها من مشيئة الله سبحانه.

وأما دعوى إجماع المسلمين على نزول هذه الآية في أبي طالب «عليه السلام»، فيكذبها: أن الأئمة «عليهم السلام» وشيعتهم، وأكثر الزيدية، وكثير من علماء السنة يثبتون إيمان أبي طالب «عليه السلام»، وتآليفهم في هذا الصدد كثيرة وشهيرة..

٦ ـ ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾:

زعموا: أن قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾**[1].. قد نزلت في أبي طالب «عليه السلام».

ونقول:

إن سياق الآيات قبلها وبعدها يعطي أن الآية إنما نزلت في اليهود.. وهذا كاف في رد هذه المزعمة.

وقد قال النقدي في كتابه مواهب الواهب في فضائل أبي طالب: وأما ما قيل من أن قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾** نزلت في أبي طالب فقد قال ابن دحلان: هو ضعيف جداً كالقول بأنها نزلت في أبوي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فإن ذلك ضعيف أيضاً، بل قيل: إن ذلك باطل لا أصل له والآية إنما نزلت في اليهود.

---

(١) الآية ١١٩ من سورة البقرة.

قال أبو حيان في البحر: وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك الخ..[١].

٧ ـ الذي ينجي من الوسوسة:

زعموا: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قال لأبي بكر، حول ما ينجي من الوسوسة: «ينجيكم من ذلك: أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت؛ فلم يفعل.

يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[٢].

وفي رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التي ألاص[٣] عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة الخ..[٤].

ونقول: إنه فضلاً عن سقوط الرواية من ناحية السند، نلاحظ:

أولاً: إن من الواضح: أن الذين يسألونه «صلى الله عليه وآله» عما ينجي من الوسوسة كانوا يقولون تلك الكلمة، ويشهدون الشهادتين، ولكنهم كانوا ـ مع ذلك ـ مبتلين بالوسوسة، فكيف يأمرهم «صلى الله عليه وآله» بقولها للنجاة من ذلك؟!.

---

(١) مواهب الواهب في فضائل أبي طالب للنقدي ص١٣٠ ط حجرية النجف الأشرف سنة ١٣٤١هـ.

(٢) حياة الصحابة ج٢ ص١٤٠و ٥٤٥ وكنز العمال ج١ ص٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ عن أبي يعلى والبوصيري في زوائده، وعن طبقات ابن سعد ج٢ ص٣١٢.

(٣) الأص فلاناً على الشيء: أداره عليه وأراده منه.

(٤) مجمع الزوائد ج١ ص١٥، وكنز العمال ج١ ص٢٦٢ و ٢٦٣ عن أبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان والبيهقي وغيرهم كثير جداً.

إلا أن يقال: إن المراد هو: كثرة التلفظ بها وتكرارها.

غير أننا نقول: إن إرادة هذا المعنى بعيدة عن مساق الرواية، فإن ما طلبه من أبي طالب ـ لو صحت الرواية ـ هو مجرد التلفظ بالشهادتين..

ثانياً: إن نفس هذه الرواية مروية بسند صحيح، وتفيد:

أن الخلاف كان بين سعد وعثمان، وأن الذي حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، وذكر: دعوة ذي النون: ﴿**لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]. ولم يذكر أبا طالب «عليه السلام»[2].

أبو بكر حين أسلم أبوه:

وزعموا أيضاً: أنه لما مد أبو قحافة يده ليسلم، بكى أبو بكر، فقال له «صلى الله عليه وآله»: ما يبكيك؟!

قال: لأن تكون يد عمك مكان يده، ويسلم، ويقر الله به عينك أحب إلي من أن يكون[3].

---

(١) الآية ٨٧ من سورة الأنبياء.

(٢) مجمع الزوائد ج٧ ص٦٨ عن أحمد ورجاله رجال الصحيح، باستثناء إبراهيم بن محمد بن سعد وهو ثقة، وحياة الصحابة عنه وعن الترمذي وعن كنز العمال ج١ ص٢٩٨ عن أبي يعلى والطبراني ـ وصُحِّح.

(٣) الإصابة ج٤ ص١١٦ والحاكم وصححه على شرط الشيخين، وعن عمر بن شبة وأبي يعلى، وأبي بشر سفويه في فوائده، ونصب الراية ج٦ ص٢٨١ و ٢٨٢ عن عدد من المصادر في هامشه، والمصنف ج٦ ص٣٩، وفي هامشه عن ابن أبي شيبة ج٤ ص١٤٢ و ٩٥، ومسند أحمد ج١ ص١٣١.

ونقول:

أولاً: قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على إيمان أبي طالب «عليه السلام» عن عدد من المصادر، فلا نعيد. وتلك الرواية هي التي تنسجم مع هذا الحشد الهائل من دلائل إيمانه صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: قد جاء أنه لما أسلم أبو قحافة لم يعلم أبو بكر بإسلامه، حتى بشره النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك[1] فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مد أبو قحافة يده؟!.

أبو طالب عليه السلام الشيخ المهتدي:

وزعموا أيضاً: أنه لما توفي أبو طالب، جاء علي «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي.

بل في رواية: أن الإمام علياً «عليه السلام» رفض ما أمره به النبي «صلى الله عليه وآله» من تغسيله، ودفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره[2].

ونقول:

أولاً: قد روى أحمد في مسنده هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ قد توفي، من دون ذكر كلمة «الضال»[3].

---

(١) المحاسن والمساوئ ج١ ص٥٧.

(٢) المصنف ج٦ ص٣٩ وراجع كنز العمال ج١٧ ص٣٢ و ٣٣ ونصب الراية ج٢ ص٢٨١ و ٢٨٢ وفي هامشه عن عدد من المصادر.

(٣) مسند الإمام أحمد ج١ ص١٢٩ و ١٣٠ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٤ وفيه: أنه أمره هو فواراه.

ثانياً: إن نفس أن يخاطب علي «عليه السلام» رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الطريقة: «**إن عمك الشيخ الضال.. الخ..**» لهو أمر لا ينسجم مع أدب الخطاب مع الرسول، في الوقت الذي كان يمكن له يقول: إن أبي الشيخ الضال قد توفي.

ولا يمكن أن يحتمل أحد أن يصدر من علي «عليه السلام» ما ينافي الآداب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو مع غيره.

ثالثاً: لو لم يكن مؤمناً فلماذا يأمره بتغسيله؟. فهل يغسل الكافر؟!

رابعاً: كيف يتناسب هذا مع كونه «صلى الله عليه وآله» قد حزن، وترحم عليه، ودعا له، وعارض جنازته، ومشى فيها، وغير ذلك مما تقدم، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشي في جنازة المشرك؟![1].

خامساً: ماذا يصنع هؤلاء بما ورد في كثير من المصادر، من أن الإمام علياً «عليه السلام» هو الذي تولى تغسيل أبي طالب ودفنه، واغتسل بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب على من مس أي ميت مسلم[2].

هل صلى أبو طالب عليه السلام؟:

قالوا: إنه لم ينقل عن أحد: أن أبا طالب «عليه السلام» قد صلى، وبالصلاة يمتاز المؤمن عن الكافر[3].

---

(١) قد تقدمت بعض مصادر ذلك في أوائل هذا البحث، وعن عدم جواز المشي في جنازة المشرك، راجع كتب الحديث كسنن البيهقي وغيره.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٣٠١.

(٣) راجع: شيخ الأبطح.

ونقول في الجواب:

أولاً: إنه لم ينقل أيضاً عن كثير من الصحابة أنهم قد صلوا.. فهل يمكن الحكم عليهم بأنهم لم يسلموا؟! فإن عدم نقل ذلك لا يعني عدم حدوثه.

ثانياً: إنه إذا كان مثل أبي طالب «عليه السلام» كمثل مؤمن آل فرعون، الذي كان يكتم إيمانه، فعلينا أن لا نتوقع مجاهرة أبي طالب «عليه السلام» بالصلاة، أو بغيرها من الشعائر الدينية أمام الملأ، فإن ذلك لا يتلاءم مع كتمان الإيمان.

أبو طالب عليه السلام خير الأخيار:

وزعموا: أن محمد بن عبد الله بن الحسن قد كتب إلى المنصور يقول مفتخراً: أنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار.

وهذه الرسالة هي التي أوجبت توقف ابن أبي الحديد المعتزلي في إيمان أبي طالب «عليه السلام»، كما زعم في شرحه لنهج البلاغة[1].

ونقول:

أولاً: إن أبا طالب «عليه السلام» لم يكن شر الأشرار، إذ إنه «عليه السلام» لم يكن أشر من أبي لهب ولا من أبي جهل، ولا من ابن ملجم، ولا من الشمر، ولا.. ولا..

فهذا كذب صريح، هل يمكن صدوره من مدَّعي المهدية.. الذي

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٨٢.

يطالب الناس بالبيعة له؟!

ثانياً: ما معنى أن يفتخر إنسان بأنه ابن شر الأشرار؟! فهل في هذا مفخرة لأحد؟

ثالثاً: إنه ليس في الرواية ما يدل على أن المقصود بهذا الكلام هو أبو طالب «عليه السلام»، إذ لعل المقصود به طلحة بن عبيد الله، الذي هو أبو أم إسحق، جدة محمد بن عبد الله بن الحسن، أو لعله يقصد زمعة بن الأسود، أو عبد العزى؟! أو غير هؤلاء من آبائه..

رابعاً: لماذا أخذ المعتزلي بشهادة محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي قتل في أواسط القرن الثاني للهجرة، ولم يأخذ بشهادة الإمام علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في حق أبيه، وهو القائل: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله، بالإضافة إلى كثير من النصوص الأخرى التي سلفت عنه «عليه السلام» في حقه؟

هذا فضلاً عن شهادات الإمام السجاد، والباقر، والصادق «عليهم السلام».

ألم يكن عهد هؤلاء الأطهار «عليهم السلام» بأبي طالب «عليه السلام» أقرب من عهد محمد بن عبد الله بن الحسن؟!..

خطابيات وأرجاز المديني:

وبعد ما تقدم، فإنه إذا كان أبو طالب «عليه السلام» مسلماً مصدقاً؛ فلا يصغى لأرجاز وخطابيات أمثال المديني، التي لا توافق العقل والدين مهما حاول أن يتظاهر هو بالصلاح، أو أن يسطر التملقات الباردة، مثل أن يقول:

«وددت أن أبا طالب كان أسلم، فسر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأني كافر»!![1].

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٢٦٣.

البحث الثالث

مؤمن آل فرعون

سرية إيمان أبي طالب عليه السلام:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب «عليه السلام» فإننا نجد: أنه كان بادئ ذي بدء يكتم إيمانه، تماما كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من إظهار ذلك وإعلانه.

وقد ورد عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله:

«إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين»[1].

وعن الشعبي، يرفعه، عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال:

كان والله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً، يكتم

---

(١) أمالي الصدوق ص٥٥١، وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٧٠، وأصول الكافي ج١ ص٣٧٣، وروضة الواعظين ص١٣٩، والبحار ج٣٥ ص٧٢ و ١١١ والغدير ج٧ ص٣٨٠ ـ ٣٩٠ عنهم وعن: الحجة لابن معد ص١٧ و ١١٥ وتفسير أبي الفتوح ج٤ ص٢١٢، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين.

إيمانه؛ مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش.

وكذا عن ابن عباس[1].

وقد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل في حرب الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه[2].

وثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها[3].

لا بد من كتمان الإيمان:

ونستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبي طالب «عليه السلام» كانت ضرورة لا بد منها؛ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية اجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفاً في النزاع.

فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها.

قال ابن كثير وغيره:

«إذ لو كان أسلم أبو طالب ـ ونحن نقول لابن كثير: إنه قد أسلم، ولكنه كتم إيمانه وإسلامه مدة ـ لما كان له عند مشركي قريش وجاهة، ولا كلمة، ولا

---

(١) الغدير ج٧ ص٣٨٨ عن كتاب الحجة ص٢٤ و ٩٤ و ١١٥. وراجع أمالي الصدوق ص٥٥٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٦٧.

(٣) راجع الغدير ج٧ ص٣٣٨ ـ ٣٩٠ عن: الفصول المختارة ص٨٠ وإكمال الدين ص١٠٣، وكتاب الحجة لابن معد عن أبي الفرج الأصفهاني.

كانوا يهابونه ويحترمونه، ولاجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه»[١].

مفارقات محيّرة:

وكيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيد، ولورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة، ولأبي سفيان الذي ما فتئ كهفاً للمنافقين، والذي ذكرنا لمحة عن تصريحاته ومواقفه في أواخر غزوة أحد في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

نعم، كيف يحكمون لهؤلاء بالإسلام؟! بل يروون عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه قال عن أمية بن أبي الصلت: أنه كاد أن يسلم في شعره[٢].

ويقول الشافعي عن صفوان بن أمية: «وكان كأنه لا يشك في إسلامه»، لأنه حين سَمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقُتل محمد، قال له:

«بفيك الحجر، فوالله، لرب قريش أحب إلي من رب هوازن».

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالإسلام، أو بالاقتراب منه، وهم لم يدركوا الإسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر؟

ثم يحكمون بالكفر على أبي طالب «عليه السلام»، الذي ما فتئ في

---

(١) البداية والنهاية ج٣ ص٤١، وراجع السيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٦.

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص٤٨ و ٤٩، والأغاني (ط ساسي) ج٣ ص١٩٠، والتراتيب الإدارية ج١ ص٢١٣.

الفترة الأخيرة، ربما بعد الهجرة إلى الحبشة يؤكد ويصرح عشرات المرات في أقواله وفي أفعاله، ويعلن بالشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه «صلى الله عليه وآله» بالنبوة والرسالة؟!.

ذنب أبي طالب عليه السلام الذي لا يغفر:

ولكننا رغم كل ذلك نقول:

إنه يؤخذ على أبي طالب «عليه السلام» شيء واحد، هو من أكبر الذنوب، وأعظم السيِّئات والعيوب، التي يستحق من يتلبس بها ـ شاء أم أبى ـ الحساب العسير، ولا بد أن يحرم لأجلها من كل امتياز، ويسلب منه كل وسام.

وهذا الذنب العظيم والجسيم هو أنه كان أباً لذلك الرجل الذي تكرهه قريش، ويبغضه الحكام، ويشنؤه أهل الباطل.. وكانوا وما زالوا يتمنون له كل سوء، وكل ما يسوء، وقد قطعوا رحمه، وجهدوا للحط من شأنه، وصغَّروا عظيم منزلته، لا لشيء سوى أنه كان قد قتل آباءهم وإخوانهم على الشرك والكفر، وهو يدافع عن دين الله سبحانه، ويجاهد في سبيل الله، بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا الرجل هو ـ بصراحة ـ ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، وهو المسمى بـ «علي» أمير البررة، وقاتل الكفرة الفجرة، الذي كان مدينة علم النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان الولي والوصي صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبيه، وعلى الأئمة الأطهار من بنيه.

فكان لا بد ـ بنظرهم ـ من نسبة كل عظيمة إليه، وإلى أبيه أبي طالب

«عليه السلام»، ووضع الأحاديث المكذوبة في حقهما، وتزوير تاريخهما، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

فحفلت مجاميعهم الحديثية والتاريخية بألوان من الدجل والتزوير، وأفانين من الكذب والبهتان، والأفائك والأباطيل، حتى لقد نسبوا إلى أبي طالب «عليه السلام» الكفر ـ والعياذ بالله ـ ولو كان ثمة شيء أعظم من الكفر لنسبوه إليه، ووصموه به، كيداً منهم لعلي، وسعياً منهم للنيل من مقامه، وهو الذي كان ولا يزال الشوكة الجارحة في أعين الأمويين، والزبيريين، وجميع الحاقدين على الحق وأهله، فظهرت منهم أنواع من الافتراءات عليه، وعلى أخيه جعفر، وأبيه أبي طالب، وعلى كل شيعتهم ومحبيهم، والمدافعين عنهم.

وحين بدا لهم أن ذلك لا يشفي صدورهم شفعوه بنوع آخر من الكيد والتجني، حين سعوا إلى إطراء أعدائه، أعداء الله ورسوله، وأعداء الحق، فنسبوا فضائل أولياء الله إلى أعداء الله، حتى إنك لا تكاد تجد فضيلة ثبتت لعلي «عليه السلام» بسند صحيح عند مختلف الفرق الإسلامية، إلا ولها نظير في مخالفيه، ومناوئيه، والمعتدين عليه، ولكنها ـ في الأكثر ولله الحمد ـ قد جاءت بأسانيد ضعيفة وموهونة، حتى عند واضعيها..

هذا، ويلاحظ: أن هذه الأفائك الظالمة في حق أبي طالب «عليه السلام» قد ظهرت بعد عشرات السنين من وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كان المدافع الأول عن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، كما يظهر من كثير من المواقف له «صلى الله عليه وآله»، حدثنا عنها التاريخ، وحفظتها لنا كتب الحديث والرواية، رغم ما بذله الحاقدون من جهود لطمسها، وطمس سواها

من الحقائق الناصعة، والشواهد والبراهين الساطعة.

ولو أن أبا طالب «رحمه الله» كان أباً لمعاوية مثلاً، أو لمروان، أو لأي من الذين تصدوا للحكم من المناوئين والمنحرفين عن أهل البيت «عليهم السلام»، وعن خطهم ومنهجهم، لرأيت ثم رأيت من آيات الثناء عليه ما يتلى آناء الليل، وأطراف النهار، ولوجدت الأوسمة تلاحقه، وتنهال عليه من كل حدب وصوب، وبلا كتاب ولا حساب، ولألفيت الذين ينبزونه بتلكم الأكاذيب والأباطيل، ويرمونه بالبهتان، هم أنفسهم حملة رايات التعظيم والتبجيل، والتكبير والتهليل له «رحمه الله».

ولوجدت من الأحاديث في فضائله ومناقبه وما له من كرامات وشفاعات إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حد الحصر، وما يزيد ويتضاعف باطراد في كل عصر ومصر..

ولربما تجد من يدَّعي: أن أبا طالب «عليه السلام» قد آمن بالنبي حتى قبل أن يبعث «صلى الله عليه وآله»، كما ادَّعوه لبعض من يوالونهم ويحبونهم!!

ولعل بعضهم يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيقول فيه كما قالوه في بعض أسلافهم: لو لم أبعث فيكم لبعث فلان!! أو ما شاكل ذلك.

هذا إن لم يدَّعوا له مقام النبوة، أو ما هو أعظم من ذلك كما ادَّعوا ذلك ليزيد لعنه الله، قاتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وهادم الكعبة.

ولكننا نقول: إن أبا طالب «عليه السلام» قد كان محظوظاً جداً، حيث لم يكن قريباً لهؤلاء، ولا لمن يتولاه هؤلاء، فنجا من أن تنسب إليه فضائل مكذوبة، ومن أن يعطى أوسمة لا حقيقة لها، إذ يكفي هذا الرجل من الفضائل

والأوسمة ما كان قد ناله عن جدارة واستحقاق بجهاده، وبإخلاصه، وبعمله الصالح الذي نال به رضا الله سبحانه، وذلك هو الفضل العظيم، والحظ الأسعد، والمقام الأمجد.

مفارقات.. ذات دلالة:

والغريب في الأمر: أن من هؤلاء القوم، من يرى أن قاتل عمار بن ياسر من أهل الجنة، وأن ابن ملجم مجتهد في قتله الإمام علياً «عليه السلام»، ثم هم يدافعون عن يزيد بن معاوية لعنه الله، ويعتبرونه من أهل الجنة، بل ادَّعى له بعضهم النبوة قبحهم الله وإياه.

كما أن البعض كابن عربي يرى: أن فرعون مؤمن، وأن عبدة العجل موحدون مؤمنون، إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل وأضاليل.

هذا عدا عن أنهم قالوا: إن حاتم الطائي يدخل النار لكنه لا يعذب بها لجوده، وأن كسرى لا يعذب لعدله، وأن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة:

قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار[1].

إن أبا سفيان هذا، مؤمن تقي عادل، معصوم، وأبو طالب «عليه السلام» ـ أو فقل: أبو الإمام علي «عليه السلام» ـ كافر مشرك، وفي ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، ويغلي منه دماغه!!

نعم.. ما عشت أراك الدهر عجباً!!.

---

(١) النزاع والتخاصم ص٢٠ والصحيح من سيرة النبي الأعظم ج٧ ص٢٨٤.

حال أبي طالب عليه السلام حال رسول الله ﷺ:

وبعد.. فإن حال أبي طالب «عليه السلام» مع الأمويين وأشياعهم، ومن افترى عليه بغضاً منه بولده علي «عليه السلام».. يشبه إلى حد كبير حال النبي «صلى الله عليه وآله» مع المشركين، الذين حكى القرآن حالهم بقوله:

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾[1].

إن مبغضي أبي طالب يقولون: لن نقر بإيمان هذا الرجل، ولو تضافرت على ذلك كل الأدلة والشواهد، وحتى لو نص الله ورسوله عليه.

فبئس الخلف من الأمويين وأشياعهم، ومن الزبيريين وأتباعهم، ومن كل شانئ لعلي، ومصغر لشأنه، لبئس السلف من طواغيت الجاهلية وعتاتها، ومن قتلة الأنبياء وفراعنة الأرض، وجبابرتها.

أبو لهب ونصرة النبي ﷺ:

ثم إننا نشير أيضاً هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفي أبو طالب «عليه السلام» أعلن أبو لهب استعداده لنصرة النبي «صلى الله عليه وآله».

فاحتالت قريش، فأخبرته أنه يقول: إن أباك عبد المطلب في النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، وانقلب

---

(١) الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء.

ليكون عدواً له ما عاش[1].

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه القضية.

أولاً: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عدائه للنبي، ومحاربته له: أن هذا هو رأيه «صلى الله عليه وآله» ورأي الإسلام في كل من يموت مشركاً بالله تعالى؟! وعلى أي شيء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!.

بل إن أبا لهب كان من أهم الشخصيات القوية التي كانت تدير حركة الصراع ضد الإسلام العظيم، ونبيه الكريم، فكيف يمكن أن يجهل حملة لواء الشرك هذا الأمر، ويعرفه غيرهم؟!

ثانياً: لماذا عاداه في حياة أبي طالب «عليه السلام»، ثم عاد إلى حمايته ونصرته بعد وفاته؟!.

أو لماذا لم يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب «عليه السلام»؟!

ثالثاً: قد أسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركاً، بل كان على دين الحنيفية مؤمناً صادق الإيمان.

سر افتعال الرواية:

ولعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب «عليه السلام» للرسول قد كانت بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي.

---

(١) راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج٣ ص١٣٤ عن ابن الجوزي وتاريخ الخميس ج١ ص٣٠٢.

ولكن أين كانت حمية وعصبية أبي لهب قبل هذا الوقت، وأين كان حبه الطبيعي لابن أخيه؟

ولا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين في الشعب، وكادوا يهلكون جوعاً؟!.

وأين ذهبت حميته بعد ذلك؟

وهو الذي كان يتتبع النبي محمداً «صلى الله عليه وآله» من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الباب الثالث

من وفاة أبي طالب عليه السلام حتى الهجرة إلى المدينة

الفصل الأول: الهجرة إلي الطائف
الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة
الفصل الثالث: بيعة العقبة

[illegible]

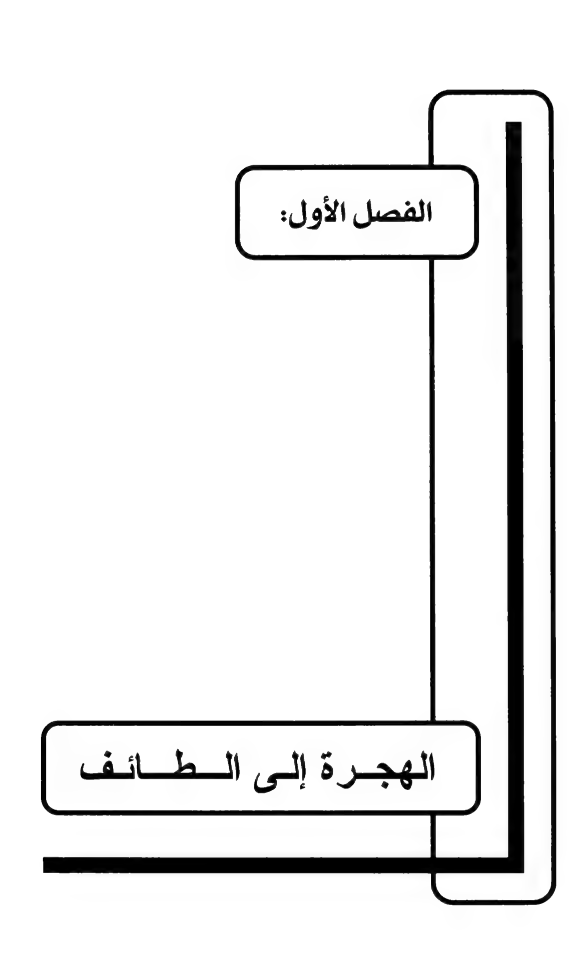
[illegible]

[illegible]

[illegible]

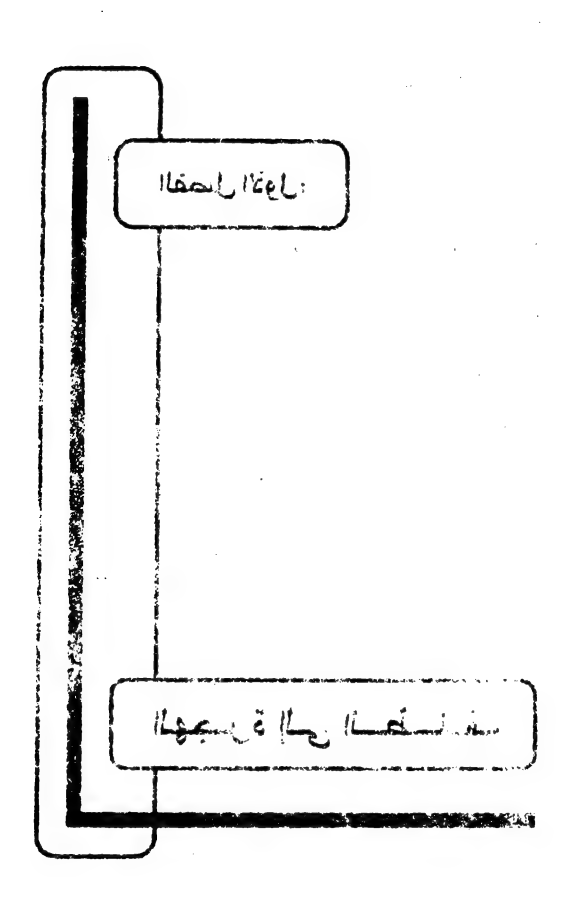
[illegible]

[illegible]



الفصل الأول:

الهجــرة إلــى الــطــائـف



لا بد من تحرك جديد:

لقد فقد النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بوفاة أبي طالب نصيراً قوياً، دافع عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن دعوته الإلهية، بيده ولسانه، وشعره، وولده، وعشيرته، وكل مواهبه وطاقاته، وضحى من أجله بمركزه وماله وعلاقاته الاجتماعية ـ كما قدمنا ـ فاعتقدت قريش أنه «صلى الله عليه وآله» سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده، بعد أن مات ناصره، فنالته بعد وفاة شيخ الأبطح بأنواع الأذى، مما عجزت عنه في حياة عمه العظيم، ووجدت الفرصة للتنفيس عن حقدها، وصب جام غضبها على ذلك الذي ترى فيه سبباً لكل مشاكلها ومتاعبها.

ورأى «صلى الله عليه وآله» أن الدعوة الإسلامية تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها، ومن دخول الآخرين فيها، ما داموا لا يرون في ذلك الدخول إلا العذاب والنكال، وإلا الذل والمهانة.

بل يمكن أن يتعرض ما حصل عليه، وجاهد من أجله وفي سبيله لأخطار بما لا يكون في وسعه مواجهتها وتجاوزها بنجاح تام.

ومن هنا فقد كان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية، وأكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة وإذا كان

بقاؤه «صلى الله عليه وآله» في مكة ـ إن لم يكن فيه خطر على الدعوة ـ معناه جمودها، وتحجيمها، وشل حركتها، فإن من الطبيعي أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حرية الحركة، والدعوة إلى الله، بعيداً عن أذايا قريش ومكائدها، ويتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب والتنكيل، قبل أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، وينهاروا أمام تلك الضغوط التي يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلك وسواه دافعاً إلى الهجرة إلى الطائف.

الهجرة إلى الطائف في كلمات المؤرخين:

فبعد أن أذن الله له «صلى الله عليه وآله» بالخروج من مكة إذ قد مات ناصره؛ خرج إلى الطائف، ومعه علي «عليه السلام»[1] ـ أو زيد بن حارثة أو هما معاً[2] على اختلاف النقل ـ وذلك لليال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام في الطائف عشرة أيام، وقيل: شهراً، لا يدع من أشرافهم أحداً إلا جاءه، وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، وأغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له في الطريق صفين، يرمونه بالحجارة، وعلي «عليه السلام» يدافع عنه، حتى شج في رأسه، أو أن الذي شج في رأسه هو زيد بن حارثة.

---

(١) سيرة المصطفى ص٢٢١ و ٢٢٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص٩٧ عن الشيعة.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٢٧ عن المدائني وسيرة المصطفى ص٢٢١ و ٢٢٢.

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» التجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وجلس في أحد جوانبه، فتحركت عاطفة ابني ربيعة، وهما يريان ما به من الجهد، فأرسلا إليه غلامهما عداساً ـ وهو نصراني من أهل نينوى ـ بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، وقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فتعجب عداس من أن يكون بهذا البلد أحد يذكر الله، وجرت بينهما مكالمة انتهت بإسلام عداس.

فقال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

ثم انصرف «صلى الله عليه وآله» راجعاً إلى مكة، فاستعد أعداؤه للقائه بأنواع من الأذى لم يعرفها من قبل.

ولكنه «صلى الله عليه وآله» كان مصمماً على مواجهة كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه علي «عليه السلام»، أو زيد: إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

فطلب من الأخنس بن شريق أن يجيره ليتمكن من دخول مكة، فرفض على اعتبار أنه حليف، والحليف لا يجير على الصميم[1].

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضاً، لأنه من بني عامر فلا يجير على بني كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدي، الذي تجهز ومن معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قريش جواره.

ويقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله، وقال

---

(١) قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنة.

آخرون: بل استمر في جواره مدة.

هكذا باختصار يروي المؤرخون قضية الهجرة إلى الطائف، ثم العودة منها.

هجرات أخرى له ﷺ:

ويقولون أيضاً: إنه بعد وفاة عمه خرج إلى بني صعصعة، ومعه علي؛ فلم يجيبوه، وغاب عن مكة عشرة أيام، وهاجر أيضاً مع علي وأبي بكر إلى بني شيبان، وغاب ثلاثة عشر يوماً، فلم يجد عندهم نصرة[1].

ولا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الأمور التي ترتبط بما تقدم، ونراها هامة، إلى حد ما، وهي التالية:

١ ـ ما ذكر عن عداس:

إننا نشك فيما ذكر من دور عداس، وأكله «صلى الله عليه وآله» العنب المهدى إليه، وذلك لما يلي:

أولاً: ما تقدم في الفصل السابق من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقبل هدية مشرك، ولا يرضى بأن يكون له أي فضل أو نعمة عليه، يستحق بها المكافأة.

فكيف قبل هدية ابني ربيعة المشركين، ورضي بأن يكون لهما فضل عليه؟!

إلا أن يقال: إنما قبل هدية عداس، ولعله لم يكن يعلم أن ابني ربيعة

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٢٦.

هما اللذان أرسلاه.

ثانياً: إن هذه الرواية تنص على أن عداساً قد أسلم، مع أن البعض ينص على أنه «صلى الله عليه وآله» قد عاد من الطائف محزوناً، لم يستجب له رجل ولا امرأة[1].

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب لـه أحـد من الأحرار، أو لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد، وعداس من أهل نينوى.

ثالثاً: كان قد مضى على دعوة الرسول «صلى الله عليه وآله» الناس إلى الإسلام حوالي عشر سنوات، وكانت شهرة دعوته قد تجاوزت مكة إلى غيرها من الأقطار والأمصار.

وأصبح ذكره وذكر ما جاء به على كل شفة ولسان.

كما أنه قد مضى على وجود النبي «صلى الله عليه وآله» في الطائف نفسها عشرة أيام، أو شهر وهو يدعو الناس إلى الله، لا يفتر ولا يمل فكيف إذاً يتعجب عداس من ذكر الله في ذلك البلد؟!.

فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع بذكره «صلى الله عليه وآله» ولا بدعوته هذه المدة كلها، سواء مدة وجوده في الطائف، أو مدة دعوته إلى الله في المنطقة؟!.

وقد قدمنا بعض الكلام عن عداس في مناقشتنا لروايات بدء الوحي فلا نعيد.

(١) راجع: طبقات ابن سعد ج١ القسم الأول ص١٤٢.

٢ـ دخوله ﷺ مكة بجوار:

وتقدم: أن الأخنس بن شريق، وسهيل بن عمرو لم يقبلا أن يجيرا النبي «صلى الله عليه وآله» ليدخل مكة، واحتج الأخنس بأنه حليف، والحليف لا يجير على الصميم.

فدخل «صلى الله عليه وآله» بجوار المطعم بن عدي، ونحن نشك في ذلك أيضاً.

أولاً: قد قدمنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقبل أن يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها، وهذه يد ولا شك.

ثانياً: كيف لم يعلم النبي الذي بلغ من العمر حوالي خمسين عاماً، ويعيش بين العرب، كيف لم يعلم طيلة هذه المدة: أنه ليس للحليف أن يجير على الصميم عندهم؟!!

وأن بني عامر لا تجير على بني كعب؟!

ثالثاً: أليس هذا يعتبر ركوناً للظالمين، ولغير أهل دينه؟ والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾[1].

ويقول: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2].

إلا أن يجاب عن هذا: بالنفي، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود في الآية.

رابعاً: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبة منه

---

(١) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١٣ من سورة هود.

في مواساة أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» أقل من ابن مظعون في ذلك؟! ولا يستطيع الصبر على تحمل المشاق والأذى الذي استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلك لعجيب حقاً!!.

ثم لماذا لم يخف من الأذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

وأما أنه كان يخشى على نفسه القتل فلذلك طلب الجوار؛ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشاً لا تستطيع ذلك.

وأنها تعرف: أنه في غير صالحها في تلك الظروف، وبالأخص إذا كان ذلك علناً، ثم أين كان عنه الهاشميون في تلك الساعة؟

ولماذا لا يحمون كبيرهم وسيدهم حتى يحتاج إلى جوار الآخرين؟!

وأين كان عنه أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل بأبي جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!.

٣ ـ إسلام نفر من الجن:

ويذكر هنا: أنه وهو «صلى الله عليه وآله» منصرف من الطائف إلى مكة، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم، مبشرين ومنذرين، فقص الله خبرهم في سورة الجن، فقال: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ**﴾[1].

ولكن الظاهر: أن قضية الجن قد كانت في أوائل البعثة؛ حيث إن

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة الجن.

الرواية تذكر: أنه لما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» حيل بين الجن وبين استراق السمع في السماء، وأرسلت عليهم الشهب، ففهموا: أن ذلك إنما هو لحدث جرى في الأرض فعادوا إليها، وبحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث، فاستمعوا القرآن وآمنوا، فنزلت الآية[1].

وفي رواية أخرى: أن إبليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه بنبأ بعثته «صلى الله عليه وآله»[2].

وإلى ما ذكرناه من كون ذلك في أوائل البعثة ذهب ابن كثير أيضاً[3].

ويدل على ذلك أيضاً: أن عدداً من الروايات تذكر: أن ابن مسعود كان معه «صلى الله عليه وآله» ليلة الجن[4].

وابن مسعود من المهاجرين إلى الحبشة، فلا بد أن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته إليها، أي قبل الخامسة من البعثة.

---

(١) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٢٧٠ و ٢٧٥، عن: البخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذي والنسائي، والحاكم، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل وغير ذلك. وتاريخ الخميس ج١ ص٣٠٣ و ٣٠٤ ويقال: إن آيات سورة الأحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبة. ولكن يدفع ذلك ما في الدر المنثور ج٦ ص٤٥ عن مسلم، وأحمد، والترمذي، وعبد بن حميد وغيرهم.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٣٠٤.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٣٠٣ عن المواهب اللدنية.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٣٠٤.

٤ ـ الطائف وعلاقاتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين اقتصادياً بأهل مكة ومن حولهم، لأنهم كانوا يصدرون الفاكهة التي هي عمدة محاصيلهم إلى مكة وغيرها من الأطراف المحيطة بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطاً اقتصادياً واجتماعياً بغيرهم، وهم بحاجة إلى التقرب والتزلف إلى هؤلاء، واستجلاب محبتهم ورضاهم، حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعي، أو إلى حصار اقتصادي ـ كما جرى لبني هاشم ـ من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.

ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات ـ وكان له سدنة، ويزوره العرب[1] إذ كانت لهم مكانة دينية أيضاً بين العرب ـ يهتمون جداً بالمحافظة عليه.

ومن هذا وذاك، نعرف السر في أنهم كانوا أشداء في مواجهة النبي «صلى الله عليه وآله»، وحريصين على إخراجه من بينهم بسرعة.

ويشار هنا: إلى أن أهل الطائف الذين قتلوا عروة بن مسعود الداعي إلى الإسلام قد تأخر إسلامهم إلى أواخر حياة النبي «صلى الله عليه وآله» فوفدوا عليه «صلى الله عليه وآله» في سنة تسع، سنة الوفود ولم يؤمنوا إلا بعد أن أدركوا: أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، فلا يخرج لهم

---

(١) الأصنام للكلبي ص١٦، والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج٣ ص١١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٣٥.

مال إلا نُهب، ولا إنسان إلا أُخذ؛ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا الخ..[١].

٥ ـ الإسلام دين الفطرة:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النبي «صلى الله عليه وآله»، رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة جداً.

الأمر الذي يؤكد على أن الإسلام كان يجد سبيله بيسر وسهولة إلى العقول الصافية والنفوس البريئة وينسجم مع الفطرة السليمة، التي لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفة، ولم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصية، والعواطف القبلية، وغير ذلك.

وكيف لا يجد سبيله إليها بيسر، وهو الدين القائم على الدليل والبرهان العقلي، والمنسجم مع الفطرة، وهو دين الضمير والوجدان الحي.

ومن هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه ومناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، وحاولوا أن يشوهوا صورته في أذهان أولئك الذين استمعوا إليه ـ وفي أذهان الصغار الذين أغروهم به «صلى الله عليه وآله» والذين يمكن أن تؤثر فيهم دعوته ـ بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقية، وإنما تتميز بالإهانة والأذى، ثم السخرية والاستهزاء الجارح والمهين.

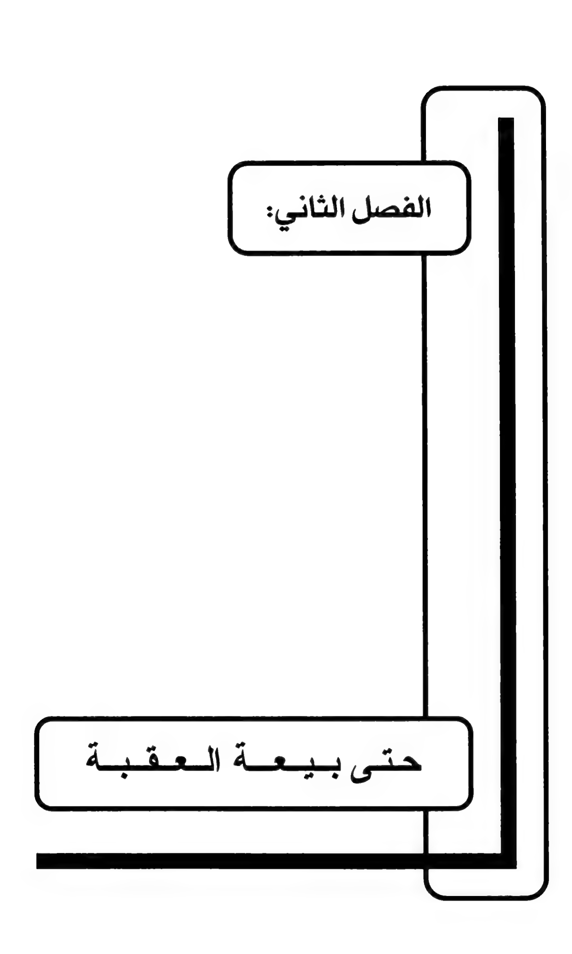
---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٨٣ وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٩ مطبوع بهامش الحلبية والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٨٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٣٥.

٦ ـ هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!.

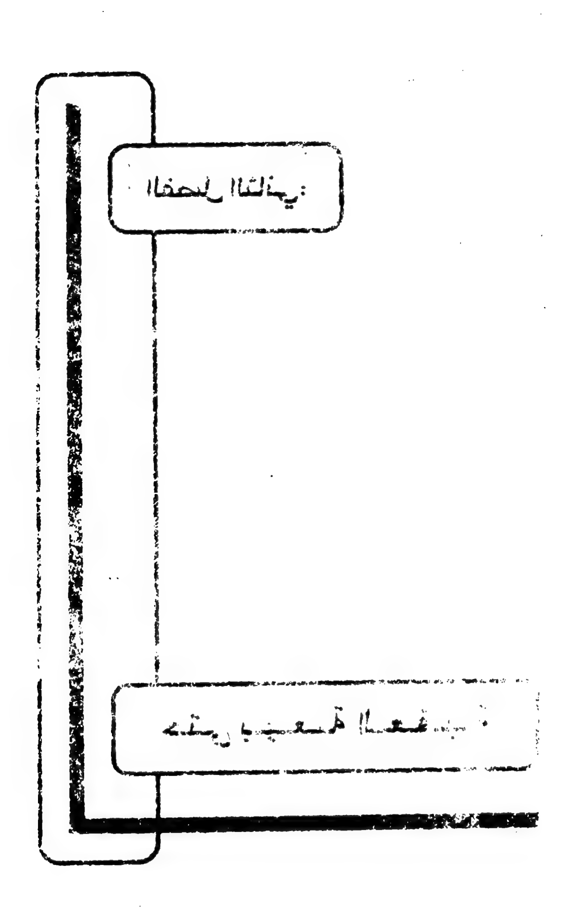
ولربما يتساءل البعض: عن الفائدة لهذه الرحلة الفاشلة؟ وفي جوابه نقول: إن هذه الرحلة لم تكن فاشلة، كما ربما يتصور البعض، فإن من الطبيعي أن تترك هذه الحادثة آثاراً إيجابية من نوع ما في أذهان من التقى بهم، وكلمهم، وأن تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبة والمرجوة منها، حيث قد أثرت بشكل واضح في تهيئة الجو لإيمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الإسلام، ولم تعد تخشى الضغوط الاقتصادية والاجتماعية عليها ممن حولها، ولا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين؛ لأن القبائل كانت تفد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فتعلن عن إسلامها، ويكتب لها كتاباً، ويشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك وأرعبهم.

وقد كانت قريش تشيع عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه مجنون أو ساحر، أو كاهن إلخ، فها هو «صلى الله عليه وآله» يتصل بالناس مباشرة، ويلمسون بأنفسهم حقيقة الأمر، ويتعرفون عن قرب على شخصيته وخصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبة والمغرضة؛ وليصير الإيمان به وبرسالته وبنبوته أسهل وأيسر، وليصبح أكثر قوة وعمقاً ورسوخاً.



الفصل الثاني:

حتى بيعة العقبة


الفصل الثاني:
حتى بيعة العقبة

المجاعة:

ثم هاجت الأزمة، وهي الجوع في قريش وأهل مكة ـ وكان ذلك بدعاء النبي «صلى الله عليه وآله» الذي دعا عليهم ـ حتى أكلوا العلهز[1]، والقد، وحتى أحرقوا العظام فأكلوها وأكلوا الكلاب الميتة، والجيف، ونبشوا القبور، وأكلت المرأة طفلها.. وحتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان؛ فشغل ذلك الناس بأنفسهم وبمشاكلهم، فأتيحت الفرصة للنبي «صلى الله عليه وآله» ـ ولو لفترة قصيرة ـ ليتحرك في سبيل دينه ورسالته داعياً إلى الله، ومجاهداً في سبيله.

فلما دخلت سنة إحدى عشرة من البعثة، جاء أبو سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، جئت بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا جوعاً، فادع الله لهم، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم؛ فكشف عنهم، يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**﴾[2].

فإن الظاهر هو أن هذه الآية قد جاءت جواباً لقولهم: ربنا اكشف عنا

---

(١) العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل في المجاعات ويؤكل.

(٢) الآية ١٥ من سورة الدخان، راجع: البدء والتاريخ ج٤ ص١٥٧، وتفسير البرهان ج٤ ص١٦٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيراً إلى ما صدر منهم سابقاً مما يدل على عدم وثوقه في وعدهم، ثم عاد إلى خطابهم بالآية الآنفة الذكر، متوعداً إياهم بالعذاب الأليم في الآخرة في صورة عودتهم إلى العناد.

ونشير هنا: إلى أن رجوع أبي سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به «صلى الله عليه وآله» هو الحق، ولكنهم جحدوا ذلك استكباراً وعتواً، وعلواً، وحفاظاً على الامتيازات الظالمة التي جعلوها لأنفسهم.

ومن **الجهة الثانية**، فإننا نجده «صلى الله عليه وآله» يستجيب لطلب أبي سفيان، ولكن ليس فقط لأجل ما ذكره من لزوم صلة الرحم؛ لأن الإسلام هو الصلة الحقيقية بين أبناء البشر جميعاً، وعلى أساسه تكون الأخوة بينهم.

وإنما يستجيب له ليعطيه دليلاً جديداً على أحقية ما جاء به، وليقيم الحجة عليه، وعلى كل من يرى رأيه؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وليمنح الفرصة للذين يعيشون بعيداً عن الأضواء، وليس لهم مصالح دنيوية كبيرة، ليفكروا بموضوعية وتجرد؛ بعيداً عن الأجواء المصطنعة.

عرض الإسلام على القبائل:

لقد كان النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يغتنم الفرصة في مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الإسلام، وتعمل على نشره وتأييده، وحمايته ونصرته، بل كان لا يسمع بقادم إلى مكة، له اسم وشرف، إلا تصدى له، ودعاه إلى الإسلام.

ولكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، ويعقب على كلامه، ويطلب منهم أن لا يقبلوا منه ولا يطيعوه في شيء.

هذا بالإضافة إلى اتهامه بالجنون، والسحر والكهانة، والشعر، وغير ذلك.

وكان الناس في الغالب يسمعون من قريش، إما خشية من سلطانها ونفوذها، وإما حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية في مكة، لا سيما في مواسم الحج، وعكاظ.

كما أن تصدي أبي لهب عم النبي «صلى الله عليه وآله» بالذات لإفساد الأمر عليه «صلى الله عليه وآله» كان أبعد تأثيراً في ذلك، على اعتبار: أنه عمه، وأعرف الناس به.

ولقد أفادت تحركات النبي «صلى الله عليه وآله» هذه، حيث إنهم بعد أن ذهبت شوكة قريش، وخمد عنفوانها، وأصيب نفوذها بنكسة قوية بسبب ظهور دعوته وانتشار دينه «صلى الله عليه وآله»، وتوالي انتصاراته عليها، ولا سيما بعد فتح مكة.

بدأت وفادات العرب تترى إلى المدينة، بعد أن أمنوا غائلة عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم ومساندتهم، لأن دعايات قريش وإشاعاتها الكاذبة قد ذهب أثرها، وبطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبي عن قرب، وعرفوا فيه رجاحة العقل، واستقامة الطريقة، منذ اجتمعوا به في تلك المواسم، وعرض دعوته عليهم.

وقد صرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً و كـانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل لا تنكر العرب ذلك.

فلما فتحت مكة واستسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ولا عداوته، فدخلوا في الدين أفواجاً[١].

بل إنه «صلى الله عليه وآله» حينما كان يعرض دعوته على القبائل كانوا يردون عليه أقبح الرد، ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك[٢].

وهذا يدل على أن الخوف من قريش لم يكن هو الدافع الوحيد للامتناع عن الدخول في الإسلام، لا سيما وأن الكثيرين من العرب كانوا بعيدين عن مكة، ولا يخشون سطوتها.

ونقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها، وهي أن تحرك النبي «صلى الله عليه وآله» وعرض دين الله على القبائل، وهجراته المتعددة في سبيله ليعتبر إدانة للمنطق القائل: إن على صاحب الدعوة: أن يجلس في بيته، ولا يتحرك، وعلى الناس أن يقصدوه ويسألوه عما يهمهم، ويحتاجون إليه.

بنو عامر بن صعصعة، ونصرة النبي ﷺ:

ونشير هنا إلى واقعة هامة، حدثت في خلال عرض النبي «صلى الله عليه وآله» دعوته على القبائل، وهي:

أن رسول «صلى الله عليه وآله» قد أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم دعوته فقال لهم رجل منهم، اسمه: «بيحرة بن فراس»: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب.

---

(١) راجع الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٨٦ و ٢٨٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣.

ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الأمر لله، يضعه حيث يشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك.

فأبوا عليه، فلما صدر الناس، رجع بنو عامر إلى شيخ لهم؛ فسألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم![1].

ومثل ذلك جرى له «صلى الله عليه وآله» مع قبيلة كندة، كما ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة[2].

ونحن نسجل هنا ما يلي:

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج٢ ص٦٦، والثقات لابن حبان ج١ ص٨٩ ـ ٩١، وبهجة المحافل ج١ ص١٢٨، وحياة محمد لهيكل ص١٥٢ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٤٧، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣، والروض الأنف ج١ ص١٨٠، والبداية والنهاية ج٣ ص١٣٩ و ١٤٠، وعن دلائل النبوة لأبي نعيم ص١٠٠ وحياة الصحابة ج١ ص٧٨ و ٧٩.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٣ ص١٤٠.

١ـ الأمر لله:

لقد نصت الرواية على أن الأمر لله يضعه حيث يشاء، ونستفيد من ذلك:

أ ـ إن الرسول لم يعط هؤلاء وعداً بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأن الأمر لله، يضعه حيث يشاء أي أنه لا يمكن أن يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماماً على العكس من السياسيين الذين عرفناهم في عصرنا الحاضر، وعلى مر العصور الذين لا يتورعون عن إغداق الوعود المعسولة على الناس، حتى إذا وصلوا إلى غايتهم، وجلسوا على كرسي الزعامة فإنهم ينسون كل ما قالوه، وما وعدوا به.

ولكن نبي الإسلام الأكرم «صلى الله عليه وآله» رغم أنه كان بأمس الحاجة إلى من يمد له يد العون لا سيما من قبيلة كبيرة تملك من العدد والعدة ما يمكنها من حمايته، والرد عنه، إلا أنه يرفض أن يعد بما لا يملك الوفاء به، حتى ولو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلاً.

ب ـ إن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بقوله: «الأمر لله يضعه حيث يشاء» يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم الأبرار رضوان الله تعالى عليهم، من أن خلافة النبوة ليست من المناصب التي يرجع البت فيها إلى الناس، بل هي منصب إلهي، والأمر لله فيها، يضعه حيث يشاء.

٢ـ سمو الهدف، والنظرة الضيقة:

وإن عرض هذه القبيلة مساعدتها على النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد في مساعدتها له وجه الله

سبحانه، ولا تنطلق في موقفها ذاك من قاعدة إيمانية قوية، وقناعة عقائدية راسخة، ولا طمعاً بثواب الله، ولا خوفاً من عقابه.

وإنما تنطلق في ذلك من نظرة ضيقة، مصلحية تجارية بالدرجة الأولى، وتريد من نصرها له أن تأكل به العرب، وتحصل على المجد والسلطان.

ومن الواضح ـ بناء على هذا ـ أن نصرها له لسوف ينتهي عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، وحصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى: أن تجارتها الدنيوية قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقاً يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمة التي تفرضها لنفسها.

وهكذا يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقلية كهذه، ويتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتماداً على سراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء والعذاب.

٣ ـ الدين والسياسة:

وقد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربي، وهو من بني عامر بن صعصعة، لما أخبروه بما يدعو إليه النبي «صلى الله عليه وآله»، ونقلوا إليه ما جرى لهم معه قد أدرك: أن هذا الدين ليس مجرد ترهب في الصوامع، وصلاة، ودعاء، وأوراد، وأذكار، بل هو دين يشتمل على التدبير والسياسة، والحكم، ولأجل هذا قال: «لو أني أخذت هذا الفتى (يعني محمداً بما له من الدعوة الشاملة) لأكلت به العرب».

ولقد سبقه إلى إدراك هذه الحقيقة شيخ الأنصار أسعد بن زرارة، لما قدم إلى مكة، وعرض عليه النبي «صلى الله عليه وآله» ما يدعو إليه، فرأى: أن فيه وفي دعوته ما يصلح مجتمعه، ويعالج مشاكلهم المستعصية بينهم

وبين إخوانهم من الأوس، وعلى هذا كانت الهجرة[1].

وقد أدرك ذلك أيضاً نفس أولئك الذين اشترطوا على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكون لهم الأمر من بعده، فرفض «صلى الله عليه وآله» طلبهم.

وسيأتي ذلك عن عامر بن الطفيل، في غزوة بئر معونة، فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسلام، ولدعوة القرآن، حتى إن هذا الفهم هو الذي مهد لإسلام الأنصار، ثم الهجرة، وكذلك لبيعتهم (بيعة العقبة الأولى والثانية)، واختيار النقباء والكفلاء على المبايعين وبين ذلك الذي يعتبر الدين منفصلاً عن السياسة، وأن السياسة أمر غريب عن الدين، فإن ذلك ولا شك من إلقاءات الاستعمار، ومن الفكر المسيحي الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

٤ـ نتائج عرضه ﷺ دعوته على القبائل:

ويمكننا أن نستفيد مما تقدم:

١ ـ ما تقدمت الإشارة إليه، من أن مقابلة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» للناس، والتحدث معهم مباشرة كان من شأنه: أن يعطي الناس الانطباع الحقيقي عن شخصية الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وحقيقة ما جاء به، ويدفع كل الدعايات والإشاعات الكاذبة، والمغرضة، التي كانت تبثها قريش وأعوانها، ككونه ساحراً، أو كاهناً، أو شاعراً، أو مجنوناً، أو غير ذلك من ترهات.

٢ ـ إن ما جرى في قضية بني عامر ليدل دلالة واضحة: على أن عرضه

---

(١) راجع: البحار ج١٩ ص٩ وإعلام الورى ص٥٧ عن القمي.

«صلى الله عليه وآله» دعوته على القبائل، قد أسهم في الدعاية لهذا الدين، ونشر صيته في مختلف الأنحاء، والأرجاء، فقد كان من الطبيعي أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه وسمعوه في سفرهم ذاك ولم يكن ثمة خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، وفي مكة بالذات.

زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة:

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوج بسودة بنت زمعة، وعقد على عائشة بنت أبي بكر وكان ذلك بعد عشر سنوات من البعثة.

ولا نجد لسودة دوراً هاماً في التاريخ، ولا في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» أو بعده وكل الاهتمامات مركزة على عائشة، حتى لقد حكموا باستحباب العقد في شوال، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد تزوج عائشة في شوال!![1] مع أنه «صلى الله عليه وآله» نفسه تزوج غيرها في أشهر أخرى!!.

وعلى كل حال، فإننا لن نستطيع أن نُلِمَّ في هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فإن ذلك متعسر، بل متعذر ولذلك فنحن نكتفي بذكر أمرين لهما صلة بموضوع زواجه «صلى الله عليه وآله» بها، ولربما تأتي إن شاء الله بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها.

وهذان الأمران هما: سن عائشة وجمالها وحظوتها عند النبي «صلى الله عليه وآله» فنقول:

---

(١) نزهة المجالس ج٢ ص١٣٧.

١ـ سن عائشة:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد عقد على عائشة، وهي بنت ست سنين، أو سبع، ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، وهي بنت تسع. وهذا هو المروي عنها(١).

ونحن نقول: إن ذلك غير صحيح، وأن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: إن ابن إسحاق قد عد عائشة في جملة من أسلم أول البعثة، قال: وهي يومئذٍ صغيرة، وأنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً فقط(٢).

فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فإن عمرها حين العقد عليها كان ١٧ سنة، وحين الهجرة ٢٠ سنة.

ويؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين، وقد بقي جماعة لم يهاجروا، والهجرة إلى الحبشة كانت بعد خمس سنوات من البعثة.. فيكون إسلام عائشة التي أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً بعد البعثة

---

(١) راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج٨ ص٣٩، والإصابة ج٤ ص٣٥٩، وتاريخ الطبري ج٢ ص٤١٣ وتهذيب التهذيب ج١٢، وأسد الغابة ج٥ وغير ذلك وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص١٩٠ لكنه ناقض نفسه ص١٩١ فقال: إنها توفيت سنة ٥٧ هـ. وعمرها ٦٤ سنة، وهذا يعني أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام ج١ ص٢٧١، وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن إسحاق، والبدء والتاريخ ج٤ ص١٤٦.

بوقت يسير.

ومما يزيد الأمر وضوحاً أنهم يقولون:

أن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما أسلم أبي جاء إلى منزله، فما قام حتى أسلمنا، وأسلمت عائشة وهي صغيرة[١].

وقالوا أيضاً: إن أسماء أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً[٢].

وقد ماتت سنة ٧٣[٣].

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي ص١٢٤.

(٢) عمدة القاري ج٢ ص٩٣ والإكمال للخطيب التبريزي ص١٤٨ وأسد الغابة ج٥ ص٣٩٢ وعن الإصابة ج٨ ص١٢ ـ ١٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٨٣ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٤٨ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٢٤ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٢٠٣ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي الأنصاري اليمني ص٤٨٨ ومرقاة المفاتيح ج١ ص٣٣١ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٧.

(٣) إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ص٢٧ وعمدة القاري ج٢ ص٩٣ وج٥ ص٢٩٨ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٧٧ وفيض القدير للمناوي ج١ ص١٠٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٨ و ٩ و ١٠ و ٢٩ و ٣٠ وسبل السلام للكحلاني ج١ ص٣٩ والإكمال للخطيب التبريزي ص١٤٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٩٥ وج٣ ص٣٧٩ والمستدرك للحاكم ج٤ ص١٥ والطبقات الكبرى ج٨ ص٢٤٩ و ٢٥٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص٢٦٩ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج٢ ص١٥٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٢٢٨ و (ط دار الجيل) ص١٧٨٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٣٥٥ وتقريب التهذيب ج٢ ص٦٢٨ ومستدركات علم رجال الحديث للنمازي ج٨ ص٥٤٦ وأسد الغابة =

وقد بلغت أو جازوت المائة[1].

وإن حاول بعضهم أن يجتهدوا ويقول غير ذلك[2].

كما أنهم قد صرحوا: بأن أسماء ولدت قبل البعثة بسبع وعشرين

= ج٥ ص٣٩٣ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٢٥ وشرح الزرقاني ج١ ص١٧٤ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال، والوافي بالوفيات ج٩ ص٣٦ ومرقاة المفاتيح ج١ ص٣٣١ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٧ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص٣٨١ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج٢ ص٥٠٢.

(١) إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص١٢٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٠ وج٧ ص٢٥٤ وعمدة القاري ج٢ ص٩٣ وج٥ ص٢٩٨ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ٦٩ ص٩ و ١٠ و ٢٧ و ٢٨ وسبل السلام للكحلاني ج١ ص٣٩ والإكمال للخطيب التبريزي ص١٤٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٧٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٣٥٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٨١ وذيل المذيل لتاريخ الطبري ص١٠٨ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج٢ ص١٥٦ والإصابة ج٤ ص٢٢٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٥١ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٨٣ وتقريب التهذيب ج٢ ص٦٢٨ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٤٨ والتنبيه والإشراف ص٢٧١ ووفيات الأعيان ج٣ ص٦٩ و ٧٥ وأسد الغابة ج٥ ص٣٩٣ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٢٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٢٤ والإمامة والسياسة ج٢ ص٢٤ و ٣٩ وشرح الزرقاني ج١ ص١٧٤ والوافي بالوفيات ج٩ ص٣٦ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٧ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج٢ ص٥٠٢ وشجرة طوبى ج١ ص١٢٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٣٥٤.

سنة[١].

أو قبل مبعثه بسبع عشرة سنة[٢].

وكانت أكبر من أختها عائشة بعشر سنوات[٣].

وحين ولدت كان عمر أبيها إحدى وعشرين سنة[٤].

فتكون النتيجة هي: أن عمر عائشة حين البعثة حوالي أربع سنوات، إذ المفروض ـ حسب قولهم ـ: أنها ولدت قبل الهجرة بسبع عشرة سنة.

غير أننا نقول:

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٠ وعمدة القاري ج٢ ص٩٣ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ٦٩ ص٩ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٣ و ٥٩٧ و ٥٩٨ وأسد الغابة ج٥ ص٣٩٢ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج٢ ص١٥٦ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص١٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٩ .

(٣) الإستيعاب ج٢ ص٦١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٨ و ٩ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢٠٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٩٥ وج٣ ص٣٨٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص٨٢ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٩٨ وسبل السلام للكحلاني ج١ ص٣٩ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٤٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٣٥٤ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٨١ و ٣٤٦ ومرقاة المفاتيح ج١ ص٧٣١ وراجع: أسد الغابة ج٥ ص٣٩٢.

(٤) مجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٩ و ١٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٨٩ وتهذيب الأسماء ج٢ ص٥٩٧ و ٥٩٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٧٧ وأسد الغابة ج٥ ص٣٩٢.

بل كانت أكبر من ذلك أيضاً، إذ قد دلت الروايات على أن إسلام أسماء كان يوم إسلام أبيها، بعد سبعة عشر إنساناً، ثم أسلمت عائشة بعدها مباشرة، لأن إسلامها كان بعد ثمانية عشر إنساناً ـ كما قلنا أيضاً.

فإذا كانوا يدَّعون أن أبا بكر كان أول من أسلم، فتكون النتيجة هي أن عائشة قد أسلمت في أول أو ثاني يوم من البعثة.

ومعنى ذلك: أن ولادتها قد كانت قبل البعثة بسنوات كبرت فيها عائشة، وأصبحت مميزة وعاقلة، ويقبل منها الإسلام.. وتدخل في لائحة المسلمين الأوائل لتأخذ موقعها التاريخي الذي يريدونه لها.

ثانياً: وفي مقام رفع التنافي بين قوله «صلى الله عليه وآله» لفاطمة: إنها سيدة نساء العالمين، وبين ما نسب إليه «صلى الله عليه وآله» من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[1].

يقول الطحاوي: «قد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها، إلى أن قال: وإن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملاً لأن يكون وهي حينئذٍ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك إلخ»[2].

لقد قال الطحاوي هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة

____

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٣٧.

(٢) مشكل الآثار ج١ ص٥٢.

صلوات الله وسلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمساً وعشرين سنة[١].

وهذا يعني أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، والفرض: أن فاطمة كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغة مبلغ النساء.

ثالثاً: يذكر ابن قتيبة أن عائشة قد توفيت سنة ٥٨ ـ وعند غيره سنة ٥٧ هـ ـ وقد قاربت السبعين[٢] ولضم ذلك إلى ما يقوله البعض من أن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين ثم ما روي عن عائشة من قولها: تزوجني رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا بنت تسع سنين[٣].

ولعل هذه الرواية هي الأقرب بقرينة ما قدمناه، ولكثرة الخلط بين كلمتي «سبع» و «تسع» بسبب عدم نقط الكلمات في السابق. بل إن هذا الرقم أيضاً مشكوك فيه لما تقدم، ولأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة.

فكلام ابن قتيبة والذي بعده يدل على أنها قد ولدت إما سنة البعثة أو

---

(١) مشكل الآثار ج١ ص٤٧. وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد إلخ.. على المزاح منه «صلى الله عليه وآله» معها؛ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما في قوله «صلى الله عليه وآله»: فاطمة سيدة نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية إلخ.. ولا سيما بملاحظة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن من المهتمين بأمور الأطعمة واللذيذ منها ليأتي بها كمثال على تفضيل في أمر حساس كهذا.

(٢) المعارف لابن قتيبة (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص٥٩.

(٣) راجع: حديث الإفك ص٩٣ والجزء الثالث عشر من هذا الكتاب.

قبلها، وهذا الثاني هو الأرجح لما قدمناه. في المستند الأول والثاني.

إذن، فيكون عمر عائشة حين عقد النبي «صلى الله عليه وآله» عليها في سنة عشر من البعثة أكثر من ست سنين بكثير، أي ما بين ثلاث عشرة إلى سبع عشرة سنة.

من طرائف الروايات الموضوعة:

ومن الموضوعات الغريبة في هذا المجال، ما جاء عن أبي هريرة: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما دخل المدينة، واستوطنها طلب التزويج؛ فقال لهم: أنكحوني؟! فأتاه جبرائيل بخرقة من الجنة فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، وأبلغه أمر الله له: أن يتزوج على تلك الصورة.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبرائيل؟

فقال له: إن الله يقول لك: تزوج بنت أبي بكر الصديق، فمضى رسول الله إلى منزل أبي بكر، فقرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله أمرني أن أصاهرك، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن الله أمرني أن أتزوج هذه الجارية وهي عائشة، فتزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1]. انتهى باختصار.

وعدا عما في سند هذه الرواية، فإننا نقول:

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج٢ ص١٩٤، وميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٤٤، وقد كذبا (الخطيب والذهبي) هذا الحديث الذي جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدّعّاء الأصم، وراجع: الغدير ج٥ ص٣٢١.

أولاً: لم نفهم كيف يتصرف النبي «صلى الله عليه وآله» تصرفاً لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، ويقول لهم: أنكحوني!!. إلا أن يكون صبياً صغيراً، لا حياء عنده، ولا عقل لديه!!

والغريب في الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابة طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، وأهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرائيل «عليه السلام» فتولى حل مشكلته.

ثانياً: هل صحيح: أن عائشة كانت من الحسن بهذه المثابة: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟!!

لعل في ما سيأتي مقنعاً وكفاية لمن أراد الرشد، والحق، والهداية.

ثالثاً: لقد تزوج النبي «صلى الله عليه وآله» عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولم يتزوجها في المدينة، وإجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

رابعاً: لم نعرف البنات الثلاث اللواتي عرضهن أبو بكر على النبي «صلى الله عليه وآله» فأسماء كانت تحت الزبير، وقدمت المدينة وهي حامل بولدها عبد الله وعائشة قد تزوجت النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة وأم كلثوم قد ولدت بعد وفاة أبي بكر[1]، ولم يولد له غيرهن.

وأخيراً، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبي بكر بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» من محبي الخليفة الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضية الغار إن شاء الله تعالى.

---

(١) راجع: نسب قريش لمصعب الزبيري ص٢٧٥ ـ ٢٧٨ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

٢ـ جمال عائشة وحظوتها:

ونسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشة، وعن حظوتها، وحب النبي «صلى الله عليه وآله» لها، إنما هو مروي عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروة، ونحن نقطع بعدم صحة ذلك كله من الأساس.

أولاً: لماذا لم يرو ذلك كله إلا من طريق عائشة، أو عروة ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

ثانياً: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقة: أنها لم تكن أحسن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً[1].

كما أن عمر إنما يصف زينب بالحسن، دون عائشة؛ فإنه لم يشر إليها في قليل ولا كثير؛ كما سيأتي.

ثالثاً: قال علي فكري: «وما رواه ابن بكار: من أن الضحاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً؛ فلما بايعه النبي «صلى الله عليه وآله» «قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب)؛ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ وعائشة جالسة تسمع؛ فقالت: أهي أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن وأكرم.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من سؤالها إياه «لأنه كان دميماً قبيح الوجه»[2].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٣٧ ط الهند.

(٢) السمير المهذب ج٢ ص٨ ـ ٩.

رابعاً: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لي عائشة. قال: كانت أدماء.

وقال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشة؟ قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء[١].

إذاً، فما يقال عنها أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلك بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها: «يا حميراء».. يصبح موضع شك وريب كبير.

ولعل قول النبي «صلى الله عليه وآله» لها ذلك قد جاء على سبيل التلطف والرفق بها.

أو لعله إشارة إلى قول العرب: شر النساء الحميراء المحياض[٢] فقال لها «صلى الله عليه وآله» ذلك على سبيل المداعبة والتلطف والمزاح.

وخامساً: إن من يتتبع سيرة زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» يجد: أن عائشة هي التي كانت تحسد وتغار من كل زوجة وسُرّيّة له «صلى الله عليه وآله».

ويدرك بما لا مجال معه للشك: أن أكثرهن ـ إن لم يكن كلهن ـ كن أكثر حظوة لدى النبي «صلى الله عليه وآله» منها.

إن لم نقل أنهن أجمل وأضوء منها أيضاً؛ فإن من الطبيعي أن نجد

---

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ج٢ ص١٥٥.

(٢) ربيع الأبرار ج٤ ص٢٨٠ وروض الأخيار ص١٣٠.

الدميم هو الذي يحسد على الجمال ويغار، أما الجميل فليس من الطبيعي أن يحسد الدميم، وأن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعي أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميلة الوضيئة، وقد ذكر في حديث الإفك على لسان أم المؤمنين عائشة قولها: «فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها».

ولو صدقنا: أنها كانت هي ذات الحظوة لدى الرسول، وأنه كان يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيرة، وهذا الحسد منها لهن؟

فإن الحسد لا بد أن يكون على شيء يفقده الحاسد، ويتمنى زواله عن المحسود، وانتقاله إليه، وإليك بعض موارد غيرة وحسد عائشة لضرائرها.

٣ ـ حسد وغيرة عائشة:

أ ـ خديجة عليها السلام:

عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها. ولكن لكثرة ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياها، وإن كان ليذبح الشاة؛ فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن[1].

---

(١) صحيح البخاري ج٩ ص٢٩٢، وج٥ ص٤٨، وج٧ ص٤٧، وج٨ ص١٠، وصحيح مسلم ج٧ ص١٣٤ و ١٣٣، وأسد الغابة ج٥ ص٤٣٨، والمصنف ج٧ ص٤٩٣، والاستيعاب هامش الإصابة ج٤ ص٢٨٦، وصفة الصفوة ج٢ ص٨، عن البخاري، ومسلم، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص١٥٣، والبداية والنهاية ج٣ ص١٢٨.

وللحديث عبارات وأسانيد مختلفة لا مجال لها الآن.

وقد ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» خديجة يوماً، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها؟

وفي لفظ مسلم: «وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيراً منها»؟ فغضب «صلى الله عليه وآله»، حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها الخ.. الرواية[1].

وقال العسقلاني والقسطلاني: «وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، لكن كانت تغار من خديجة أكثر»[2].

ولعمري، لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت خديجة على قيد الحياة؟!

وإذا كانت غيرة أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء، وكيف كانت معاملتها لهن؟!.

ب ـ زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشة في حديث الإفك بأن زينب هي التي كانت

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤، لكنه لم يذكر جوابه «صلى الله عليه وآله» وأسد الغابة ج٥ ص٥٥٧ و ٥٥٨ و ٤٣٨ والإصابة ج٤ ص٢٨٣، والاستيعاب هامشها ج٤ ص٢٨٦ و ٢٨٧، وصفة الصفوة ج٢ ص٨، ومسند أحمد ج٦ ص١١٧، وليراجع البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج٢ ص٢٠٢ والبداية والنهاية ج٣ ص١٢٨ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص٩٦.

(٢) فتح الباري ج٧ ص١٠٢، وإرشاد الساري ج٦ ص١٦٦ وج٨ ص١١٣.

تساميها من أزواج النبي «صلى الله عليه وآله».

واعترفت عائشة أيضاً: أنها قد أخذها ما قرب وما بعد، حينما أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جمالها[١].

وما فعلته عائشة وحفصة مع زينب، في قضية المغافير مشهور ومسطور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آية التحريم[٢]، وإن كنا نعتقد أنها نزلت في غير هذه القضية.

واعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب عندما قال لابنته: ليس لك حظوة عائشة، ولا حسن زينب[٣].

فلو كانت عائشة موصوفة بالحسن لقدمها على زينب في هذا الأمر.

أما الفقرة الأولى فنحن نشك في صحتها، ونعتقد أنها سياسة من عمر تجاه أم المؤمنين، أو من تزيّد[٤] الرواة لحاجة في النفس، وذلك لما تقدم وسيأتي.

ومهما يكن من أمر، فإن أم سلمة تذكر: أن زينب كانت معجِبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يستكثر منها[٥].

---

(١) الإصابة ج٤ ص٣١٤، وطبقات ابن سعد ج٨ ص٧٢، والدر المنثور ج٥ ص٢٠٢ عن ابن سعد، والحاكم.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٧٦، وحياة الصحابة ج٢ ص٧٦١ عن البخاري ومسلم.

(٣) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٣٧، ١٣٨.

(٤) طبقات ابن سعد ج٨ ص٧٣، وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٣٤٧.

(٥) المواهب اللدنية ج١ ص٢٠٥ وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٣٦٢.

ج ـ أم سلمة:

كانت أم سلمة «رحمها الله تعالى» من أجمل الناس[١].

وعن الإمام الباقر: أنها أجمل نساء النبي «صلى الله عليه وآله». ويذكرون أن قصة المغافير من عائشة وحفصة كانت معها[٢].

كما أن عائشة قد اعترفت بأن أم سلمة وزينب كانتا أحب نسائه «صلى الله عليه وآله» إليه بعدها[٣].

تقول عائشة: «ولما تزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» أم سلمة حزنت حزناً شديداً، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت والله أضعاف ما وصفت إلخ»[٤].

وقال ابن حجر: «كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ.. إلخ»[٥].

د ـ صفية بنت حيي بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلمية: «كانت من أضوأ ما يكون من النساء»[٦].

ولما قدمت المدينة جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، وعائشة متنقبة معهن.

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ج٨ ص١٢٢، والدر المنثور ج٦ ص٢٣٩.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٨١.

(٣) الإصابة ج٤ ص٤٥٩، وطبقات ابن سعد ج٨ ص٦٦.

(٤) الإصابة ج٤ ص٤٥٩.

(٥) الإصابة ج٤ ص٣٤٧، وص٤٦٣ وطبقات ابن سعد ج٨ ص٨٧.

(٦) الإصابة ج٤ ص٣٤٧، وطبقات ابن سعد ج٨ ص٩٠..

فلما سألها رسول الله: كيف رأيت يا عائشة؟

قالت: رأيت يهودية.

فنهاها «صلى الله عليه وآله» عن قولها ذاك[1].

وعندما وقعت في السبي جعلوا يمدحونها، ويقولون: رأينا في السبي امرأة ما رأينا ضربها[2].

ولما أرسلت صفية قصعة فيها طعام إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في بيت عائشة أخذتها رعدة حتى استقلها أفكل، وضربت القصعة، فرمت بها الخ..[3].

وقد أكد لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنها خير من حفصة وعائشة[4].

هـ. جويرية بنت الحارث:

تقول عائشة إنها كانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأتت رسول الله «صلى الله عليه وآله» تستعينه في كتابتها.

قالت عائشة: فوالله ما هي إلا أن رأيتها، فكرهتها، وقلت: يرى منها

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص٨٨.

(٢) مسند أحمد ص٢٧٧ ج٦، والبخاري باب الغيرة، أواخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشة!!!.

(٣) أسد الغابة ج٥ ص٤٩١.

(٤) الإصابة ج٤ ص٢٦٥، والاستيعاب هامش الإصابة ج٤ ص٢٥٩، وصفة الصفوة ج٢ ص٥٠.

ما قد رأيت، فلما دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..[١].

و ـ مارية القبطية:

قالت عائشة: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فاعجب بها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكان أنزلها أول ما قدمت في بيت لحارثة بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل والنهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّلها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا[٢].

وعن جعفر «عليه السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قد حجب مارية «وكانت ثقلت على نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وغرن عليها، ولا مثل عائشة»[٣].

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعجب بمارية، «وكانت مارية بيضاء جعدة، جميلة»[٤]. وكانت حسنة الدين[٥].

---

(١) الإصابة ج٤ ص٤٠٥، وطبقات ابن سعد ج٨ ص١٥٣، ولتراجع: البداية والنهاية ج٣ ص٣٠٣ و ٣٠٤ ووفاء الوفاء للسمهودي ج٣ ص٨٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٨٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩.

(٣) طبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٨٦، والإصابة ج٤ ص٤٠٥.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٣٥٥، وطبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص٨٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٠٣.

(٥) ذخائر العقبى ص٥٤ والاستيعاب هامش الإصابة ج١ ص٤٢، وطبقات ابن سعد ج٨ ص١٥٣.

وتنافست الأنصار فيمن يرضع إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي «صلى الله عليه وآله»، لما يعلمون من هواه فيها[١].

ولعل مما زاد في غيرة عائشة قضية ولادة إبراهيم منها، حتى تجرأت على نفي شبهه برسول الله، رغم تأكيد النبي «صلى الله عليه وآله» لها على ذلك[٢] وحتى كان ما كان من نزول آية التحريم، كما عن السيوطي وغيره.

ز ـ سودة بنت زمعة:

كانت عائشة تقول: ما من الناس امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد[٣].

وليراجع ما فعلته حفصة بسودة، وضحكها هي وعائشة عليها[٤].

ح ـ أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها وأشبّه، وقد حسدتها نساء النبي «صلى الله عليه وآله» وخدعنها، وكانت الخديعة لها من عائشة وحفصة معاً، حتى قالت

---

(١) طبقات ابن سعد ج١ ص٨٨ والدر المنثورج٦ ص٢٤٠ عن ابن مردويه والبداية والنهاية ج٣ ص٣٠٥ وقاموس الرجال ج١١ ص٣٠٥ عن البلاذري. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٣٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه وتاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج٢ ص٨٧.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٣٧، والبداية والنهاية ج٨ ص٧٠.

(٣) حياة الصحابة ج٢ ص٥٦٠ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣١٦.

(٤) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١٥، ٤١٦ دون تصريح باسم من خدعها.

للنبي «صلى الله عليه وآله»: أعوذ بالله منك، فطلقها[١].

ط ـ مليكة بنت كعب:

كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فطلقها[٢].

ي ـ أم شريك:

وهبت نفسها للنبي «صلى الله عليه وآله»، فقبلها «صلى الله عليه وآله»، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة؛ فقال: **﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾**[٣]، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة للنبي «صلى الله عليه وآله»: إن الله ليسرع لك في هواك[٤].

ك ـ شراف بنت خليفة:

خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» امرأة من كلب؛ فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت، فقال لها رسول الله: ما رأيت؟

فقالت: ما رأيت طائلاً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لقد رأيت طائلاً، لقد رأيت

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص١١٢.

(٣) الآية ٥٠ من سورة الأحزاب.

(٤) طبقات ابن سعد ج٨ ص١١٥.

خالاً بخدها، اقشعرت كل شعرة منك.

فقالت: يا رسول الله، ما دونك سر[٢].

ل ـ حفصة بنت عمر:

بل إن عائشة كانت تغار حتى من رفيقتها حفصة، ويقال: إن قضية المغافير كانت لها معها[١].

نهاية المطاف:

هذه كانت حالة عائشة مع زوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، وأكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، وحسنهن الرائع كما قدمنا، ولم نجد لأي من زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» معشار ما وجدناه لعائشة من المشاكل والتجاوزات ـ اللهم إلا رواية أو روايتان مرويتان عن عائشة نفسها!! فهذا السيل العارم منها ـ خاصة ـ دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمة ما يبرز منها وهو أنها تحس بالنقص في نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

وهكذا، تسقط جميع الادعاءات والروايات التي عن عروة وغيره وعنها، والتي تدعي حظوتها ومكانتها لدى النبي «صلى الله عليه وآله»، أو على الأقل تصير محل شك وريب.

وأما ما يقال في حديث الإفك فإنه أيضاً باطل وقد فصلنا القول في ذلك في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب.

---

(١) راجع: حياة الصحابة ج٢ ص٧٦٢ عن البخاري ومسلم وعن تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٨٧ وعن جمع الفوائد ج١ ص٢٢٩ وعن طبقات ابن سعد ج٨ ص٨٥.

وملاحظة أخيرة نسجلها هنا، وهي: أننا نجد عائشة تكثر من أحاديث تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» ومباشرته لها وهي حائض واغتسالها وإياه من إناء واحد، وغير ذلك من الأحاديث التي تتخذ طابع الجنس، والإغراء، واللذة.

ولا نجد من ذلك الشيء الكثير عند غيرها من نسائه «صلى الله عليه وآله»، ولعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن ثمة ما يربطها برسول الله بصورة قوية، حيث لم يكن لها ولد منه «صلى الله عليه وآله» وليس لديها من المستوى الفكري والثقافي والعملي ما يصلح أن يكون نقطة اشتراك ويجعل لها به ارتباطاً خاصاً ووثيقاً خصوصاً وأن اهتماماتها ليس من جنس اهتماماته وتطلعاتها لا تلتقي مع تطلعاته «صلى الله عليه وآله».

وإن حاولت أن تتعاطى مع الأمور على أساس أن تعطي نفسها الدور الريادي في مختلف المجالات من موقع الطموح العارم، للحصول على الامتيازات والمغانم، دون أن يكون لديها أي حرج يرفد هذا التوجه بالادعاءات العريضة، والاندفعات الحماسية في أكثر من اتجاه.

وماذا بعد؟!

هذا وإننا لا نجد مبرراً لتحمل النبي «صلى الله عليه وآله» من عائشة جرأتها، وتجاوزاتها المتكررة وإيذاءها له في أخيه علي، وفي زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائي بالنسبة إليها، لأن السياسة كانت تقضي عليه بتحمل كل هذه المشاق.

ويدلنا على أن النبي «صلى الله عليه وآله»: كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسي الحرج، لا من جو بيت الزوجية:

قول عمر لحفصة ـ عندما تظاهرت على النبي «صلى الله عليه وآله» مع عائشة واعتزلهن ـ : والله، لقد علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

هذا، ولم يكن ثمة من يستطيع الجهر بالحقيقة، وإظهار الواقع، لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشة، ويعلي قدرها، ويرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، وأسناها.

وكان ثمة خطة مرسومة لإظهار عظيم منزلتها، وإغداق الأوسمة عليها بثمن، أو بغير ثمن!!

وكانت هي تستغل موقعها كزوجة للنبي «صلى الله عليه وآله»، وكأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجة الهيئة الحاكمة إليها، وكل ذلك يفسر لنا السر في أنها كانت توحي للناس بانها أقرب زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» إليه، وآثرهن لديه؛ لجمالها، ولكونه «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها بكراً حسب دعواها.

وكأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يهتم للبكارة وللجمال (مع نقاش لنا في ذلك).

ولا ندري ما هو السر في تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد؟ حتى إنها لم تر في نفسها المؤهلات لأن تعتز بالدين، وبالمعاني الإنسانية النبيلة أو لعلها كانت ترى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا ينطلق في حبه وبغضه من

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٨٩. ولسوف يأتي مزيد توضيح لذلك في البحث عن سبب كثرة زوجاته قبل واقعة أحد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الدين والأخلاق، وإنما من الشهوة، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهواني لا أكثر.

دخول الإسلام إلى المدينة:

وثمة خلاف بين المؤرخين في من؟ ومتى؟ وكيفية إسلام أول دفعة من أهل المدينة.

ولكننا نستطيع أن نؤكد على أن الإسلام قد دخل المدينة على مراحل. فأسلم أولاً: أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشعب، ثم أسلم خمسة، أو ثمانية، أو ستة نفر بعد ذلك، ثم كانت بيعة العقبة الأولى، ثم كانت بيعة العقبة الثانية، وهذا هو ما يظهر من مغلطاي[1] وغيره.

ولذلك فهم يقولون: إن أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد القيس الخزرجيين قدما مكة في أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين في الشعب (شعب أبي طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة على الأوس.

فرفض عتبة ذلك، وقال: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء.

فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم، وأنه أفسد شبابهم، وفرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه.

وأمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن في أذنيه، حتى لا يسمع ما

---

(١) راجع سيرة مغلطاي ص٢٩.

يقوله النبي «صلى الله عليه وآله»، الذي كان آنئذٍ يجلس في الحجر مع طائفة من بني هاشم.

وكانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم، وجاء أسعد للطواف، ورأى النبي «صلى الله عليه وآله» جالساً في الحجر، فقال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أن يكون هذا الحديث في مكة فلا أتعرفه، حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم، ثم أخذ القطن من أذنيه فرمى به، وجاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فسلم عليه، وكلمه؛ فعرض عليه «صلى الله عليه وآله» ما جاء به فأسلم، وأسلم بعده ذكوان.

وفي رواية: أنه لما التقى النبي «صلى الله عليه وآله» بأسعد بن زرارة وذكوان، قال أسعد للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، وبيننا وبين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ومعي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك.

والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد أعلمنا اليهود ذلك؛ فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به، وتخبرنا بصفته؛ فهلم فأسلم؛ فأسلم ذكوان إلخ[1].

---

(١) البحار ج١٩ ص٩ وإعلام الورى ص٥٧ عن علي بن إبراهيم.

ثم في سنة إحدى عشرة من النبوة خرج النبي «صلى الله عليه وآله» في الموسم، يعرض على القبائل دعوته، ويطلب منهم نصرته؛ فالتقى على العقبة برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى الله والإسلام، وقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، وكانوا ستة نفر، وهم: أسعد بن زرارة، وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعوف بن الحارث ورافع بن مالك، وعقبة وقطبة ابنا عامر.

وقيل: ثمانية نفر وقيل غير ذلك (وثمة اختلاف في أسمائهم، وذكر أشخاص آخرون مكان بعض من قدمنا أسماءهم، ولا مجال لتحقيق ذلك).

ورجع أولئك النفر إلى قومهم في المدينة، فذكروا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعوهم إلى الإسلام.

ثم كانت بيعة العقبة الأولى في سنة اثنتي عشرة من البعثة أي قبل الهجرة بسنة[1].

ولعل أسعد بن زرارة كان قد كتم إسلامه هو وذكوان، حتى كان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانية معه «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة بسنة فاعلنوا ذلك ونحن قبل أن نمضي في الحديث نشير إلى ما يلي:

١ ـ إخبارات أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: أن أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النبي عن قريب، وأن ذلك قد جعلهم مهيئين نفسياً لقبول الدين الذي جاء به هذا النبي «صلى الله عليه وآله».

---

(١) البحار ج١٩ ص٩ وإعلام الورى ص٥٧ عن علي بن إبراهيم.

٢ـ المشاكل بين الأوس والخزرج:

لقد كانت ثمة حروب هائلة بين الأوس والخزرج، كانت آخرها وقعة بعاث التي انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميون والنبي «صلى الله عليه وآله» محصورين في شعب أبي طالب.

وكانت الحالة بين القبيلتين صعبة للغاية، حتى ليذكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا في النهار[1] مما يعني أنهم يعانون من أقسى الحالات التي يمكن أن يواجهها من يملك إمكانات معيشية محدودة مثلهم.

وحتى لقد كان واضحاً: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحالة المأساة.

ويأملون في وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زرارة، الذي كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبة بن ربيعة ضد الأوس.

فأهل المدينة إذاً قد ذاقوا مرارة الانحراف والظلم، وهم يريدون المنقذ الحقيقي لهم، وقد وجدوه في نبي الإسلام الأعظم «صلى الله عليه وآله» الذي جاءهم بتعاليم الشريعة السهلة السمحاء.

ولذلك فقد قالوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نرجع إلى قومنا، ونخبرهم بالذي كلمتنا به، فما أرغبنا فيك.

إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حياً من العرب بينهم من العداوة ما بينهم، وسنرجع إليهم بالذي سمعنا منك، لعل الله يقبل

---

(١) البحار ج١٩ ص٨ و ٩ و ١٠ وإعلام الورى ص٥٥.

بقلوبهم، ويصلح بك ذات بينهم، ويؤلف بين قلوبهم»[١].

٣ـ تعاليم الشريعة السمحاء:

إن تعاليم الإسلام هي التعاليم الموافقة للفطرة السليمة، وبلا تعقيد أو إبهام فيها، فهي بسيطة وسهلة، لا يحتاج إدراك حقانيتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد في فهم مراميها، والتكهن بنتائجها.

ولذلك نجد أهل المدينة يدركون بسرعة قدرة هذه الدعوة على حل مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سماعهم لأهدافها، ومبادئها.

ومن الواضح: أن أهل المدينة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكة، الذين يحاربون الإسلام لأنهم رأوا فيه خطراً على مصالحهم الشخصية، وامتيازاتهم الظالمة التي فرضوها لأنفسهم، وأهوائهم وانحرافاتهم، كما أوضحناه في غير موضع.

إن أهل المدينة بالإضافة إلى إخبارات اليهود لهم، قد رأوا منذ اللحظات الأولى في الإسلام وتعاليمه المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ورأوا فيه الموافقة للفطرة والعقل السليم، سواء على صعيد العقائد أو التشريع، أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعي والسياسي، فقد سألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عما يدعو إليه، فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى: **﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ،**

---

(١) الثقات لابن حبان ج١ ص٩٠ و٩١.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ولأجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوة، وحاربوا قريشاً والعرب من أجلها وفي سبيلها.

٤ ـ المدنيون والمكيون:

إن الوثنية التي كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخلية، على اختلافها، ولا حتى أن تخفف من حدتها.

كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعية، ولا اقتصادية ولا غيرها، ولذلك فقد ضعفت ووهنت، وزاد في ضعفها ووهنها مخالفتها للفطرة السليمة، والعقل القويم.

ثم جاءت إخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلك الضعف والوهن إلى حد بعيد.

وهذا تماماً على عكس الحال في مشركي مكة؛ فإنهم كانوا يستفيدون من وثنيتهم اجتماعياً واقتصادياً.

وجعلوا من أنفسهم محوراً تلتقي عليه سائر الفئات والقبائل في المنطقة، وكرسوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات الظالمة، ولم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه الامتيازات من أجل خدمة الحق والإنسان، بل كانوا يضحون بالإنسان والحق في سبيل امتيازاتهم، وانحرافاتهم، ومصالحهم تلك.

---

(١) الآيتان ٥٢ و ٥٣ من سورة الأنعام.

هذا، ولا بد من ملاحظة ما قدمناه حين الكلام على العوامل التي ساعدت على انتصار الإسلام وانتشاره، لنجد:

أن شخصية الرسول العظيمة، وأخلاقه الكريمة، وكونه من أرفع بيت في قريش والعرب ـ ويضيف البعض: رابطة القربى، التي كانت تربطه ببني النجار الخزرجيين، عن طريق آمنة بنت وهب ـ[1].

كل ذلك وسواه مما تقدم قد أسهم في إقبال أهل المدينة على الإسلام، وتقبل دعوته، والتضحية في سبيله.

---

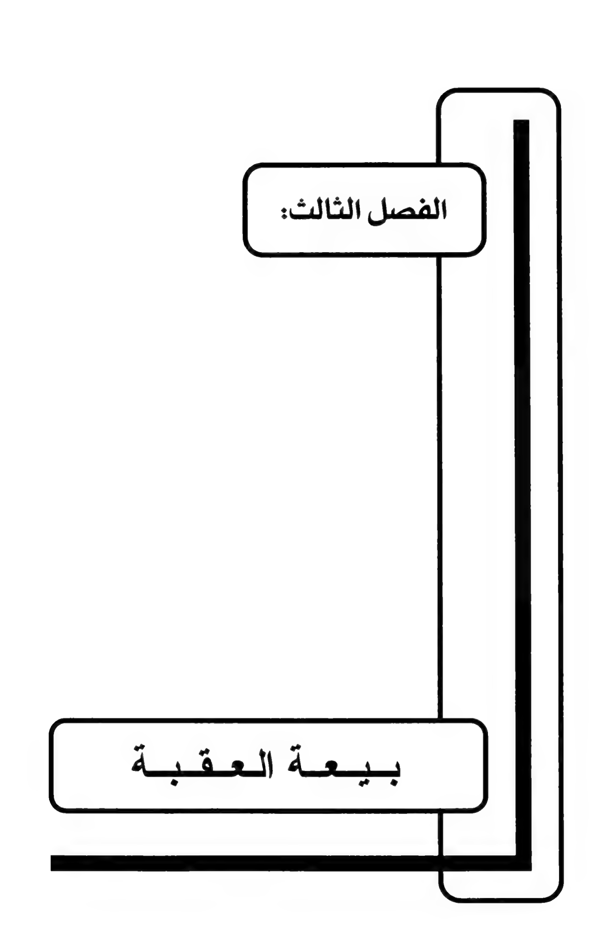
(١) ولكنه تعليل لا شاهد له، ما دام أن مجرد وجود رابطة كذلك لا توجب ما ذكر.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



الفصل الثالث:

بيعة العقبة

الفصل الثالث:

بحث العقيقة

بيعة العقبة الأولى:

يقول المؤرخون:

إنه حينما عاد أولئك النفر المدنيون الذين أسلموا إلى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة، وافى الموسم اثنا عشر رجلاً اثنان منهم أوسيان، والباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول «صلى الله عليه وآله» في العقبة، وبايعوه على بيعة النساء، أي البيعة التي لا تشتمل على حرب، أي:

«على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فإن وفوا فلهم الجنة وإن غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم إلى الله عز وجل، إن شاء عذب، وإن شاء غفر».

ولما رجعوا إلى المدينة أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان

يسمى المقري، وألحقه بابن أم مكتوم[1] كما قيل.

وأقام مصعب أول صلاة جمعة في المدينة!!. وقد نجح مصعب، ومن معه ممن أسلم في الدعوة إلى الله تعالى، وأسلم سعد بن معاذ، الذي كان السبب في إسلام قومه بني عمير بن عبد الأشهل، حيث إنه حين أسلم على يد مصعب رجع إلى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعرفون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نفساً وأمراً.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فوالله، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً، أو مسلمة[2]، فأسلموا كلهم في يوم واحد، (إلا عمرو بن ثابت، فإنه تأخر إسلامه إلى أحد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجدة واحدة، كما قيل).

وأقام مصعب بن عمير يدعو الناس إلى الإسلام، حتى أسلم الرجال والنساء من الأنصار باستثناء جماعة من الأوس، اتبعوا في ذلك أحد

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥١ و ١٥٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٩ وفيه أن الواقدي ذكر أن ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل، وفي كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجراً بعد بدر بسنتين. ثم جمع الحلبي بين الأقوال باحتمال: أن يكون قد علَّم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة، ثم عاد فهاجر بعد بدر.. وهو احتمال وجيه لا بأس به.

(٢) راجع ما تقدم: في سيرة ابن هشام ج٢ ص٧٩ ـ ٨٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٨٤.

زعمائهم، الذي تأخر إسلامه إلى ما بعد هجرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»[١].

ولنا هنا وقفات، فلنقف أولاً مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوة إلى الله ليست مختصة بالأنبياء والأوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات وقدرات.

وهي من الأمور التي يلزم بها العقل الفطري السليم، ويوجبها على كل إنسان، ولا تحتاج إلى جعل شرعي؛ فإن العقل يدرك أن في ارتكاب المنكرات، وترك الواجبات، والانحراف في الفكر والعقيدة والسلوك ضرراً جسيماً على المجتمعات وعلى الأجيال ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة إلى الالتزام بالخط الفكري الصحيح، وترك المنكر، وفعل المعروف.

وهذا هو ـ بالذات ـ ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ في الدعوة إلى الله تعالى، حتى إنه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

وإن عظمة هذا الموقف لتتضح أكثر إذا عرفنا مدى ارتباط سعادة ومصير الإنسان العربي في تلك الفترة بقبيلته ومدى ارتباطه بها فهو حين يضحي بعلاقاته القبلية، فإنه يكون قد ضحى بأمر عظيم وأساسي في حياته وفي مصيره، ومستقبله، في سبيل دينه.

وقد جاء القرآن مؤيداً لحكم العقل والفطرة هذا؛ ففرض على كل من

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٨٤ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٩٠ والسيرة لابن هشام ج٢ ص٧٩ ـ ٨٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٤.

كان له بصيرة في أمر الدين أن يدعو إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[١].

كما أننا لا بد أن نشير أيضاً: إلى أن من عرف الحق، وذاق حلاوة الإيمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع في محاولة لجلب الآخرين نحو هذا الحق، وجعلهم يؤمنون به، ويستفيدون منه، ويلتذون به ويشعرون بحلاوته.

ولذلك نجد الإمام علي بن الحسين «عليه السلام»، الذي كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوة في الأمة الإسلامية، والذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، والبلايا في الدولة الأموية، وبعدها في الدولة العباسية كان يظهر تذمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف والمناسبات، وهو يرى حدة اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوة الإيمان، وضرورة إبلاغ كلمة الحق، قال الإمام السجاد «عليه السلام»: «وددت أني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعديّ: النزق وقلة الكتمان»[٢].

أضف إلى ذلك: أن التراحم فيما بين المؤمنين، والشدة على الكافرين يصبح أمراً طبيعياً، كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[٣].

---

(١) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٢) سفينة البحار ج١ ص٧٣٣ والبحار ج٧٥ ص٦٩ و ٧٢ عن الخصال ج١ ص٢٤ والكافي ج٢ ص٢٢١.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الحج.

البيعة:

ونجد: أن نص البيعة قد تضمن الخطوط العريضة، وأهم المبادئ التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، وهي تتضمن جانباً عقائدياً، وآخر عملياً، وقد حملهم «صلى الله عليه وآله» مسؤوليات معينة في علاقاتهم مع بعضهم بعضاً.

وجعل التزامهم هذا قائماً على إعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تتنافى مع شرف الكلمة وقدسيتها؛ وذلك تحت عنوان: «البيعة» التي تعني إعطاء كلمة الشرف بالالتزام بتلك المبادئ.

ولكنه لم يقرر عقاباً عنيفاً لمن ينقض هذا العهد، ويتجاوز ويغش فيه؛ فإن الوقت حينئذٍ لم يكن مناسباً لقرار كهذا.

بل أوكل ذلك إلى الوجدان والضمير الشخصي لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدي، ومع إعطاء الفرصة له للعودة لإصلاح الخطأ إن كان؛ حيث أبقى الأمل حياً لدى ذلك الذي يمكن أن يغش، وأوكل أمره إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

صلاة الجمعة:

وقد تقدم في الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين في المدينة قبل الهجرة[1].

وربما يشكل على ذلك: بأن سورة الجمعة قد نزلت بعد هجرته «صلى

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٩ والتعليق المغني (مطبوع بهامش سنن الدار قطني) ج٢ ص٥ عن الطبراني في الكبير والأوسط.

الله عليه وآله» إلى المدينة؛ فكيف صلى مصعب الجمعة قبل تشريعها؟

والجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعة.

إذ من المحتمل: أن يكون المراد صلى جماعة ـ لو سلمنا ذلك ـ فإن قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ ليس المقصود به تشريع إقامة الجمعة، وإنما هو يوجب السعي إلى الجمعة التي تقام، فلعل وجوب إقامتها كان قبل ذلك قد جاء على لسانه «صلى الله عليه وآله» في مكة، ولكن لم يكن يمكن إقامتها، أو كان يقيمها سراً ولم يصل ذلك إلينا.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾[1]؛ فإن ذلك يشير إلى أن الجمعة كانت قد شرعت قبل ذلك، وأن هذا كان سلوكهم معه «صلى الله عليه وآله».

ويؤيد ذلك: ما أخرجه الدارقطني، عن ابن عباس، قال: أذن النبي «صلى الله عليه وآله» الجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع أن يجمع بمكة؛ فكتب إلى مصعب بن عمير: أما بعد، فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين.

قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة،

---

(١) الآية ١١ من سورة الجمعة.

فجمع بعد الزوال من الظهر، وأظهر ذلك[١].

وثمة روايات تفيد: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زرارة[٢] وسيأتي بعض الكلام أيضاً حول صلاة الجمعة في آخر هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

بيعة العقبة الثانية:

وعاد مصعب بن عمير من المدينة إلى مكة، فعرض على النبي «صلى الله عليه وآله» نتائج عمله؛ فسر بذلك نبي الإسلام سروراً عظيماً[٣].

وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمس مئة[٤]، فيهم المشركون، وفيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم، تقية منهم.

والتقى بعض مسلميهم بالرسول «صلى الله عليه وآله» ووعدهم اللقاء في العقبة في أواسط أيام التشريق ليلاً، إذا هدأت الرجل، وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غايباً.

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٢١٨ عن الدارقطني. والسيرة الحلبية: ج٢ ص١٢.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢١٨ عن أبي داود، وابن ماجة وابن حبان، والبيهقي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر ووفاء الوفاء ج١ ص٢٢٦، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٩ وص٩ وسنن الدار قطني ج٢ ص٥ و ٦ وفي التعليق المغني على الدار قطني (مطبوع بهامش السنن) ص٥ قال: الحديث أخرجه أبوداود، وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في سننه.

(٣) وفي البحار ج١٩ ص١٢: أن مصعباً قد كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك وكذا في إعلام الورى ص٥٩.

(٤) طبقات ابن سعد ج١ قسم ١ ص١٤٩.

ويلاحظ هنا: ما لهذا التوقيت من أهمية، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجهم، ومفارقتهم للبلد، ولا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال.

ويلاحظ كذلك: أمره «صلى الله عليه وآله» لهم بأن لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غائباً، وذلك كي لا ينكشف أمرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعية تصرفاتهم.

وفي تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم في رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤوا يتسللون إلى مكان الموعد، واحداً بعد الآخر، ولا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم سبعون أو ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان.

والتقوا بالرسول «صلى الله عليه وآله» هناك في الدار التي كان «صلى الله عليه وآله» نازلاً فيها، وهي دار عبد المطلب، وكان معه حمزة وعلي، والعباس[1].

وبايعوه على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم، وأهليهم وأولادهم، وأن يؤووهم، وينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وأن يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم، وتدين لهم العجم،

---

(١) إعلام الورى ص٥٩، وتفسير القمي ج١ ص٢٧٣، والبحار ج١٩ ص١٢ ـ ١٣ و ٤٧ عنها، وعن قصص الأنبياء، وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص١٦، والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥٢.

ويكونون ملوكاً، وعند آخرين ـ والنص لمالك ـ عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول (أو نقوم) بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[1].

قال السيوطي: «يريد الملك والإمارة»[2].

وقد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، ولا سيما من قوله «صلى الله عليه وآله»: «وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً»، وأنهم مقدمون على مواجهة ومقاومة، ليس فقط مشركي مكة أو الجزيرة العربية، وإنما العالم بأسره، فأحب أن يستوثق من الأمر، ويفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا نعلم أن الأمر ينتهي إلى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض، وعلى حرب ملوك الدنيا؛ فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه، فلا تغروه فإن رسول الله، وإن كان قومه خالفوه، فهو في عز ومنعة.

---

(١) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج٢ ص٤ وراجع سير أعلام النبلاء ج٢ ص٧ ومسند أحمد ج٥ ص٣١٤ و ٣١٦ وسنن النسائي ج٧ ص١٣٨ و ١٣٩ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥٦ والبداية والنهاية ج٣ ص١٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٤٥٢ ط دار الكتب العلمية والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢٠٤ وصحيح مسلم ج٦ ص١٦ و ١٧.

(٢) تنوير الحوالك: ج٢ ص٤.

فقال عبد الله بن حزام، والد جابر، وأسعد بن زرارة، وأبو الهيثم بن التيهان: مالك وللكلام؟!

يا رسول الله، بل دمنا بدمك، وأنفسنا بنفسك، فاشترط لنفسك، ولربك ما شئت[1].

ويذكر أيضاً: أن أسعد بن زرارة قد قال في بيعة العقبة: يا رسول الله، إن لكل دعوة سبيلاً، إن لين، وإن شدة، وقد دعوت اليوم إلى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم: دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك.

ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام، القريب والبعيد، وتلك رتبة صعبة؛ فأجبناك إلى ذلك.

ودعوتنا، ونحن جماعة في دار عز ومنعة، لا يطمع فيها أحد: أن يرأس علينا رجل من غيرنا، أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك الخ..[2].

ويذكر المؤرخون هنا أيضاً: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعة العقبة وأنه أراد أن يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر

---

(١) راجع ما تقدم في البحار ج١٩ ص١٢ و ١٣ عن إعلام الورى، وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٤٥٠ ط دار الكتب العلمية وتاريخ الخميس ج١ ص٣١٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨٨ والبداية والنهاية ج٣ ص١٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢٠١ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٧.

(٢) حياة الصحابة: ج١ ص٨٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم: ص١٠٥.

الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

وفي رواية، أنه قال لهم: قد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد، وبصر في الحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم، وائتمروا بينكم إلخ..

وبعد أن استمع إلى إجابتهم، طلب «صلى الله عليه وآله» منهم: أن يخرجوا له اثني عشر نقيباً، أي كفيلاً يكفل قومه، فأخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس؛ فكانوا نقباء وكفلاء قومهم، وعرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، وأقبلوا بالسلاح، وسمع الرسول «صلى الله عليه وآله» النداء؛ فأمر الأنصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا، فعلنا.

فقال: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟

قال: أنتظر أمر الله..

فجاءت قريش على بكرة أبيها، قد حملوا السلاح، وخرج حمزة، ومعه السيف، هو وعلي بن أبي طالب «عليه السلام».

فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟.

فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبي «صلى الله عليه وآله»

والمسلمين والإسلام، فقال: ما اجتمعنا، وما ههنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي، فرجعوا، وغدوا إلى عبد الله بن أبي، فقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا، والله، ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم.

فحلف لهم عبد الله: أنهم لم يفعلوا، ولا علم له بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم؛ وتفرقت الأنصار، ورجع رسول الله إلى مكة.

ولكن قريشاً قد تأكدت بعد ذلك من صحة الخبر؛ فخرجت في طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عبادة، والمنذر بن عمير، فأما المنذر فأعجزهم.

وأما سعد فأخذوه، وعذبوه.

فبلغ خبره جبير بن مطعم، والحارث بن حرب بن أمية، فأتياه وخلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما، ويمنع الناس من التعدي عليها[1].

ولنا قبل المضي في الحديث ههنا وقفات.

فنشير أولاً: إلى دور العباس في بيعة العقبة:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان في بيعة العقبة مع النبي، ولم

---

(١) راجع فيما تقدم أي كتاب تاريخي أو حديثي شئت مثل: البحار ج١٩ ص١٢ و ١٣ وإعلام الورى ص٥٧ وتفسير القمي ج١ ص٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٣١٨ و ٣١٩ ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٤٥٠ والبداية والنهاية ج٣ ص١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٩٣ و٢١٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٧ وما قبلها وما بعدها والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨٨ وقبلها وبعدها، وغير ذلك كثير.

يكن أحد غيره معه، ويقولون: إنه وإن كان حينئذٍ مشركاً، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له. وقد قدمنا ما ينسب إليه من قول في هذه المناسبة.

ولكننا نشك في صحة ذلك.

أولاً: إن في الكلام المنسوب إلى العباس تخذيلاً واضحاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وليس توثيقاً لأمره كما يقولون، ولا سيما قوله: «واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة إلخ» إلا أن يقال: إن هذا الكلام من العباس، إنما هو لبيان الحقيقة، ليكون الأنصار على بصيرة من أمرهم، حتى لا يكون منهم أي تعلل في المستقبل.

ثانياً: إن في كلامه ما يخالف الحقيقة، ولا سيما قوله: «قد أبى محمد الناس كلهم غيركم»؛ فإن معناه: أن الناس كلهم غير الأنصار قد وافقوا النبي «صلى الله عليه وآله»، وقبلوا مناصرته، ولكنه هو رفضهم.

مع أن الأمر على عكس ذلك تماماً، باستثناء قبيلة شيبان بن ثعلبة التي رضيت بحمايته مما يلي مياه العرب، دون ما يلي مياه كسرى[1] وقبيلة شيبان ليست هي «الناس كلهم».

واحتمال إرادة خصوص عشيرته لا يتلاءم مع التعبير بـ «الناس كلهم».

واحتمال أن تكون العبارة: «أبى محمداً الناس» ليس له ما يؤيده، لأن النص الموجود بين أيدينا خلافه.

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٥ و ١٦ وراجع السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٦٨.

ثالثاً: إن موضوع الهجرة إلى المدينة لم يكن قد طرح بعد، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أُري دار هجرتهم ولا أخبرهم برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يهاجر إلى المدينة؟

فهل نزل عليه الوحي في ذلك؟!

لست أدري!! ولكننا نقرأ في كلامه قوله: «وقد أبى إلا الانحياز لكم، واللحوق بكم.

إلى أن قال: وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه إلخ..». إلا أن يكونوا قد طلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يخرج إليهم، فظهر منه «صلى الله عليه وآله» الميل إلى إجابة طلبهم، وإن كان قد جاء ذلك بصيغة: لم أؤمر بذلك، أي بالهجرة، ولكنه احتمال بعيد ولا شاهد له.

رابعاً: إن ما ينسب إلى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الإيمان.

ولم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقي على شركه إلى وقعة بدر، وخرج لحرب النبي «صلى الله عليه وآله» فيها مكرهاً، وأسلم كما سيأتي، بل سوف يأتي أنه لم يسلم إلى فتح مكة.

إلا أن يكون قد قال ذلك محاماة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدافع الحمية والعصبية، ولكننا لم نر لهذه الحمية كبير أثر في مواقف العباس قبل وبعد ذلك، وهذا أمر يثير العجب حقاً.

والذي نرجحه: هو أن الذي كان حاضراً وتكلم بكلام يهدف منه إلى

شد العقدة له «صلى الله عليه وآله» هو العباس بن نضلة الأنصاري[1] وليس العباس بن عبد المطلب.

ولذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول والمنسوب إليهما، فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي بين العباسين؛ لتشابه الاسمين، أو لعل العباسيين أرادوا إثبات فضيلة جليلة لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، ولعل، ولعل، ولعل.

أبو بكر في العقبة:

وتذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، وقد جعله العباس على فم الشعب.

ونحن لا نطيل في بيان بطلان هذا، بعد أن كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزة، وعلي، والعباس.

مع الشك في هذا الأخير أيضاً، وأن حمزة وعلياً قد خرجا إلى فم الشعب حينما علمت قريش بالأمر، وهاجت بالسلاح وذلك في أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.

حمزة وعلي عليهما السلام في العقبة:

إن كون الاجتماع في دار عبد المطلب ليقرب صحة ما ورد من أن حمزة وعلياً قد حضرا بيعة العقبة، خصوصاً وأنه كان ثمة حاجة إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولي الرائع في وجه قريش وخيلائها وجبروتها؛ ليمنعاها

---

(١) الإصابة: ج٢ ص٢٧١، والبحار: ج١٩، والسيرة الحلبية: ج٢ ص١٧، والسيرة النبوية لدحلان: ج١ ص١٥٣.

من دخول الشعب، ويعطيا الفرصة للمجتمعين للتفرق[1].

حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحداً؛ فترفع الأمر إلى ابن أبي؛ فينكر ذلك.

ولولا موقفهما ذاك لكانت قد جرت الأمور على غير ذلك النهج، ولوقع المسلمون في مأزق حرج وخطير جداً.

والغريب في الأمر: أننا نجد عدداً من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأسد الله وأسد رسوله، مع أنها هي نفسها تذكر قضية تجمهر وهياج قريش، وغضبها من الاجتماع!!

وإن كانت تسكت عن هجومها على الشعب، ودفع حمزة وعلي لها، بل تكتفي بذكر لقائها مع ابن أبي، ثم تتبعها للمسلمين، وظفرها بابن عبادة إلى آخر ما تقدم، وقد فات هؤلاء: أن قريشاً التي عرفت بالاجتماع بعد انفضاضه فغضبت، وهاجت، ثم اتصلت بابن أبي، فأنكر ذلك، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، وآذت سعد بن عبادة إلخ، لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الاجتماع، وأخذ الأنصار والنبي «صلى الله عليه وآله» بالجرم المشهود، وتكون حينئذٍ معذورة أمام من تريد الاعتذار منهم، فلماذا سكتت هنا، وغضبت وتصرفت بعنف هناك؟

وعلى كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيراً من أمثال هذه

---

(١) ويحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش ـ وليس كل قريش ـ قد حاولوا دخول الشعب فصدهم علي وحمزة ولكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش.. ولكن علياً وحمزة أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرق المجتمعين.

الخيانات للحق وللدين؛ لأهداف دنيوية رخيصة، وصدق المثل الذي يقول: «لأمر ما جدع قصير أنفه».

ولعلك تقول: كيف يمكن لرجلين: أن يقفا في وجه قريش ويرداها على أعقابها؟! وهي في إبان غضبها، وأعلى درجات تحمسها.

والجواب: أن الرجل الواحد أيضاً كان يكفي لرد كيد قريش، وذلك لأن هذا الرجل أو هذين الرجلين يقف أو يقفان على فم الشعب، حيث لا يمكن أن يعبر إلا أفراد أو جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفئة الأولى منها.

وقد كان يقال: إن عمرو بن عبد ود ـ الذي قتله أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ يعد بألف فارس، وذلك لأنه وقف على فم الوادي، ومنع ألف فارس من ورودها، ولم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سرية الاجتماع، والتقية.

إن المحافظة على سرية الاجتماع، التي بلغت الحد الذي لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشيء، ولا عرفوا بغيبة رفقائهم، وكذلك الحال في موعد الاجتماع ومكانه، والطريقة التي تم بها، رغم ضخامته، واتساع نطاقه ـ إن كل ذلك ـ ليعتبر مثلاً رائعاً، ودليلاً قوياً على مدى وعي أولئك المسلمين ويقظتهم، وحسن تدبيرهم.

كما أنه برهان آخر على أن اللجوء إلى عنصر السرية لا يعتبر تخاذلاً، إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم في مقابل قوى الظلم والطغيان.

وهو دليل آخر على أن التقية التي يقول بها الشيعة وأهل البيت، ونزل بها القرآن وتحكم بها الفطرة والعقل السليم هي الأسلوب الصحيح في التعامل مع الواقع بمرونة، ووعي، حينما يكون الباطل هو القوي مادياً ولا يملك أهل الحق ما يدفع عنهم أو يمنع.

وقد تحدثنا عن موضوع التقية فيما سبق فلا نعيد.

شروط البيعة:

ونجد هنا: أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل وصعوبات في سبيل نشر الدعوة، والدفاع عنها، ليكونوا على علم مسبق بذلك، وعلى بصيرة من أمرهم، ومن دون أي إبهام أو غموض، حتى لا يترك لهم في المستقبل مجالاً للاعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهي بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب ومتاعب.

بل هو لا يريد أن يشعروا في أنفسهم بالغبن، أو حتى أن يمر ذلك في وهمهم وخيالهم على الإطلاق.

وهو بذلك يدلل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحداً بالوعود الخلابة، ولا أن يجعلهم يعيشون الآمال والأحلام الفارغة لأن الوسيلة عنده جزء من الهدف، رغم أنه في أمس الحاجة إلى نصرتهم، بل هو لم يجد طيلة فترة دعوته غيرهم.

لماذا النقباء؟!

وإن من طبيعة العربي الالتزام بالعهد، والوفاء بالذمار وتعتبر كل

قبيلة: أنها مسؤولة عن الوفاء بها يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

وعندما بايع الأنصار النبي على الإيهان والنصرة ـ حسبها تقدم ـ أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات والعهود، وكان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤولية الوفاء بتلك الالتزامات.

وهم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم ومن قومهم على حد سواء.

أما إذا ترك الأمور في مجاريها العامة، فلربها يمكن لكل فرد أن يتملص ويتخلص من التزاماته، ويلقي التبعة على غيره، ويعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، ولا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفردٍ مسؤولاً عنه، وأما بعد أن التزم ذلك أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيلة.

فإن المسؤولية قد أصبحت محدودة، ويمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لا سيما في مواقف الحرب والدفاع.

وبذلك تبتعد القضية عن الأهواء الشخصية، والأهم من ذلك عن الفوضى في المواقف العامة، وتدخل مراحل التنظيم والبناء الاجتماعي على مستوى الفرد والجماعة.

المشركون في مواجهة الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعة جداً، حتى إنهم تهددوا أهل المدينة بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدني، وتفككه بسبب الحروب الداخلية بين الأوس والخزرج.

نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حرباً كهذه لسوف تجر عليهم أخطاراً جسيمة من وجهة نظر اقتصادية، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجاراتهم المفضل، كان طريقها على المدينة.

مما يعني: أن المشركين كانوا يرون في هذه البيعة خطورة قصوى، تجعلهم يضطرون إلى التضحية بعلاقاتهم الحسنة مع كل من يتقبل هذه الدعوة ويناصرها، حتى ولو كانوا أهل المدينة، الذين كانوا يكرهون جداً أن تنشب الحرب فيما بينهم وبينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبي.

كما أن ذلك يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون في مكة من ظلم واضطهاد.

منازعة الأمر أهله:

قد تقدم أن من جملة ما اشترطه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» على أهل المدينة في ضمن نص البيعة، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله.

وإن اشتراط ذلك في نص بيعةٍ حساسة جداً في تاريخ الإسلام، ويتقرر مصير الإسلام على نجاحها وعدمه، وتعريض هذه البيعة لخطر الرفض والانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلك ـ كما كان الحال بالنسبة لبني عامر، حسبما تقدم ـ إن ذلك لما يدل على أن هذا الأمر كان له أهمية قصوى بالنسبة للرسول «صلى الله عليه وآله» الذي كان رأيه يمثل رأي الإسلام الواقعي.

ويوضح أنه لن يتنازل عنه ولو تعرض لأعظم الأخطار، مما يعني: أن هذا الأمر ليس له، وإنما هو لله يضعه حيث يشاء، وأن هذا هو الأمر الذي إذا لم يبلِّغه فما بلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى.

ويمكن أن نفهم من ذلك أيضاً: أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» كان من أول الأمر يمهد السبيل لجهة معينة وإلا، فكيف ينهى الناس عن منازعة الأمر أولئك الأهل المخصوصين والمؤهلين للملك والخلافة، ثم ينسى أن يعيّن شخص ذلك الخليفة منهم وليعطف ذلك على ما تقدم من تعيينه ذلك الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين؟!.

ثم على ما يأتي بعد من مواقف وتصريحات وكنايات له «صلى الله عليه وآله»، ولا سيما في قضية الغدير.

النبي ﷺ لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا نجده «صلى الله عليه وآله» لا يأذن للمجتمعين في العقبة بأن يميلوا على قريش بأسيافهم؛ لأن معنى ذلك هو القضاء على هذا الدين، وعلى حماته الأبرار، ولا سيما مع قلتهم، وكونهم في الموسم، الذي تجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب، وكلهم على نهج وطريقة ومذاق قريش، ويدورون في فلكها دينياً وعقائدياً وفكرياً، وحتى مصلحياً أيضاً.

ولن تكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم في بلاده، وقريش التي ترى في المدينة أهمية خاصة لأنها على طريق قوافلها إلى الشام ـ ولأجل ذلك أطلقت سعد بن عبادة ـ لن تسكت على موقف الأنصار هذا.

ويكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، وحتى أمام المدنيين المشركين في أن تضربهم الضربة القاصمة والقاضية، لأنهم في موقف المعتدي، وعلى قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفية وبالحجم الذي تراه مناسباً.



الباب الرابع

من مكة إلى المدينة

الفصل الأول: إبتداء الهجرة إلي المدينة

الفصل الثاني: هجرة الرسول الأعظم ﷺ

الفصل الثالث: إلي قباء

الفصل الرابع: حتى المدينة

الباب الرابع

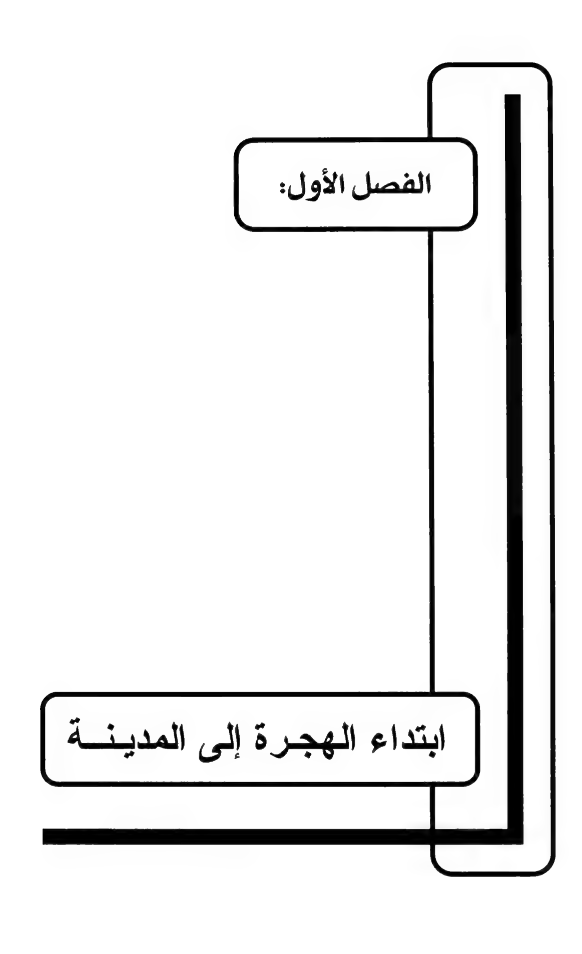
[illegible]

الفصل الأول: [illegible]

الفصل الثاني: [illegible]

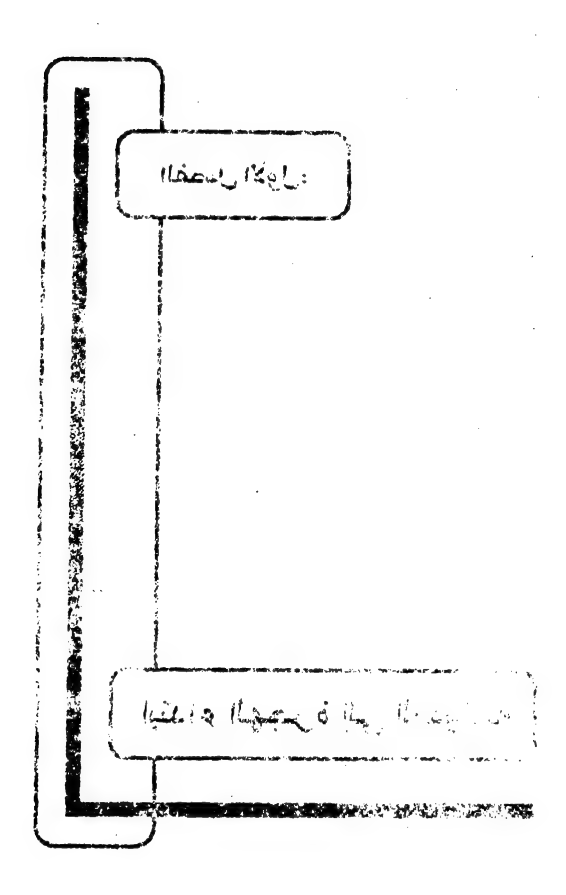
الفصل الثالث [illegible]

الفصل الرابع: [illegible]



الفصل الأول:

ابتداء الهجرة إلى المدينة



حب الوطن من الإيمان:

لقد ورد عنهم «عليهم السلام» أن «حب الوطن من الإيمان»[1] وإننا بغض النظر عن سند هذا الحديث.

لربما يصعب علينا ـ لأول وهلة ـ تصور معنى سليم ومقبول لهذه الكلمة؛ إذ لماذا يكون حب الوطن من الإيمان؟!

وهل يمكن أن يكون لهذا التراب بما هو تراب، ولد الإنسان عليه، وعاش في أجوائه، مهما كان وضعه الجغرافي سيئاً، قيمة واحترام إلى حد أن يعتبر حبه من الإيمان؟ وبسوى هذا الحب، فإن الإيمان يكون ناقصاً، وليس فيه تلك الفاعلية المتوخاة؟.

وإننا في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول: إن هذا الحب الذي يهتم به الإسلام لا يمكن أن يكون حباً عشوائياً، لا هدف له، ولا فائدة منه، ولا في خط مخالف للإسلام.

وإنما هو حب منسجم مع أهداف الإسلام العليا، ومن منطلق إيماني واقعي إلهي، فإنه «من الإيمان».

---

(١) سفينة البحار ج٢ ص٦٦٨.

كما أن الوطن الذي يعتبر الإسلام حبه من الإيمان، ليس هو محل ولادة الإنسان، وإنما هو الوطن الإسلامي الكبير، الذي يعتبر الحفاظ عليه حفاظاً على الدين والإنسانية، لأن به يعز الدين، وتعلو كلمة الله، وهو قوة للإسلام، لأنه محل استقرار وهدوء، وموضع بناء القوة فكرياً وروحياً ومادياً، ثم الحركة على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل والأمثل.

أما حيث الغربة وعدم الاستقرار، فهناك الضياع، وهدر الطاقات، وحيث لا يجد الإنسان الفرصة للتأمل والتفكير في واقعه، ولا في مستقبله، ولو أنه استطاع ذلك، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزية التي تمنحه الحركة المنظمة، والثابتة، ثم التركيز والاستمرار.

نعم، إن الوطن ليس إلا وسيلة للدفاع عن الدين والحق، وللوصول إلى الأهداف الخيّرة والنبيلة، فالدين والإنسان هو الأصل، والوطن وغيره لا بد أن يكون في خدمة هذا الدين، ومن أجل ذلك الإنسان.

فمن يحافظ على وطنه، ويحبه بدافع الحفاظ على الإسلام وحبه، فإن حفاظه وحبه هذا يكون من الإيمان.

وأما إذا كان الوطن وطن الشرك والكفر والانحراف، والانحطاط بإنسانية الإنسان:

فإن الحفاظ على وطن كهذا وحبه يكون حفاظاً على الشرك وتقوية له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر والشرك، لا من الإيمان والإسلام.

ومن أجل ذلك فقد حكم الإسلام والقرآن على من كان في بلاد الشرك، وكان بقاؤه فيها موجباً لضعف دينه وإيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان والإسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قوياً فاعلاً، وبإنسانية

خلاقة نبيلة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[١].

بل إن محل ولادة الإنسان إذا كان يحارب الدين الحق، ويسعى في إطفاء نور الله، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذي ولد وعاش فيه[٢].

ومن هنا نعرف: أن هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه من مكة إلى المدينة كانت هجرة طبيعية ومنسجمة مع مقتضيات الفطرة والعقل السليم والفكر الصحيح، الذي يلاحظ سمو الهدف ونبل الغاية، ويقيم كل شيء انطلاقاً من ذلك الهدف، وعلى طريق الوصول والحصول على تلك الغاية.

وليكن هذا تمهيداً للحديث عن ظروف الهجرة وعواملها وأحداثها، في حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

---

(١) الآية ٩٧ من سورة النساء.

(٢) ويرى العلامة المحقق الشيخ علي الأحمدي: أن معنى حب الوطن من الإيمان: أن من يحب وطنه فإنه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، وحل مشاكله، وهداية مجتمعه إلى طريق الحق والإيمان والإسلام، لأن الإيمان هو الذي يدفعه إلى ذلك، كما هومعلوم.

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة:

إننا بالنسبة لدوافع الهجرة من مكة إلى المدينة يمكننا الإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة، فقد حصل النبي «صلى الله عليه وآله» منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد، في المستقبل القريب على الأقل.

وقد كان ثمة مبرر لتحمل الأذى والمصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل في الإسلام جماعات تقويه، وتشد من أزره.

أما بعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، ومن المستضعفين، ولم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل الله، ويضع الحواجز والعراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين، ويمنع من انتشاره واتساعه؛ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية، ومساعدة على حربها، والقضاء عليها، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، وإطفاء نوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة، في القول والعمل، بهدوء بال، واطمئنان خاطر، بعيداً عن ضغوط المشركين، وفي منأى عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

وقد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبي «صلى الله عليه وآله»، ويرصدونها بدقة، ويتهددون، بل ويعذِّبون كل من يدخل في هذا الدين الجديد، ويخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانياً: إن الإسلام وممثله وداعيته الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»

لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأن دينه دين البشرية جمعاء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[1].

وما حصل عليه حتى الآن لا يمكّنه من تطبيق تشريعات الإسلام كافة، وتحقيق كامل أهدافه، ولا سيما بالنسبة إلى ذلك الجانب، الذي يعالج مشاكل الناس الاجتماعية وغيرها، مما يحتاج إلى القوة والمنعة في مجال فرض القانون والنظام.

ومن الناحية الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب والهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحماية لشخص الرسول من اعتداءات الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم ولن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدرة على حماية أصحابه، الذين دخلوا في هذا الدين، وقبلوا رسالة السماء.

فضلاً عن أن يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع في نشر رسالة الإسلام، وفرض هيمنة هذا الدين وسلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

وأما بعد وفاة أبي طالب «رحمه الله» فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبة إلى شخص النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، كما رأينا وسنرى.

ثالثاً: ولقد صمد أولئك الذين أسلموا سنوات طويلة في مواجهة التعذيب والظلم والاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربة، وبقي الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر

---

(١) الآية ٢٨ من سورة سبأ.

تارة، وبأساليب متنوعة من الإغراء أخرى.

وإذا استثنينا أشخاصاً معدودين، كحمزة أسد الله وأسد رسوله، وبعض من كانت لهم عشائر تمنعهم[1]، فإن بقية المسلمين كانوا غالباً من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يجدون سبيلاً إلا الصبر، وتحمل الأذى.

وإذا فرض عليهم أن يستمروا في مواجهة هذه الآلام والمشاق، دونما أمل أو رجاء؛ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قوية وراسخة؛ فإن من الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب والملل من حياة كهذه.

وقد تستميلهم بعض الإغراءات العاجلة، فيهلكون ويهلكون؛ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام والمتاعب.

بل إن بعضهم ـ كما سيأتي ـ يهم بالعودة إلى الشرك، ويتطلب السبل لمصالحة مشركي مكة، حينما أشيع في غزوة أحد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وسلم قد قتل. وقد نزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[2].

---

(١) وحتى هؤلاء فإنهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسي والمقت الاجتماعي المر، ولربما يكون ذلك بالنسبة لبعضهم أشد من التعذيب الجسدي، تبعاً لنسبة الوعي والشعور المرهف الذي كان يمتاز به بعضهم على غيره.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

رابعاً: لقد رأت قريش أخيراً: أنها قد اهتدت للطريقة التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي «صلى الله عليه وآله»، دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد، أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك بأن يقتله عشرة، كل واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه في القبائل، ولا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعاً؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها، وتكون الدائرة عليهم، وإما أن يقبلوا بالدية، وهو الأرجح.

وإذا قتل النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن القضاء على غيره من أتباعه يكون أسهل وأيسر، ولا يشكّل لقريش مشكلة ذات شأن.

بل وحتى لو تركوهم على ما هم عليه، فإن أمرهم لسوف يصير إلى التلاشي والاضمحلال.

هكذا كانت تفكر قريش وتخطط، وهو تفكير محكوم بالعصبية القبلية، ولكنه ذكي جداً.

وبالإمكان تحقيق الأهداف الشريرة تجاه الرسول والرسالة من خلاله.

ولكن عناية الله سبحانه وإن كانت تشمل النبي «صلى الله عليه وآله» وترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قريش على تنفيذ مخططاتها ـ فشلت أو نجحت ـ لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسة خطيرة، ولسوف تزيد مضاعفاتها بشكل مخيف ببقاء النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة.

كما أن سنة الله قد جرت على أن لا يحول بين أحد وبين تنفيذ إرادته، بشكل قهري وقسري، إلا بنحو من العنايات والألطاف التي تشمل ذلك النبي الذي يكون حفظه ضرورياً لحفظ الدين والإنسان.

فإرادة الإنسان حرة طليقة، ولكن الله يسدد ويلهم ويؤيد من تستهدفه تلك الإرادة بالشر والأذى.

وبعد كل ما تقدم يتضح: أنه كان لا بد للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ولمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان أمن وسلام لا يشعرون فيه بأي ضغط، يملكون فيه حرية الحركة، وحرية الكلمة، وحرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النبي «صلى الله عليه وآله» قادراً على القيام بنشر دعوته، وإبلاغ رسالته، على النحو الأفضل والأكمل.

سر اختيار المدينة:

وأما عن سر اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» ـ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ـ للمدينة بالذات داراً لهجرته، ومنطلقاً لدعوته، دون غيرها كالحبشة مثلاً؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إن مكة كانت ـ كما قدمنا ـ تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس، وبدون السيطرة عليها، والقضاء على نفوذها الوثني، واستبداله بالنفوذ الإسلامي؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة، وكل الجهود تبقى بدون جدوى؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة.

فلا بد من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة، ونوعاً من الضغط السياسي والاقتصادي، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها.

والمدينة، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط، فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى.

كما أن ذلك يهيئ للنبي «صلى الله عليه وآله» الفرصة لعرض دعوته على القوافل التي تتجه من بلاد الشام والأردن وفلسطين وغيرها إلى مكة، والتمهيد لإفشال كثير من الدعايات التي يمكن للمكيين أن يطلقوها ضد الإسلام وأهله.

وقد تقدم قول المشركين لعبد الله بن أبي، حين بيعة العقبة: «ما من حي أبغض من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم».

وتقدم أيضاً: أنهم لما أخذوا سعد بن عبادة بعد بيعة العقبة وعذبوه، جاء الحارث بن حرب وجبير بن مطعم وخلصاه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

وإذا كانت قريش قد لقيت من أبي ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينة سيكون أشد، وأعظم خطراً، وأبعد أثراً، ولا سيما إذا عقد الرسول «صلى الله عليه وآله» تحالفات مع سائر القبائل المقيمة في المنطقة، كما حصل بالفعل، وكانت المعاهدة بصورة تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين[1].

٢ـ لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض، الذي لا خيار معه؛ وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتي تجدي نفعاً، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً،

---

(١) راجع: وثيقة المدينة الآتية في الجزء التالي من هذا الكتاب؛ آخر فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة. فقد جاء فيها ما يلي: «وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن». وراجع: نشأة الدولة الإسلامية: ص٢٨٩ ـ ٢٩٥.

وهم إليها أحوج منها إليهم.

ولأجل ذلك فإنهم لا يستطيعون في المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسياً في فلكها، وأن يخضعوا لسيطرتها.

وأما سائر قبائل العرب؛ فلا يجدون في أنفسهم القدرة على ذلك، وقد جرب أن يعرف مدى استعدادهم لقبول دعوته، والدفاع عنها؛ فوجد ما لا ينقع غلة، ولا يبل صدى، إن لم نقل إنه وجد ما يزيد الطين بلة، والأمر خطورة.

وأما اليمن، وفارس، والروم، وبلاد الشام وغيرها؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والأخطار الجسيمة.

وقد تكلمنا عن شيء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الإسلام وانتشاره في أواخر الباب الأول من هذا الكتاب.

ولسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيرة تجاه الرسول ورسالته حينما أرسل إليه «صلى الله عليه وآله» يدعوه إلى الإسلام.

وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعي، والسياسي، والبشري، والعنصري، وبحكم كونها بلداً أفريقياً، فإنها ليست بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة، لا اقتصادياً، ولا سياسياً، ولا عسكرياً، ولا حتى فكرياً، واجتماعياً.

أضف إلى ذلك: أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، والمستضعفون،

ويواجه هؤلاء الملأ والمستكبرين من قومهم بالذات.

وهكذا يتضح: أنه ليس ثمة إلا المدينة، والمدينة فقط، موقعاً مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها.

٣ ـ ومن الجهة الأخرى، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً، أي أنها لو فرض عليها أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما ـ مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك ـ فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، وتحتفظ لنفسها بنوع من الحياة، ولو بصعوبة ما، من دون أن تستسلم لإرادة الآخرين، وتنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع، وجهد شامل، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي ـ هذه الدعوة ـ تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم، وبث رسالتهم.

٤ ـ وإذا كان الحج من أهم تشريعات الإسلام؛ فما دامت مكة في أيـدي الوثنيين؛ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية، والاجتماعية، وفي غير ذلك من مجالات، وأيضاً، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية، وقدسية من نوع ما في نفوسهم.

فلا بد إذاً من إخراجها من أيديهم؛ لينتهي ما لهم من رصيد معنوي في نفوس الناس، ولتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، وليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره ـ الحج ـ بحرية تامة، دونما رادع أو زاجر.

ويدل على ذلك، ما يرويه الطبراني وغيره: أنه لما عرض النبي الإسلام على ذي الجوشن الضبابي، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبي «صلى الله عليه وآله» قد غلب على الكعبة.

وفي رواية أخرى، أنه قال له: «رأيت قومك قد كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك، فانظر ماذا تصنع؛ فإن ظهرت عليهم آمنت بك، واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك»[١].

وبعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة.

ونلاحظ: أن إيجاب الهجرة على من يسلم، قد جعل المدينة ـ بعد هجرة الرسول «صلى الله عليه وآله» إليها ـ في حالة نمو سكاني مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤولية بناء دولة، وحماية منجزاتها على المدى المنظور.

٥ ـ إن أهل المدينة كانوا في الأصل من مهاجري اليمن، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان، فهم ليسوا أعراباً؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة.

ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة، كما كان الحال بالنسبة لقريش، ولا كانوا يعيشون في تلك الأجواء النفسية المعينة، كما

---

(١) مجمع الزوائد ج٦ ص٦٨، وقال: «رواه عبد الله بن أحمد، وأبوه، ولم يسق المتن، والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه» انتهى.

كانت تعيش قريش؛ نتيجة لموقعها النسبي في العدنانية، ولموقعها في زعامة مكة، وحجابة البيت.

ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانية والقحطانية، حيث لا يسع القحطانيين، حتى ولو لم تكن ثمة دوافع دينية وعقيدية: أن يسلّموا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أعدائه.

ويشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافي حتى إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» ؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية في العطاء، الأمر الذي مهد السبيل أمام الأمويين لاستغلال هذه الروح وإشعال الفتن بين اليمانية والقيسية، إبان حكمهم البغيض.

بينما نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن يرى لبني إسماعيل على بني إسحاق فضلاً. (ولهذا البحث مجال آخر).

٦ ـ ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون، وقد أنهكتهم الحروب وأكلتهم، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار[1].

وتقدم: أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم.

وكانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجاً من المأزق الذي يرون أنفسهم فيه، حتى إن أسعد بن زرارة لا يخفي لهفته على هذا الأمر؛ حيث قال للنبي «صلى الله عليه وآله» حينما دعاه إلى الإسلام: «إنا من أهل يثرب

---

(١) البحار: ج١٩ ص٨ و ٩ و ١٠، وأعلام الورى: ص٥٥.

من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أحد أعز منك الخ..»[1].

ثم وبعد أن دخل الإسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضاً من الحفاظ على المسلمين فيها، وشد أزرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار في نصرة هذا الدين، وإعلاء كلمة الله.

٧ ـ لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين.

ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة، إلى ظروف مشجعة؛ فلماذا يهملهم الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولا يهيئ لهم الفرصة لذلك؟!.

٨ ـ هذا كله، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وبايعوه بيعة العقبة، ووعدوه النصر، والنبي «صلى الله عليه وآله» إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها.

فالله هو الذي يرعاه ويسدده، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، هذا ما رأينا الإشارة إليه في هذا الصدد.

المؤاخاة بين المهاجرين:

وكتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون والتعاضد بأعلى مراتبه، كانت عملية المؤاخاة التي أريد بها السمو بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي،

---

(١) البحار: ج١٩، وإعلام الورى: ص٥٧.

وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة؛ ليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية، وانسجاماً، وبعيداً عن النوازع النفسية التي ربما توحي للمعين والمعان بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما نفسياً على الأقل.

وقد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاة دون الرحم، وذلك يدل على عمق تأثير هذا الحدث في المسلمين؛ في روحياتهم وفي علاقاتهم على حد سواء.

وعلى كل حال، فلقد آخى الرسول «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة فيما بين المهاجرين، على الحق والمواساة؛ فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان و عبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي «عليه السلام» ونفسه «صلى الله عليه وآله»، وقال: أما ترضى أن أكون أخاك؟.

قال: بلى يا رسول الله رضيت.

قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة[1].

وسيأتي إن شاء الله في الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥٥ عن الإستيعاب. وراجع ايضاً: تاريخ الخميس ج١ ص٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤ وتلخيصه للذهبي.

عليه وآله» قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة.

ولسوف نذكر طائفة من مصادر حديث المؤاخاة هناك إن شاء الله ونذكر إنكار ابن تيمية وغيره لحديث مؤاخاة مهاجري لمهاجري، وجوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاة بما نراه مناسباً؛ فإلى هناك.

إبتداء هجرة المسلمين إلى المدينة:

ويقول المؤرخون: إن بيعة العقبة الثانية قد كانت قبل هجرة الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة بثلاثة أشهر.

ويقولون أيضاً: إنه بعد أن عقد النبي «صلى الله عليه وآله» بيعة العقبة الأولى ـ على الظاهر ـ مع أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة بسبب إيذاء المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم «صلى الله عليه وآله» بالهجرة إلى المدينة.

وبقي «صلى الله عليه وآله» بمكة ينتظر أن يؤذن له.

فخرجوا أرسالاً، حتى أذن الله سبحانه لنبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله» بالهجرة، كما سيأتي.

المثل الأعلى:

وجدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقي يضحي بوطنه الذي نشأ وعاش فيه، وبكل ما يملك من متاع الحياة الدنيا، وبعلاقاته الاجتماعية، وروابطه النسبية ويقدم على معاداة الناس كلهم، حتى آبائه، وإخوانه وأبنائه.

ويخرج من بلده ومسقط رأسه ليواجه مستقبلاً يعرف أنه مليء

بالأحداث والأخطار، كل ذلك في سبيل هدفه ودينه وعقيدته.

وهو أروع مثل نستفيده من عملية الهجرة، سواء في ذلك الهجرة إلى المدينة، أو الهجرة إلى الحبشة.

هجرة عمر بن الخطاب:

ومما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفية هجرة عمر بن الخطاب، حيث يروون عن علي «عليه السلام» أنه قال: ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة؛ فقال: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه[١].

ونحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام، لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة، وذلك:

أولاً: لما تقدم في حديث إسلامه عن البخاري وغيره، من أنه حين أسلم اختبأ في داره خائفاً، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذٍ.

---

(١) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج٤ ص٣٨٧ عن ابن عساكر، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢١ و ٢٢، وأشار إلى ذلك في نور الأبصار ص١٥. وكنز العمال ج١٤ ص٢٢١ و ٢٢٢ عن ابن عساكر.

وفي بدر تكلم وأساء الكلام، حيث كان يجبّن النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.

ثانياً: إن مواقفه الحربية كانت عموماً غير مشجعة لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فر في أحد، وفر في حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» فلا يلتفت إليه، ولا يفكر إلا في الحفاظ على نفسه.

وأما فراره في خيبر فهو أعجب وأعجب حيث إنه كان معه من يدافع ويحامي عنه.

أما في واقعة الخندق ففر فيها أيضاً كما أنه لم يجرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبد ود.

وحينما أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» سيفاً في أحد، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟! فطلبه أبو بكر وعمر، فلم يعطهما إياه. وأعطاه أبا دجانة. إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا، ولسوف نشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى حين الكلام عن الغزوات المشار إليها.

والغريب في الأمر: أننا لم نر ولم نسمع: أن عمر، وأبا بكر، وعثمان قد قتل واحد منهم أحداً، أو بارز إنساناً، وما ذكر من ذلك قد ثبت عدم صحته.

كما أنه لم يجرح أي من هؤلاء ولا دميت له يد ولا رجل في سبيل الله، مع أن أعاظم صحابته «صلى الله عليه وآله» قد أصيبوا في الله وضحوا في سبيله، الأمر الذي يشير إلى أن هؤلاء كانوا شجعاناً في الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.

ثالثاً: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجرؤ على أن يأخذ رسالة النبي «صلى الله عليه وآله» للمكيين في عام الحديبية، بحجة: أن بني عدي لا ينصرونه إن أوذي!!

فمن كانت هذه فعاله في تلك المواقع الصعبة هل يحتاج إلى بني عدي، أو إلى غيرهم؟!.

رابعاً: قال أبو سفيان في فتح مكة للعباس، حينما كانا يستعرضان الألوية، فمر عمر وله زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟! قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي بعد ـ والله ـ قلة وذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام»[١].

خامساً: إنهم متفقون على أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» كان أشجع البشر دون استثناء، بل سيأتي أن بعضهم يحاول ادعاء أشجعية أبي بكر على سائر الصحابة ـ وإن كان سيأتي أن العكس هو الصحيح ـ ونحن نرى في حديث الهجرة أن النبي «صلى الله عليه وآله» يختفي في الغار، حذراً من المشركين، كما أن أبا بكر يخاف ويبكي، رغم كونه مع النبي الأعظم، الذي يتولى الله رعايته وحمايته، وظهرت له آنئذٍ الكثير من المعجزات الدالة على ذلك.

---

(١) مغازي الواقدي ج٢ ص٨٢١ وعن كنز العمال ج٥ ص٢٩٥ عن ابن عساكر من طريق الواقدي.

وقد ذكر الله خوف وحزن أبي بكر في القرآن، فكيف يخاف أبو بكر ويحزن مع أنه إلى جانب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي يتولى الله حمايته ورعايته، مع ادعاء محبي أبي بكر أنه أشجع الصحابة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» ـ نعم كيف يخاف أبو بكر ولا يخاف عمر؟!

ولماذا يعمل الرسول بالحزم، ويراعي جانب الحذر من قريش، ولا يفعل ذلك عمر بن الخطاب؟!

ولماذا لم يحم عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى يخرجه من مكة إلى المدينة؟!.

ولماذا يرضى عمر للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يتحمل كل هذه الصعاب والمشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطة التي هو فيها؟!

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعة والشدة؛ فلماذا يضطر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الهجرة؟ فليحمه هذا البطل الشجاع، وليرد عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟

مع أنه تقدم: أنه حينما أسلم لم يستطع أن يحمي نفسه حتى أجاره خاله، من مواصلة إلحاق الأذى به.

ثم إننا لا ندري لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، الذي شج رأس أبي جهل شجة منكرة، وعز المسلمون بإسلامه؟!.

ولماذا يترك النبي والهاشميين محصورين في الشعب، يكادون يهلكون جوعاً، ولا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئاً من طعام؟!.

لأن عمر عند هؤلاء قد أسلم قبل الحصر في الشعب، وإن كنا أثبتنا في

ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل. إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.

ما هي الحقيقة إذاً؟!

ولكن الحقيقة هي: أن هذا التهديد والوعيد إنما كان من أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، حينما هاجر، ولحقه سبعة من المشركين في ضجنان وسيأتي تفصيل القضية حين الكلام على هجرة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» بعد هجرة النبي «صلى الله عليه وآله».

ولكن أعداء علي «عليه السلام» لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامة له، ولا سيما بعدما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة.

وكما كان يبيت على فراش رسول الله «صلى الله عليه وآله» مدة ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين في شعب أبي طالب «رحمه الله».

فلما لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على فضيلته الأخرى ـ كعادتهم ـ فاستولوا عليها، ونسبوها إلى غيره ـ وعظموا من شأن أبي بكر في الغار ـ كما سيأتي حين الكلام على الهجرة إن شاء الله تعالى.

بل إنهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيلة عمر على لسان عليٍّ نفسه، كما عودونا في مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع في النفس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى إلى القبول. ولكن الله تعالى يقول: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾[1]، وهكذا كان.

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء.

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟

لقد أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالهجرة إلى المدينة، تمهيداً لخروجه هو «صلى الله عليه وآله» إليها أيضاً، وقال لهم: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سراً، وبعضهم علانية، مضحين بوطنهم، وبعلاقاتهم، وكثير منهم بثرواتهم، ومكانتهم الاجتماعية وكل شيء؛ في سبيل دينهم، وعقيدتهم.

وهذا معناه: أن الدين والعقيدة فوق وأغلى من كل شيء؛ فالوطن، والمال، والجاه، وكل شيء لا قيمة له، إذا كان الدين مهدداً بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن والمال وكل شيء، وبدونه يكون كل شيء في معرض الزوال، إن لم يكن عبثاً، أو فقل: خطراً يتهدد هذا الإنسان في كثير من الظروف والأحوال.

قريش والهجرة:

وقد قدمنا بعض الكلام حول الهجرة، وموقف قريش منها حين الكلام على هجرة الحبشة فلا نعيد، وإذا كانت قريش قد قاومت الهجرة إلى الحبشة بذلك الشكل القوي، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشة، فماذا عساها يكون موقفها من الهجرة إلى المدينة، والتي ترى فيها أعظم الخطر على مصالحها، وعلى وجودها ومستقبلها؟!.

لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجرة بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، وتفتنه عن دينه، وتمارس ضده مختلف أساليب القهر والقسوة، فلم تنجح ولم تفلح وهي من الجهة الأخرى ترى نفسها عاجزة عن التصفية الجسدية لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا ـ عموماً ـ من القبائل

المكية، وليس قتل أي منهم إلا سبباً في إثارة حرب أهلية بين المشركين أنفسهم، وهذا ولا شك ليس في مصلحة قريش في أي حال.

ويشهد لما ذكرناه ما حصل لأبي سلمة حينما خرج بزوجته وولده، فقام إليه رجال من بني المغيرة فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو عبد الأسد، قبيلة الزوج؛ فانتزعوا سلمة من أمه[1].

وأدركت قريش: أن هذه الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرة الرسول الأعظم نفسه؛ ليمارس بحرية تامة عملية الريادة، والقيادة، والهداية بشكل أوسع وأعمق.

ولسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم، فلم يكن لديها همّ إلا المنع من تحقق ذلك بأي وسيلة تقدر عليها، أو حيلة تهتدي إليها.

---

(١) البداية ج٣ ص١٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢١٥ و ٢١٦.

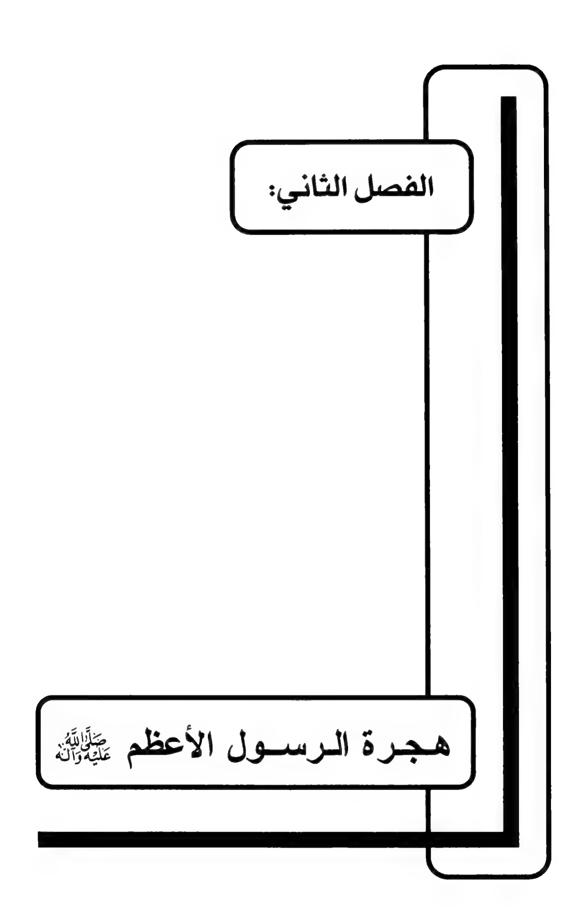
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



الفصل الثاني:

هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

[illegible]

[illegible]

المؤامرة:

واجتمع أشراف قريش في دار الندوة، ولم يتخلف منهم أحد: من بني عبد شمس، ونوفل، وعبد الدار، وجمح، وسهم، وأسد، ومخزوم وغيرهم، وشرطوا: أن لا يدخل معهم تهامي، لأن هواهم كان مع محمد «صلى الله عليه وآله»[1].

كما أنهم قد حرصوا: على أن لا يكون عليهم من الهاشميين، أو من يتصل بهم عين أو رقيب[2].

وتذكر الروايات: أن إبليس قد دخل معهم بصفة شيخ نجدي[3]، وتشاوروا فيما بينهم ما يصنعون بمحمد؟ فذكروا الحبس في الحديد، فرأوا أن من الممكن أن يتصل بأنصاره، ويطلقوا سراحه، وذكروا النفي إلى بعض البلاد فرأوا أن ذلك يمكن الرسول من نشر دينه، فاستقر رأيهم أخيراً على اقتراح أبي جهل، أو إبليس بأن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً قوياً، حسيباً

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٥، وراجع نور الأبصار ص١٥.

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٨ والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢١ و ٣٢٢.

في قومه، نسيباً، وسطاً، ويعطى كل منهم سيفاً صارماً، ويدخلوا على النبي «صلى الله عليه وآله» بأسيافهم؛ فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه ويتفرق دمه في القبائل، لأن بني عبد مناف لا يقدرون على حرب قومهم جميعاً، فيضطرون إلى القبول بالدية، فيعطونهم إياها، وينتهي الأمر.

ومن الواضح: أنه حين يكون القاتل واحداً ومن قبيلة بعينها، فإنه حتى لو أرادت بعض القبائل أن تتحالف مع قبيلة القاتل ضد الهاشميين، فسوف يجد بنو هاشم أيضاً من القبائل الأخرى من يتحالف معهم، كما كان الحال بالنسبة لحلف المطيبين، مقابل حلف لعقة الدم.

لا سيما أن المواصفات المتقدمة التي اعتبروها في الرجال العشرة، إنما هي من أجل أن لا تفكر أية قبيلة في تسليم صاحبها، لأنها لو سلمته فسوف يصبح الهاشميون أكثر قدرة على ضرب قريش، مهما كانت الضربة محدودة.

كما أن هذه المواصفات التي ذكرت للقتلة، تجعل الذين يقدمون على اقتراف تلك الجريمة أكثر ثقة وإقداماً على هذا الأمر الخطير، الذي لا يجوز التردد ولا الضعف والوهن فيه.

وعلى كل حال، فقد أخبر الله تعالى نبيه بهذه المؤامرة عن طريق الوحي، ونزل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[1].

والمكر الإلهي هنا: هو التدبير السري لإفشال عمل يعزم عليه الغير.

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

مبيت علي عليه السلام، وهجرة النبي صلى الله عليه وآله:

ويقول المؤرخون: إن أولئك القوم الذين انتدبتهم قريش، اجتمعوا على باب النبي «صلى الله عليه وآله»، ـ وهو باب عبد المطلب على ما في بعض الروايات[١] ـ يرصدونه، يريدون بياته.

وفيهم: الحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو لهب وأبو جهل وأبو الغيطلة وطعمة بن عدي، وأبي بن خلف، وخالد بن الوليد، وعتبة، وشيبة، وحكيم بن حزام، ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج[٢].

لقد اختارت قريش من قبائلها العشر، أو الخمس عشرة، عشرة أو خمسة عشر رجلاً، بل أكثر، على اختلاف النقل، ليقتلوا النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بضربة واحدة بسيوفهم، بل قيل: إنهم كانوا مئة رجل[٣].

ونحن نستبعد هذا العدد الأخير، وذلك لمخالفته لسائر الروايات الأخرى، مع أن ما ذكرته الرواية من أن عدد القبائل كان مئة قبيلة، لا نجد له ما يؤيده. واحتمال أن يكون قد خرج من كل قبيلة أكثر من واحد ينافيه التصريح بأن الخارجين كانوا واحداً من كل قبيلة.

ومهما يكن من أمر فإن المتآمرين تهيأوا واجتمعوا، فأخبر الله تعالى نبيه

---

(١) البحار ج١٩ ص٧٣ عن الخرائج والجرائح.

(٢) لقد وردت أسماء هؤلاء كلاً أو بعضاً في روايات مختلفة، في السيرة الحلبية ج٢ والبحار ج١٩ ص٧٢ و ٣١ ومجمع البيان.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٨٠ ونور الأبصار ص١٥.

«صلى الله عليه وآله» بمكرهم.

فأمر «صلى الله عليه وآله» أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» بالمبيت على فراشه، بعد أن أخبره بمكر قريش، فقال علي «عليه السلام»: أوتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟

قال: نعم.

فتبسم علي «عليه السلام» ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لله، فنام على فراش النبي «صلى الله عليه وآله»، واشتمل ببرده «صلى الله عليه وآله» الحضرمي.

ثم خرج النبي «صلى الله عليه وآله» في فحمة العشاء، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون.

خرج «صلى الله عليه وآله»، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[1].

وكان بيده «صلى الله عليه وآله» قبضة من تراب، فرمى بها في رؤوسهم، ومر من بينهم، فما شعروا به، وأخذ طريقه إلى غار ثور.

ولعل هذه القبضة من تراب قد أشغلتهم بأنفسهم، وصرفت قلوبهم عن التدقيق في رصد موضوع خروج النبي «صلى الله عليه وآله»، لا سيما مع وجود ظلمة قوية، فإنهم كانوا في فحمة العشاء، وتحتاج الرؤية فيها إلى المزيد من التنبُّه إلى إحداد النظر في نقطة بعينها..

وعلى كل حال، فإن الرواة قد زعموا: أن أبا بكر جاء وأمير المؤمنين

---

(١) الآية ٩ من سورة يس.

علي «عليه السلام» نائم، فقال: يا نبي الله، وأبو بكر يحسبه أنه نبي الله قال: فقال له علي: إن نبي الله، قد انطلق نحو بئر ميمونة، فأدركه، فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار(١).

ولعل الصحيح هو الرواية التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لقي أبا بكر في الطريق، وكان أبو بكر قد خرج ليتنسم الأخبار، وربما يكون استصحبه معه، لكي لا يسأله سائل إن كان قد رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقر لهم بأنه رآه، ثم يدلهم على الطريق التي سلكها خوفاً من أن يتعرض لأذاهم، أو خطأ، أو لأي داع آخر.

---

(١) راجع في الفقرات الأخيرة: مناقب الخوارزمي الحنفي ص٧٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصححاه، ومسند أحمد ج١ ص٣٢١، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٣٤، وشواهد التنزيل ج١ ص٩٩ و ١٠٠ و ١٠١، وتاريخ الطبري ج٢ ص١٠٠، وتفسير البرهان ج١ ص٢٠٧، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٣٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ط النجف ص٦٣، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٥، ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠ عن أحمد ورجاله رجال الصحيح غير واحد وهو ثقة، وعن الطبراني في الكبير والأوسط، والبحار ج١٩ ص٧٨ و ٩٣ عن الطبري وأحمد، والعياشي، وكفاية الطالب، وفضائل الخمسة ج١ ص٢٣١، وذخائر العقبى ص٨٧، وكفاية الطالب ص٢٤٢. وقال: إن ابن عساكر ذكره في الأربعين الطوال، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ج١ ص١٨٦ و ١٩٠، ونقله المحمودي في هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث٢٩١ وعن غاية المرام ص٦٦، عن الطبراني ج٣ في الورق ١٦٨/ ب وفي هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٣. وأما الفقرات الأخرى فهي موجودة في مختلف كتب الحديث والتاريخ.

نقول هذا: إذ لا موجب لترجيح تلك الرواية على هذه، ولأننا لم نجد، ما يدل على علم علي «عليه السلام» بالمكان والجهة التي توجه إليها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس ثمة ما يؤيد احتمال أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بشيء من ذلك.

على أن السؤال الأهم هو: كيف دخل أبو بكر إلى علي «عليه السلام»؟!

ومن أين؟!

وكيف لم يره خمسة عشر رجلاً يرصدون البيت وقد طافوا بالدار؟!

وإذا كانوا يرصدون، وينظرون من خلل الباب إلى النائم، ورأوه كيف يتضور وهم يرمونه ببعض الحصى، فكيف لم يروا أبا بكر حين دخل إليه؟!

وإذا كانوا قد رأوه، فهل سمعوا كلامه؟!

وإذا كانوا قد سمعوه، وهم قريبون منه إلى حد أنهم يرمونه بالحصى، فلماذا لم يلحقوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» كما لحق به أبو بكر؟!

وحين دخل أبو بكر هل كشف له عليّ «عليه السلام» رأسه، أم بقي مغطى، وإذا كان قد كشفه فهل رآه المشركون أم لا؟

ولماذا لم يروه ؟! وإذا كانوا قد رأوه، فلماذا انتظروا إلى الصباح؟!

وإذا كانوا قد سمعوا صوت عليّ ورأوه فكيف لم يعرفوه، ولم يميزوا بين الرجلين ولا بين الصوتين؟!

وكيف رأوا تضوره ولم يروا شخصه.. وبعد الاجتماع بين أبي بكر وعليٍّ «عليه السلام» من أين خرج أبو بكر، وهل رأوه حين خرج أم لم يروه؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي لن تجد الجواب المقنع والمقبول.

وعلى كل حال، فقد روى الشيخ الطوسي: «أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر، وهند بن أبي هالة: أن ينتظرا في طريقه إلى الغار بمكان عينه لهما»(١).

وذكر الراوندي: «أنه مشى وهم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد خرج في الليل يتجسس من خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار»(٢).

وإذا صح هذا؛ فيرد سؤال: كيف لم يخبر أبو بكر النبي بأمرهم؟! إلا أن يقال: إنه إنما جاء ليخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك.

ولكن الأهم من ذلك: كيف أطلعت قريش أبا بكر على تدبيرها مع حرصها الشديد على التكتم فيه، عن كل من له بالنبي أدنى صلة كما تقدم تصريح الدياربكري وغيره بذلك؟

قالوا: وجعل المشركون يرمون علياً «عليه السلام» بالحجارة، كما كانوا يرمون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يتضور (أي يتلوى ويتقلب)، وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، فهجموا عليه، فلما بصر بهم عليّ «عليه السلام» قد انتضوا السيوف، وأقبلوا عليه، يقدمهم خالد بن الوليد، وثب له عليّ «عليه السلام»، فختله، وهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر، ويرغو رغاء الجمل، وأخذ من يده السيف، وشد عليهم بسيف خالد، فأجفلوا أمامه إجفال النعم إلى خارج الدار، وتبصروه، فإذا علي.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨١ والبحار ج١٩ ص٦١.

(٢) راجع: البحار ج١٩ ص٧٣ عن الخرائج والجرائح.

قالوا: وإنك لعلي؟

قال: أنا علي.

قالوا: فإنا لم نردك؛ فما فعل صاحبك؟

قال: لا علم لي به[١].

فكان من الطبيعي أن يتراجعوا عنه، وأن يسرعوا إلى قومهم لإخبارهم بما جرى ليتدبروا الأمر قبل فوات الأوان.

وهكذا كان فقد هبت قريش لتدارك الموقف.

قريش في طلب النبي صلى الله عليه وآله:

فأذكت قريش العيون، وركبوا في طلب النبي «صلى الله عليه وآله» الصعب والذلول، واقتفوا أثره، حتى وصل القائف[٢] إلى نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أن من يطلبونه صار معه هنا رجل آخر.

واستمروا يقتفون الأثر حتى وصلوا إلى باب الغار، الذي كان مغطى بأغصان الشجرة.. فصرفهم الله عنه؛ حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار، وباضت في مدخله حمامة وحشية، كما يذكرون، وغير ذلك فاستدلوا من ذلك على أن الغار مهجور، لم يدخله أحد، وإلا لتخرّق النسج، وتكسّر البيض، ولم تستقر الحمامة الوحشية على بابه[٣].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣.

(٢) القائف: الذي يتتبع الآثار.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٧ والبداية والنهاية ج٣ ص١٨١ و ١٨٢.

الراحلتان بالثمن:

وأمهل أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الليلة القادمة؛ فانطلق تحت جنح الظلام، هو وهند بن أبي هالة، حتى دخلا الغار على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر الرسول هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين.

فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين ترتحلهما إلى يثرب.

فقال: إني لا آخذهما، ولا أحدهما إلا بالثمن.

قال: فهي لك بذلك.

فأمر علياً «عليه السلام» فأقبضه الثمن[1].

أداء الأمانات:

ثم أوصاه بحفظ ذمته، وأداء أماناته، وكانت قريش ومن يقدم مكة من العرب في الموسم يستودعون النبي «صلى الله عليه وآله»، ويستحفظونه أموالهم وأمتعتهم، وأمره أن ينادي صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: «من كان له قبل محمد أمانة، فليأت، فلنؤد إليه أمانته».

وقال «صلى الله عليه وآله» لعلي حينئذٍ، أي بعد أن ذهب الطلب عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه، حتى تقدم علي؛ فأد أمانتي على أعين الناس ظاهراً، ثم إني مستخلفك على فاطمة

---

(١) البحار ج١٩ ص٦٢ وأمالي الطوسي ج٢ ص٨٣ وعدم قبوله «صلى الله عليه وآله» الراحلتين من أبي بكر إلا بالثمن لا يكاد يخلو منه كتاب يؤرخ للسيرة النبوية الشريفة وراجع وفاء الوفاء ج١ ص٢٣٧.

ابنتي، ومستخلف ربي عليكما، ومستحفظه فيكما.

نفقات الهجرة:

فأمر «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» أن يبتاع رواحل له وللفواطم، ومن أزمع الهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيدالله (يعني ابن أبي رافع): أو كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجد ما ينفقه هكذا؟.

فقال: إني سألت أبي عما سألتني عنه ـ وكان يحدث لي هذا الحديث ـ فقال: وأين يذهب بك عن مال خديجة «عليها السلام»؟.

قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة[1].

وبعد أن أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الغار ثلاثاً، إنطلق يؤم المدينة[2].

---

(١) ولكن نفس هذا النص يرويه أصحاب الأهواء والتعصبات، ويبدلون فيه كلمة (خديجة) بكلمة (أبي بكر) ليثبتوا له فضيلة لا تؤيدها أي من النصوص والوقائع بل هي على خلافها أدل كما أثبتناه.

(٢) أمالي الطوسي ج٢ ص٨١ و ٨٢ والبحار ج١٩ ص٦١ و ٦٢.

شعر علي عليه السلام بمناسبة المبيت:

وقال أمير المؤمنين «عليه السلام» يذكر مبيته على الفراش، ومقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

وقيت بنفسي خير من وطا الحصـا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

محمد لما خاف أن يمكروا به ... فوقاه ربي ذو الجلال من المكر

وبت أراعيهم متى ينشرونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وبات رسول الله في الغار آمناً ... هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

أقام ثلاثاً، ثم زمت قلائص ... قلائص يفرين الحصا أينما يفري

كل ما تقدم يذكره المؤرخون وأهل الحديث في كتبهم ومؤلفاتهم فليراجعها من أراد.

ولسوف يأتي إن شاء الله بعض الكلام حول سفره، ووروده قباء، وغير ذلك بعد الكلام على بعض الأمور التي ترتبط بما تقدم؛ فنحن نسجل هنا الأمور التالية:

المثل الأعلى للتضحية:

يقول بعضهم: «وهنا تبدأ قصة من أروع ما عرفه تاريخ الفداء والتضحية، فالشجعان والأبطال يثبتون في المعارك في وجه أعدائهم، يدافعون بما لديهم من سلاح وعتاد مع أنصارهم وأعوانهم، وقد تضطرهم المعارك إلى أن يثبتوا في مقابل العدو، لا منفردين.

أما أن يخرج الإنسان إلى الموت طائعاً مطمئناً بدون سلاح ولا عتاد،

وكأنه يخرج ليعانق غادة حسناء، فينام على فراش تحف به المخاطر والأهوال، أعزل من كل شيء إلا من إيمانه، وثقته بربه، وحرصه على سلامة القائد، كما حدث لعلي «عليه السلام»، حينما عرض عليه ابن عمه محمد «صلى الله عليه وآله» أمر المبيت على فراشه؛ ليتمكن هو من الفرار، والتخلص من مؤامرة قريش؛ فهذا ما لم يحدث في تاريخ البطولات، وما لم يعرف من أحد في تاريخ المغامرات، في سبيل المبدأ والعقيدة».

ويقول: «ولم يكن مبيت عليٍّ ليلة الهجرة هي المرة الأولى؛ فلقد كان أبو طالب في أيام الحصار في الشعب يُنيم علياً على فراش النبي، حتى إذا حصلت حادثة اغتيال، كان في عليٍّ دون النبي، ولم يكن ليمانع في ذلك أبداً بل كان يقدم عليه برضا نفس، وطيبة خاطر»[1].

ونقول: إننا لا نوافق على هذا التعبير الجاف الذي يقول: «ليتمكن هو من الفرار..» فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يفر، ولكنه يهاجر لجمع القوى، ويعود ظافراً فاتحاً بعد ثمان سنوات..

المبيت، والخلافة:

والغريب هنا: أن نجد أحد من عرف بنصبه، وبالعداء لشيعة عليٍّ «عليه السلام» أو محبيه، يضطر لأن يعترف بأن قضية مبيته «عليه السلام» على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، من الإشارات الواضحة إلى خلافته، فيقول:

«هذا الذي كان من عليٍّ في ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في مجرى الأحداث

---

(١) راجع: سيرة المصطفى ص٢٥٠ و ٢٥٢.

التي عرضت للإمام عليٍّ في حياته بعد تلك الليلة؛ فإنه يرفع لعيني الناظر إمارات واضحة، وإشارات دالة على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن عارضاً بالإضافة إلى عليّ، بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها، فلنا أن نسأل:

أكان لإلباس الرسول «صلى الله عليه وآله» شخصيته لعلي تلك الليلة ما يوحي بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين علي أكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينهما؟.

وهل لنا أن نستشف من ذلك أنه إذا غاب شخص الرسول كان علياً (كذا) هو الشخصية المهيأة لأن تخلف، وتمثل شخصه، وتقوم مقامه؟. وأحسب أن أحداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرتنا هذه إليه، ولم يقف عنده وقفتنا تلك حتى شيعة علي»[1].

قريش وعلي عليه السلام:

١ ـ ونشير هنا: إلى أن الملاحظ: أن قريشاً لم تصر على أمير المؤمنين في استنطاقها له عن مكان ابن عمه.

وما ذلك إلا لأنهم قد علموا: أنهم إنما يحاولون عبثاً، ويطلبون مستحيلاً، فإن من كان يحمل مثل هذا الإخلاص، ومثل هذه التضحية النادرة في التاريخ لن يفشي لهم سراً قد ضحى بنفسه في سبيل كتمانه، لذلك نراهم قد أطلقوه وانصرفوا عنه يائسين[2].

---

(١) علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب ١٠٥ و ١٠٦.

(٢) راجع حياة أمير المومنين ص١٠٥ و ١٠٦.

٢ ـ لقد كان علي في موقفه تجاه النبي «صلى الله عليه وآله» مثلاً أعلى للإنسانية الكاملة، فقد عرف الناس معنى الإخلاص، وماهية التضحية، وحقيقة الإيمان.

حيث إنه يرى نفسه مقتولاً على كل حال، إما لظن المشركين أنه رسول الله، فيخبطوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، وإما انتقاماً منه، حيث كان سبباً لخلاص من سفه أحلامهم، وعاب آلهتهم، وفرق جماعتهم، وهم يعرفون أيضاً حب النبي «صلى الله عليه وآله» له ومنزلته منه، فإذا قتلوه فإنما يقتلون أخاه وابن عمه، والرجل المخلص الذي يفديه بنفسه[١].

وأما انصرافهم عنه، بعد ظهور الأمر، فهو إما خوفاً منه، بعد أن رأوا ما فعله بخالد، وإما من أجل توفير الفرصة للبحث عن غريمهم الأصلي والأهم بالنسبة إليهم.

بقي هنا سؤال:

وهو أنه إذا كان علي «عليه السلام» يعلم بأن حديث الدار يدل على أنه «عليه السلام» لن يقتل في هذه الحادثة، بل هو سوف يعيش إلى ما بعد الرسول «صلى الله عليه وآله» ليكون وصيه وخليفته من بعده، فلا تبقى له فضيلة في مبيته على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة.

والجواب:

أولاً: إن ذلك لا يمنع من حصول البداء في هذا الأمر حسبما أشرنا إليه في أوائل هذا الكتاب.

---

(١) المصدر السابق ص١٠٧ و ١٠٨.

ثانياً: إن ذلك لا يمنع من تعرضه «عليه السلام» للجراح وقطع الأعضاء والأسر والتعذيب البالغ.

وهو أمر يتجنبه ويخشاه الناس وسيأتي بعد صفحات ما يؤيد الجواب الأول وأنه «عليه السلام» قد كان موطناً نفسه على القتل والأسر ومعنى ذلك هو أنه كان لا يقطع بالبقاء إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، لأجل إمكانية حصول البداء في هذا الأمر لما قلنا.

قريش والمبيت:

ويقول البعض أيضاً: «إن هذا الذي كان من علي ليلة الهجرة في تحديه لقريش هذا التحدي السافر، وفي استخفافه بها، وقيامه بينها ثلاثة أيام يغدو ويروح إن ذلك لا تنساه قريش لعلي أبداً.

ولولا أنها وجدت في قتله يومئذ إثارة فتنة تمزق وحدتها، وتشتت شملها، دون أن يكون في ذلك ما يبلغ بها غايتها في محمد «صلى الله عليه وآله» ـ لولا ذلك ـ لقتلته، وشفت ما بصدرها منه، ولكنها تركته، وانتظرت الأيام لتسوي حسابها معه»[1].

ولقد كان حساباً عسيراً حقاً، ولا سيما بعد أن أضاف إلى ذلك: أنه قتل رجالها، وجندل صناديدها، وبقي اليد الطولى لابن عمه يضرب بها هنا وهناك كل متكبر جبار، أين وأنى شاء.

وقد بدأ هذا الحساب العسير فور استشهاده «صلى الله عليه وآله»، وحتى قبل أن يغسل ويكفن ويدفن.

---

(١) علي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب ص١٠٦.

مقايسة:

قلنا: إن مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا قد ضيع الفرصة على قريش، وأفشل ما كانت دبرته في النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان أيضاً سبباً لتمكين الدين، وإعلاء كلمة الحق.

وأما أن يقاس ذلك بقضية ذبح إسماعيل، فلا يصح ذلك، لان إسماعيل قد استسلم لوالد شفيق رحيم، يجد في عطفه وحنانه ما يسليه عما ينزل به، ولا يجد منه أياً من أنحاء التنكيل، والقسوة والخشونة.

أما علي «عليه السلام»، فإنما استسلم لعدوه الذي لا يرحمه، ومن لا يشفي غليله إلا سفك دمه، وصب أقسى أنواع العذاب والتنكيل عليه، مع شماتة قاتلة، وحقد هائل.

وقد تكلم الإسكافي في نقضه لعثمانية الجاحظ حول هذه القضية فراجعه[1]، ولو أردنا استقصاء الكلام حول هذه النقطة لطال بنا المقام.

إرادة الله:

لقد كان من الممكن أن ينصر الله رسوله من دون أن يضطر إلى اللجوء إلى الغار، وإلى مبيت علي «عليه السلام» على فراشه، وذلك عن طريق آيات باهرة، وعنايات ومعجزات قاهرة.

وقد ظهر أنه قادر على ذلك من خلال ما صنعه لرسوله «صلى الله عليه وآله» من نسج العنكبوت، ومن إنبات الشجر على باب الغار، ثم تردد الحمامة الوحشية على مكان قريب تنفر منه بحسب العادة.

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ والعثمانية للجاحظ في أواخرها.

ولكن لا، فقد شاءت العناية الإلهية أن تسير الأمور على سجيتها، وعلى وفق أسبابها الطبيعية، مع تسديدات وعنايات تشمل الأمور الخارجة عن حدود الطاقة، وليكون ذلك مثلاً لنا جميعاً ودرساً مؤثراً في الجد والعمل في سبيل الدين والعقيدة، فليس لنا أن ننتظر المعجزة من السماء، فالله لم يخطط لنبيه على أساس المعجزة والكرامة وحسب، ولا تكرم عليه بها إلا بعد أن رأى منه الاستعداد والتضحية والمبادرة إليها، فاستحق اللطف الإلهي، وتحقق مصداق قوله تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾[1] و﴿**إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ**﴾[2].

وأما السبب في أنه تعالى لم يخطط لنبيه على أساس التدخل المباشر، والإعجاز: هو أنه حين يرتبط الأمر بحرية اختيار الناس لأعمالهم فلا بد من الحذر من أن يفهم الأمر بطريقة خاطئة، وهو أنهم مسلوبو الاختيار، وأن لا قدرة لهم على التصرف؛ ولأجل ذلك فإن التدخل الإلهي يقتصر على ما يكون من خارج دائرة اختيارهم، فهم قد فعلوا كل ما خطر في بالهم، فلم يمنع أعينهم من النظر والرؤية، ولا أصم آذانهم عن السمع، ولا منع لسانهم من الحركة، والتفاهم، ولا شل حركة أيديهم عن حمل السلاح، ولا أقعدهم عن المشي في أي اتجاه أحبوا.

بل تصرف خارج دائرة اختيارهم، فخلق الشجرة التي تحتاج في الحالات الطبيعية إلى سنوات، ونسجت العنكبوت ـ التي يستغرق نسجها

---

(١) الآية ٤٠ من سورة الحج.

(٢) الآية ٧ من سورة محمد.

إلى شهور ـ في وقت يسير.. تماماً كما تدخل في قضية حرق النبي إبراهيم «عليه السلام» في خارج دائرة الاختيار، فقال للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً﴾ بعد أن فعل الناس كل ما راق لهم فجمعوا الحطب وجاؤوا بالمنجنيق، وأضرموا النار و.. الخ..

لماذا التدخل الإلهي؟!

والذي نلاحظه: أن الله تعالى قد تدخل لحفظ نبيه «صلى الله عليه وآله» بطريقة تحفظ للناس اختيارهم وإطلاق إرادتهم، غير أن السؤال عن السبب في هذا التدخل الذي يأتي على درجة من الندرة في حياة الأنبياء، فقد رأينا بني إسرائيل يقتلون الأنبياء، ولا يتدخل الله لمنعهم من ذلك.

ونقول في الجواب: إن تكرر هذا التدخل من شأنه أن يعطي الانطباع بأن لا قيمة لجهد وجهاد أهل الإيمان لحفظ الدعوة، والدفاع عن رمزها..

وهذا ما يؤدي إلى الخمول والتخاذل وإهمال الواجب، وطمع أهل الباطل بأهل الحق، وإعطائهم الفرصة للعبث وإثارة المتاعب أمامهم..

مع ملاحظة: أن هذا التدخل قد انحصر في حالة واحدة هي حين يكون الخطر يتهدد الرمز الأعظم الذي يكون إسقاطه إسقاطاً للمشروع الإلهي كله.. مثل إبراهيم «عليه السلام» ونبينا الأعظم محمد «صلى الله عليه وآله».. دون غيرهما من الأنبياء «عليهم السلام».

فكان لا بد من التدخل الإلهي؛ لأن القضية لا تختص بقوم دون قوم، بل الخسارة تكون للبشرية جمعاء..

ولا يمكن التفريط في أمر كهذا لمنافاته اللطف الإلهي الذي يفرض إقامة الحجة على جميع البشر، والرحمة لهم، بحفظ باب الهداية مفتوحاً

أمامهم، وإقامة الحجة، وتوفير البيانات والحجج لهم.

وهذا حق محفوظ لهم، ولا يمكن حرمانهم من ذلك.

ولعلك تقول: ألا تعد غيبة الإمام «عليه السلام» حرماناً للبشر من حق لهم، بسبب تفريط جماعة صغيرة من الناس حين استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه..

فالجواب: أن غيبة الإمام وإن كانت في البداية بسبب فعل مجموعة من الناس في وقت بعينه لكن استمرار موجبات هذه الغيبة إنما هو بفعل نفس الناس الموجودين في كل عصر، لأن بإمكانهم إزالة هذه الموجبات، وفسح المجال أمام إشراقة شمس ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بين النظرة المصلحية والواقع:

ولقد وقع المشركون في تناقض عجيب، فهم في نفس الوقت الذي يصرون فيه على تكذيب النبي «صلى الله عليه وآله»، والافتراء عليه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه: إنه مجنون، ساحر، شاعر، كاهن، الخ.. نراهم يأتمنونه على أموالهم وودائعهم إلى الحد الذي يحتاج معه إلى أن يترك ابن عمه ينادي في الناس ثلاثة أيام؛ ليأتوا إليه ويأخذوا ودائعهم، وهل يؤمّن المجنون، والكذاب، والكاهن، والعدو؟!.

فإن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن عدم إيمان المشركين بما يدعوهم إليه ليس إلا استكباراً وعناداً، لا عن قناعة بعدم صحة ما جاءهم به، وقد قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1].

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

أي أنهم كانوا يجحدون بما جاءهم به، إما زعماً منهم أن في ذلك حفاظاً على مصالحهم الشخصية ومستقبلهم، وإما تقليداً أعمى للضالين من آبائهم وأجدادهم، وإما حفاظاً على امتيازاتهم، أو حسداً، أو غير ذلك.

وإن إبقاء علي «عليه السلام» في مكة ليؤدي للناس أماناتهم وودائعهم، في ظروف حساسة وخطيرة جداً كهذه الظروف، لهو من أروع الأمثلة للإنسان الكامل، الذي يلتزم بمبادئه، ويحترم قناعاته، ولا يحيد عما رسمه الله له قيد شعرة، ولا يبحث عن المعذرات والفرص، وإنما هو يعيش من أجل مبادئه العليا، وتحقيق أهدافها، ولا يعتبر المبدأ وسيلة لتحقيق مآربه وأهدافه.

نعم، لقد كان «صلى الله عليه وآله» أميناً عندهم، وسموه بـ «الأمين». وكان ذلك من أبرز صفاته الشخصية حتى قبل نبوته، وها هو يؤدي إليهم أماناتهم، مع أنهم يريدون نفسه ودمه، ومحو كل آثاره من الوجود، وتشويه كل ما يرتبط به.

ولكن ذلك لا يحول بينه وبين أن يهتم بأمانات الناس، برهم وفاجرهم، وقد كان له كل العذر لو أنه لم يردها عليهم.

وبالمناسبة فإننا نعطي بعض المحققين الحق في أن يتعجب أو يستغرب، كيف لا يرى أحاديث عامة أهل السنة تهتم بهذه الصفة العظيمة، صفة الأمانة التي هي أساس إنسانية الإنسان؟

ولكن لا عجب من ذلك ولا غرابة فيه؛ فإن أحاديث «الحكمة» قد محيت أيضاً وذهبت منذ استشهد «صلى الله عليه وآله» بعناية وتعمد تام من قبل الخلفاء الحكام، وإلا فأين هذا الأمر الذي يخبر الله في أكثر من سبع آيات: أنه كان من جملة مهمات ووظائف النبي «صلى الله عليه وآله» في أيام

رسالته: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[١].

فقد عرفنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد علم الناس الكتاب، وقد بقي هذا الكتاب بحفظ من الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

ولكن أين هي تلك الحكمة التي علمها النبي «صلى الله عليه وآله» لأمته، ونحن نرى: أنه لم يبق منها عند علماء الإسلام ومن يهتم بالأحاديث سوى نحو من خمس مئة حديث في أصول الأحكام ومثلها في أصول السنن[٣] وهل كان من بينها شيء في الحكمة يا ترى؟.

نعم، نحن نجد في أحاديث الأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام الكثير من الحكمة، ومن بينها الكثير من الأحاديث في الأمانة والصدق الذي هو شعبة منها، وقد جعلوها محوراً للأخلاق العملية، واهتموا بها بصورة عجيبة وظاهرة.

الأرض والمبدأ:

لقد رأينا: أن الأرض ليست هدفاً في نظر الإسلام، وإنما الهدف هو الإسلام نفسه، فإن المقام في الأرض والاحتفاظ بها، إذا كان معناه الذل والقهر، والحرمان، وعدم تحقيق الأهداف الدينية السامية الكبرى، التي تكون بها سعادة الإنسان، فيجب ترك هذه الأرض والتخلي عنها إلى غيرها، من أجل الصلاح والإصلاح، وبناء المستقبل، والحصول على السعادة والكرامة الحقيقية.

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٩ من سورة الحجر.

(٣) مناقب الشافعي ج١ ص٤١٩ وعن الوحي المحمدي ص٢٤٣.

فالإنسان أولاً، وكل ما عداه فإنما هو من أجله، وفي خدمته.

ومن معطيات الهجرة أيضاً:

وبعد هذا، فإن قضية الهجرة تعطينا: وجوب نصر المسلمين بعضهم بعضاً حيث رأينا أن المهاجرين قد استعانوا بإخوانهم الأنصار فأعانوهم ونصروهم على أعدائهم.

كما أنها تعطينا وجوب أن يكون المسلمون يداً واحدة على من سواهم، من دون أن يكون للروابط القبلية أي تأثير في ذلك، ووجوب أن يكون المنطلق لهم في تعاونهم وتوادهم، وتراحمهم، والتأسي في المعاش فيما بينهم، هو الدين والعقيدة، لا الروابط القبلية، أو المصلحية، أو غير ذلك.

ثم هي تعطينا حسن التدبير، ودقة التخطيط الذي اتبعه «صلى الله عليه وآله» في تلك الظروف الحرجة والعصيبة، فإن مبيت أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي جعل قريشاً تطمئن إلى وجوده «صلى الله عليه وآله» على فراشه، حينما جاء من أخبر المحيطين بالبيت بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خرج وانطلق لحاجته[1].

أبو طالب عليه السلام في حديث الغار:

وقد جاء في بعض الروايات: أن أبا طالب «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله» حينما ائتمروا به: هل تدري ما ائتمروا بك؟

قال: يريدون أن يسجنوني، أو يقتلوني، أو يخرجوني.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٠.

قال: من حدثك بهذا؟

قال: ربي.

قال: نعم الرب ربك الخ..[١].

ونقول: إن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، لأن ائتمارهم به «صلى الله عليه وآله» قد كان بعد بيعة العقبة الثانية، وقبل الهجرة بقليل، أي في السنة الثالثة عشرة بعد البعثة، وأبو طالب قد توفي في السنة العاشرة من البعثة، أي بعد خروج المسلمين من الشعب.

إلا أن يقال: إن من الممكن أن يكونوا قد ائتمروا أن يفعلوا به ذلك أكثر من مرة، فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، ثم عزموا على تنفيذ مؤامرتهم في وقت متأخر، ولعل الرواية المذكورة آنفاً تؤيد ذلك.

مع آية الغار:

قال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٢].

ربما يقال: إن هذه الآية تدل على فضل أبي بكر، لأمور:

منها: أنه عبر عن أبي بكر بأنه ثاني اثنين،بدعوى أنه أحد اثنين في الفضل، ولا فضل أعظم من كون أبي بكر قريناً للنبي «صلى الله عليه وآله».

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٧٩ عن سنيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

ومنها: أنه جُعل صاحباً للنبي «صلى الله عليه وآله»، والصحبة في هذا المقام العظيم منزلة عظمى.

ومنها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ أي أنه معهما بلحاظ نصرته ورعايته، ومن كان شريكاً للنبي «صلى الله عليه وآله» في نصرة الله له، كان من أعظم الناس.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فإن السكينة قد أنزلت على أبي بكر؛ لأنه هو المحتاج إليها، لما تداخله من الحزن، دون النبي «صلى الله عليه وآله»: لأنه عالم بأنه محروس من الله سبحانه وتعالى[1].

ولكن ذلك كله لا يصح، وذلك لما يلي:

١ ـ إن عائشة تقول: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، غير أن الله أنزل عذري[2] وحتى عذرها هذا قد ثبت أنه لا يمكن أن يكون قد نزل فيها، كما أثبتناه في كتابنا حديث الإفك.

٢ ـ أما كونه ثاني اثنين، فليس فيه إلا الإخبار عن العدد، وهو لا يدل على الفضل، إذ قد يكون الثاني صبياً، أو جاهلاً، أو مؤمناً، أو فاسقاً الخ..

والفضيلة في القرآن منحصرة بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، لا بالثانوية.

---

(١) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٤٠٤ و ٤٠٥.

(٢) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج٣ ص١٢١، وتفسير ابن كثير ج٤ ص١٥٩، وفتح القدير ج٤ ص٢١، والدر المنثور ج٦ ص٤١ وراجع الغدير ج٨ ص٢٤٧.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

ويزيد العلامة المظفر: أنه لو كان المراد الإثنينية في الفضل والشرف، لكان أبو بكر أفضل لأنه هو الأول، والنبي هو الثاني بمقتضى الآية!![١].

٣ ـ من الواضح: أن الهدف في الآية هو الإشارة إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان في موقف حرج، ولا من يرد عنه أو يدفع، أما رفيقه فليس فقط لا يرد عنه، وإنما هو يمثل عبئاً ثقيلاً عليه، بحزنه وخوفه ورعبه، فبدل أن يخفف عن النبي «صلى الله عليه وآله»، ويشد من أزره، يحتاج هو إلى أن يخفف نفس النبي «صلى الله عليه وآله» عنه، ويسليه!! أو على الأقل لم يكن له أي أثر في الدفاع عن الرسول، والتخفيف من المشقات التي يتحملها، إلا أنه قد زاد العدد، وصار العدد بوجوده اثنين.

٤ ـ أما جعله صاحباً للنبي «صلى الله عليه وآله»، فهو أيضاً لا فضيلة فيه؛ لأن الصحبة لا تدل على أكثر من المرافقة والاجتماع في مكان واحد، وهو قد يكون بين العالم وغيره، والكبير والصغير، وبين المؤمن وغيره، قال تعالى: ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾[٢]، وقال: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ**﴾[٣].

فالصحبة من حيث هي لا فضل فيها.

٥ ـ أما قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾؛ فقد جاء على سبيل الإخبار لأبي بكر؛ والتذكير له بأن الله تعالى سوف يحفظهم عن أعين المشركين، وليس في

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٤٠٤.

(٢) الآية ٢٢ من سورة التكوير.

(٣) الآية ٣٧ من سورة الكهف.

ذلك فضيلة له، بل فيه إخبار بأن الله ينجيهم من أيدي أعدائهم، ولسوف ينجي الله أبا بكر مقدمة لنجاة نبيه، ما دام أن هذا متوقف على ذاك.

وهذا نظير ما أشارت إليه الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1] إذن، فنجاة المشركين من العذاب لأجل النبي، أو لأجل وجود مؤمن مقيم فيما بينهم لا يوجب فضلاً للمشركين.

٦ ـ إن هذا الحزن قد صدر منه ـ كما يقول المؤرخون ـ بعد ما رأى من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة، التي توجب اليقين بأن الله يرد عن نبيه، ويحفظه من أعدائه.

فهو قد عرف بخروجه من بين القوم، وهم لا يرونه، ورأى نسج العنكبوت على باب الغار، ورأى الحمامة تبيض، وتقف على باب الغار، وغير ذلك، كما أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخبر المسلمين بأنه ستفتح على يديه كنوز كسرى وقيصر، وأن الله سيظهر دينه، وينصر نبيه، فحزن أبي بكر في مقام كهذا لا يمكن أن يكون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه قد عرف بعد رؤيته لتلك الآيات أن الله سبحانه حافظ لنبيه، فإن كان بعد كل هذا غير مصدق بحفظ الله لنبيه غير واثق بنصرته له مع رؤيته لكل هذه الآيات فسيكون أمره مريباً، وفي غاية الغرابة، ويكون حزنه معصية يجب أن يردع عنها ويمنع منها، والنهي عنها مولوي، وهو يكشف عن عدم رسوخ قدم له في معرفة جلال وعظمة الله، ولا نقول أكثر من ذلك.

وإن كان أبو بكر على يقين من نصرة الله لنبيه، لكنه حزن على نفسه،

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأنفال.

خوفاً من أن يلحق به أذى من قبل قريش فإنه يحتاج في هذه الحال إلى التطمين، الذي أكد له أن الله تعالى عارف بحاله وبمطالبه الشخصية، وهو مع الرسول «صلى الله عليه وآله» في مكان واحد، ويحتاج حفظ الرسول إلى حفظ من يكون معه، لأن التدخل الإلهي فيما يرتبط بإبعاد المشركين عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإيجاد الشجرة، ونسج العنكبوت إنما يسير من ناحية المشركين، وفقاً للسنن الطبيعية، ولا يمكن وفقاً لهذه السنن أن يفسح المجال للمشركين لرؤية أبي بكر إلا إذا رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جانبه.

وفي هذا تفريط بالرسول وإفساد للخطة الإلهية، فظهر أن حفظ الرسول يستلزم حفظ من اجتمع معه في المكان أيضاً.

لأن إفساح المجال للمشركين لرؤية أبي بكر سوف يمكنهم من رؤية الرسول «صلى الله عليه وآله» إلا إذا طمس على أعينهم بتدخل إلهي مباشر وفي هذا ظلم لهم لما فيه من سلب لاختيارهم.

وأخيراً.. فإننا نذكر القارئ بالفرق بين من يحزن خوفاً على نفسه، وبين من يضحي بنفسه من أجل نجاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا يسأل عما سوف يصيبه إذا كتب الله لنبيه النجاة.. حتى استحق أن يباهي الله به ملائكته وأن ينزل فيه آية قرآنية تبين كيف باع نفسه لله، وهو قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**[1].

وقد قيل: إن أبا بكر قال: يا رسول الله، إن حزني على أخيك علي بن أبي

---

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

طالب ما كان منه، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[1].

٧ ـ أما قولهم إن النصر كان من الله لهما معاً، فهو شريك للنبي في نصرة الله لهما، وهذا فضل عظيم.

فهو أيضاً باطل، ويدفعه صريح الآية، فإنها قد خصت نصر الله تعالى ـ ولعله بمعنى أنه تعالى نجى نبيه من الكفار ـ بالرسول، قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ (الضمير يرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله») فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ..﴾. فالنصر إذن ثابت لخصوص النبي «صلى الله عليه وآله»، وأبو بكر تابع محض، والتبعية في النصرة إنما هي لأجل اجتماعهما في مكان واحد، وذلك لا يدل على فضل لأبي بكر[2].

أو فقل: إن حفظه لأبي بكر إنما هو مقدمة لحفظ شخص النبي «صلى الله عليه وآله» كما قلنا.

٨ ـ وأما قضية السكينة، فلا يصح قولهم: إنها نزلت على أبي بكر، بل هي نازلة على خصوص النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن الضمائر المتأخرة والمتقدمة في الآية كلها ترجع إليه «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف، وذلك في الكلمات التالية: تنصروه، نصره، يقول، أخرجه، لصاحبه، أيده، فرجوع ضمير في وسطها إلى غير النبي «صلى الله عليه وآله» يكون خلاف الظاهر، ويحتاج إلى قرينة قاطعة.

ويلاحظ هنا: أن ثمة تجاهلاً ظاهراً لأبي بكر في هذه الآيات المباركة،

---

(١) راجع ما تقدم في كنز الفوائد للكراجكي ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٤٠٥.

يوحي بما ربما لا يروق للكثيرين أن يفكروا به.

كلام الجاحظ، وما فيه:

وناقش الجاحظ[(١)] **وغيره فقالوا:** إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى السكينة لتنزل عليه، وكأنه يريد أن يجعل من ذلك قرينة لصرف اللفظ عن ظاهره.

ولكنه كلام باطل.

أولاً: قال تعالى في سورة التوبة في الآية ٢٦ عن قضية حنين: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾. وقال في سورة الفتح في الآية ٢٦: ﴿**فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

فهاتان الآيتان: تدلان على نزول السكينة عليه «صلى الله عليه وآله»، فلا يصح ما ذكره الجاحظ.

ومن جهة ثانية نرى: أنه تعالى قد ذكر نزول السكينة على المؤمنين فقال: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً..**﴾[(٢)].

وقال: ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[(٣)].

وهنا قد يتساءل البعض عن سر إخراج أبي بكر من السكينة، ولم حرم منها هنا، مع أن الله قد أنزلها على النبي «صلى الله عليه وآله» هنا وعليه وعلى المؤمنين في غير هذا الموضع؟!!

---

(١) العثمانية ص١٠٧.

(٢) الآية ٤ من سورة الفتح.

(٣) الآية ١٨ من سورة الفتح.

وأقول: لربما يمكن الجواب: بأن إنزالها على الرسول هنا يكفي؛ لأن في نجاته نجاة لصاحبه، وفي خلاصه خلاصه.

ولكنه جواب متهالك، لأن السكينة إنما توجب اطمينان القلب، وذهاب القلق، وهو أمر آخر غير النجاة والخلاص.

فيبقى السؤال الآنف بانتظار الجواب.

ثانياً: إن السكينة هي: نعمة من الله تعالى: ولا يجب في نزول النعمة الاتصاف بما يضادها، ولذلك تنزل الرحمة بعد الرحمة، وقد يكون نزول السكينة يهدف إلى زيادة الإيمان قال تعالى مشيراً إلى ذلك: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً..﴾**.

ثالثاً: من أين علموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى السكينة مع عدم وجود ما يدل عليه في الآية، فلتكن كآية حنين بمعنى أن هذه السكينة بمثابة الإعلام بأن مرحلة الخطر القصوى قد انتهت؟!

ولماذا لا يظن النبي «صلى الله عليه وآله»: أن حزن أبي بكر، ورعبه وخوفه، وبكاءه، قد كان لمشاكل أخرى وهو «صلى الله عليه وآله» وإن كان يعلم: أنه سوف ينجو منها في النهاية، إلا أنها تشكل على الأقل عراقيل وموانع، تؤخر وصوله إلى هدفه الأقصى والبعيد.

رابعاً: يرى العلامة الطباطبائي: أن الآية مسوقة لبيان نصر الله تعالى لنبيه، حيث لم يكن معه أحد يتمكن من نصرته، ومن هذا النصر إنزال السكينة عليه، وتقويته بالجنود، ويدل على ذلك تكرار كلمة «إذ» ثلاث مرات، كل منها بيان لما قبله بوجه، فتارة لبيان وقت النصر، وأخرى لبيان حالته «صلى الله عليه وآله»، وثالثة لبيان وقت هذه الحالة؛ فالتأييد بالجنود

كان لمن نزلت السكينة عليه[١].

ويقول بعض الأعلام[٢]: «إن أبا بكر لما لم يستجب لطلب النبي «صلى الله عليه وآله» في أن لا يحزن ولا يخاف، فإن السكينة نزلت على النبي «صلى الله عليه وآله»، وبقي أبو بكر على عدم سكينته، الأمر الذي يدل على أن أبا بكر لم يكن مؤهلاً لهذا التفضل والتكرم من الله تعالى».

ماذا يقول المفيد هنا، وبماذا يجيبون؟!

ويقول المفيد، وغيره: إن حزن أبي بكر إن كان طاعة لله؛ فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا ينهى عن الطاعة؛ فلم يبق إلا أنه معصية[٣].

وأجاب الحلبي وغيره: بأن الله خاطب نبيه بقوله: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فنهي الله لنبيه لم يكن إلا تأنيساً وتبشيراً له، وكذلك نهي النبي لأبي بكر[٤].

ونحن نرى أن جواب الحلبي هذا في غير محله، وذلك:

لأن حزن أبي بكر، وشكه في نصر الله، الذي يشير إليه قوله «صلى الله عليه وآله» له: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ كان مما لا يجمل ولا يحسن؛ إذ كان عليه أن يثق بنصر الله سبحانه وتعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»، بعد ما رأى المعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، الدالة على أن الله تعالى سوف ينجي

---

(١) راجع: تفسير الميزان ج٩ ص٢٨٠ ط بيروت.

(٢) هو العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني «رحمه الله».

(٣) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص١١٩ وكنز الفوائد للكراجكي ص٢٠٣.

(٤) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٨.

نبيه من كيد المشركين.

وعليه فلا يمكن أن تكون الآية واردة في مقام مدحه وتقريظه، ولا بد من حمل النهي على ما هو ظاهر فيه، ولا يصرف عن ظاهره إلا بقرينة، بل ما ذكرناه يكون قرينة على تعين هذا الظاهر.

ولا يقاس حزن أبي بكر بحزن النبي «صلى الله عليه وآله»، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وغيرها، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما كان يحزن من أجل ما يراه من العوائق أمام دعوته، والموانع التي تعترض طريق انتشار وانتصار دينه، لما يراه من استكبار قومه، ومقامهم على الكفر والطغيان.

فالنهي له «صلى الله عليه وآله» في الآية المتقدمة، ولموسى «عليه السلام» في آية أخرى، ليس نهي تحريم، وإنما هو تأنيس وتبشير بالنصر السريع لدينه، وللتنبيه على عدم الاعتناء بقولهم، وعدم استحقاقهم للحزن والأسف.

فحزن النبي «صلى الله عليه وآله» هنا يدل على عمق إيمانه، وفنائه في ذات الله تعالى، وهو لا يقاس بحزن من يحزن من أجل نفسه، ومن أجل نفسه فقط.

والآيات صريحة فيما نقول: فنجد آية تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يحزن لمسارعة قومه في الكفر: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ..﴾[1] و﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾[2] وأخرى تقول إنه يحزن لما بدا له من تكذيبهم

---

(١) الآية ١٧٦ من سورة آل عمران، والآية ٤١ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٣ من سورة لقمان.

إياه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ..﴾[١].

وثالثة تقول: إنه كان يحزن لاتخاذهم آلهة من دون الله ﴿فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٢]. وهكذا سائر الآيات، كما لا يخفى على من لاحظها.

فالآيات على حد قوله تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[٣] فهو حزن حسن منه «صلى الله عليه وآله»، وهو يدل على كمال صفاته، وسجاحة[٤] أخلاقه، صلوات الله عليه وآله الطاهرين.

أضف إلى كل ما تقدم: أننا لو لم نعرف واقع حزن أبي بكر، فإننا لا يمكن أن نقيسه على حزن النبي المعصوم، بل علينا أن نأخذ بظاهر النهي، وهو التحريم، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل.

سؤال يحتاج إلى جواب:

وإذا كان أبو بكر يحزن مع ما يرى من الآيات والمعجزات، ولا يصبر لينال أجر الصابرين الموقنين، فكيف تكون حالته لو أراد أن ينام في مكان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في تلك الليلة المهولة؟! وهل من الممكن أن لا يضعف وينهار أمام كيد قريش، ويستسلم لجبروتها في اللحظات العسيرة، ولتنقلب من ثم مجريات الأمور رأساً على عقب؟.

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٧٦ من سورة يس.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٤) السجاحة: السهولة واللين والإعتدال.

هذا السؤال يطرح نفسه، وربما لا، ولن يجد الجواب الكافي والشافي في المستقبل القريب على الأقل.

سؤال آخر: وهو أنه هل يمكن أن نصدق بعد هذا ما يدعى من أشجعية أبي بكر بالنسبة لسائر الصحابة؟!

وسيأتي إن شاء الله تعالى حين الكلام على غزوة بدر، بعض ما يرتبط بهذا السؤال الثاني، فإلى هناك.

تحير أبي بكر في حراسته للنبي ﷺ:

ويقولون: إن أبا بكر كان في الطريق إلى الغار، تارة يمشي أمام النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخرى خلفه، وثالثة عن يمينه، ورابعة عن يساره؛ فسأله رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك[1].

وهذا كلام لا يصح.

أولاً: لأن حزنه في الغار، وخوفه وهو يرى الآيات والمعجزات التي يذكرها نفس هؤلاء الراوين لهذه الرواية قد زاد في كدر النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد احتاج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن ينزل الله سكينته عليه.

ثانياً: عدا عن ذلك فإنه لا معنى لتخوف الرصد، فقد كانت قريش مطمئنة إلى أنها تحاصر النبي «صلى الله عليه وآله»، وتحيط به، وأنه لن تكون

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٦، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٤.

له نجاة من مكرها وكيدها، ثم هل كان لديه سلاح يدفع به عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أو عن نفسه؟!.

ثالثاً: أضف إلى ذلك كله: فراره في أحد، وحنين، وخيبر، كما سنرى إن شاء الله تعالى، ولم يؤثر عنه فيما سوى ذلك أي موقف شجاع يذكر، وقد يكون للقصة أصل إذا كان يفعل ذلك من جهة خوفه على نفسه، فكان يبحث عن موقع يشعر فيه بالأمن فلا يجده!! ثم حرفت وحورت حتى صارت كما ترى، فتبارك الله أحسن الخالقين!!

التأكيد على موقف أبي بكر.

وإننا نكاد نطمئن إلى أن الهدف من هذا وسواه هو تعويض أبي بكر عما فقده، في مقابل مبيت علي «عليه السلام» على فراش النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، حيث باهى الله به ملائكته، وهو مقام ناله علي «عليه السلام» بجهاده وصبره، وإخلاصه.

من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؟!

قد ورد: أن الله تعالى أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة.

فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد «صلى الله عليه وآله»؛ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوه.

فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل

ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله به الملائكة؟

فأنزل الله عزوجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

---

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

والرواية في: أسد الغابة ج٤ ص٢٥، والمستجاد للتنوخي ص١٠، وثمرات الأوراق ص٣٠٣، وتفسير البرهان ج١ ص٢٠٧، وإحياء العلوم ج٣ ص٢٥٨، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٩، وكفاية الطالب ص٢٣٩، وشواهد التنزيل ج١ ص٩٧، ونور الأبصار ص٨٦، والفصول المهمة لابن الصباغ ص٣١، وتذكرة الخواص ص٣٥ عن الثعلبي، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢٥ و ٣٢٦، والبحار ج١٩ ص٣٩ و ٦٤ و ٨٠ عن الثعلبي في كنز الفوائد وعن الفضائل لأحمد ص١٢٤ و ١٢٥، وعن الروضة ص١١٩.

وهي أيضاً في: المناقب للخوارزمي ص٧٤ وينابيع المودة ص٩٢ عن ابن عقبة في ملحمته وقال في حبيب السير ج٢ ص١١: إن ذلك مذكور في كثير من كتب السير والتاريخ.

والرواية في تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٥ و ٤٥٨ والتفسير الكبير ج٥ ص٢٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦٨، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥٩ وفرائد السمطين ج١ ص٣٣٠ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٤ وتلخيص المستدرك للذهبي بهامش نفس الصفحة، ومسند أحمد ج١ ص٣٣١ وترجمة الإمام علي «عليه السلام»، من تاريخ دمشق تحقيق المحمودي ج١ ص١٣٧ و ١٣٨، والمناقب للخوارزمي ص٧٤ ودلائل الصدق ج٢ ص٨١ و ٨٢ والأمالي للطوسي ج٢ ص٨٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٣١٠ وراجع ص١٧٨ و ٨٢. وراجع الإرشاد للمفيد ص٣١ وروضة الواعظين ص١٠٧ وخصائص الوحي المبين ص٩٤ و ٩٣ وراجع ص٩١ =

= والعمدة لابن البطريق ص٢٤٠ وراجع ص٢٣٨ ورواه في: غرائب القرآن للنيسابوري بهامش جامع البيان ج٢ ص٢٩١ وراجع: المواهب اللدنية ج١ ص٦٠ ونقله المحمودي في هوامش شواهد التنزيل ج١ ص٩٧ عن غاية المرام ص٣٤٦ باب٤٥ وعن تفسير أبي الفتوح الرازي ج٢ ص١٥٢ ونقله المرعشي في ملحقات إحقاق الحق والتعليقات عليه ج٣ ص٢٤ ـ ٣٤ وج٨ ص٣٣٩ وج٦ ص٤٧٩ و ٤٨١ وج٢٠ ص١٠٩ ـ ١١٤ وج١٤ ص١١٦ عن عدد ممن قدمنا.

وعن المصادر التالية: اللوامع ج٢ ص٣٧٦ و ٣٧٥ و ٣٧٧ عن المجمع والمباني، وعن أبي نعيم والثعلبي وغيرهم وعن البحر المحيط ج٢ ص١١٨ وعن معارج النبوة ج١ ص٤ وعن مدارج النبوة ص٧٩ وعن مناقب المرتضوي ص٣٣، وعن روح المعاني ج٢ ص٧٣ عن الإمامية وبعض من غيرهم وعن مرآة المؤمنين ص٤٥ وعن تلخيص المتشابه في الرسم، للخطيب البغدادي ج١ ص٤١٤ وعن إمتاع الأسماع ص٣٨، وعن مقاصد الطالب ص٧ وعن وسيلة النجاة ص٧٨ وعن المنتقى للكازروني ص٧٩ مخطوط. وعن روض الأزهر ص٣٧١ وعن أرجح المطالب ص٧٠ و ٥٠٧ و ٤٠٧ وعن إتحاف السادة المتقين ج٨ ص٢٠٢ وعن مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ص٢٣ مخطوط وعن روض الأحباب للهروي ص١٨٥ وعن تفسير الثعلبي وعن السيرة المحمدية للكازروني مخطوط وعن مكاشفة القلوب ص٤٢ وعن توضيح الدلائل ص١٥٤ مخطوط وعن الكوكب المضي ص٤٥ مخطوط وعن غاية المرام في رجال البخاري سيد الأنام ص٧١ مخطوط وعن الكشف والبيان وعن المختار في مناقب الأخيار ص٤ مخطوط وعن مناهج الفاضلين للحمويني مخطوط.

وقال ابن شهرآشوب: إن هذا الحديث قد رواه الثعلبي، وابن عاقب في ملحمته وأبو السعادات في فضائل العشرة، والغزالي في الإحياء، وفي كيمياء السعادة عن عمار، وابن بابويه، وابن شاذان والكليني، والطوسي، وابن عقدة، والبرقي، وابن =

قال الإسكافي: «وقد روى المفسرون كلهم: أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله..﴾ نزلت في علي «عليه السلام» ليلة المبيت على الفراش»[١].

كذبة مفضوحة:

وبما ذكرناه من المصادر لنزول آية الشراء في علي «عليه السلام»، وبما ذكره الإسكافي أيضاً يظهر كذب ما ذكره فضل بن روزبهان، من أن أكثر المفسرين يقولون: إن الآية قد نزلت في الزبير والمقداد، حيث أرسلهما النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة لينزلا خبيب بن عدي عن الخشبة التي صلب عليها، وكان حول خشبته أربعون من المشركين، فخاطرا بنفسيهما حتى أنزلاه، فأنزل الله الآية[٢].

ويذكر المظفر: أن المفسرين لم يذكروا ذلك، حتى السيوطي، والرازي، والكشاف، مع أن الرازي قد جمع في تفسيره كل أقوالهم، والسيوطي جمع

= فياض، والعبدلي، والصفواني والثقفي بأسانيدهم عن ابن عباس، وأبي رافع وهند بن أبي هالة. والغدير ج٢ ص٤٨ عن بعض من تقدم، وعن: نزهة المجالس ج٢ ص٢٠٩ عن السلفي، ونقله المحمودي في هوامش شواهد التنزيل عن بعض من تقدم وعن أبي الفتوح الرازي ج٢ ص١٥٢ وغاية المرام باب٤٥ ص٣٤٦. وأشار إليه مغلطاي في سيرته٣١، والمستطرف، وكنوز الحقائق ص٣١. وراجع دلائل الصدق ج٢ ص٨١ و ٨٢ .

(١) راجع: شرح النهج ج١٣ ص٢٦٢.

(٢) سيأتي ذلك مع مصادره ومع ما فيه من وجوه ضعف في هذا الكتاب في فصل: جثة خبيب.

عامة رواياتهم.

وذكر في الإستيعاب في ترجمة خبيب: أن الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» لإنزاله هو عمرو بن أمية الضمري[١].

وسيأتي: عدم صحة ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب.

وابن تيمية ماذا يقول؟!

وقد أنكر «ابن تيمية» على عادته في إنكار فضائل أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وقال: «كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير.

وأيضاً قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، فلم يكن فيه فداء بالنفس، ولا إيثار بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية باتفاق.

وقد قيل: إنها نزلت في صهيب «رضي الله عنه» لما هاجر»[٢].

ونقول:

١ ـ إن كانت الآية مدنية بالنسبة إلى علي «عليه السلام»، فهي أيضاً مدنية بالنسبة إلى صهيب، فما يقال هناك يقال هنا.

٢ ـ لقد أجاب الإسكافي المعتزلي على دعوى الجاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: لن يصل إليك شيء تكرهه! فقال:

«هذا هو الكذب الصراح، والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف

---

(١) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٨٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٧.

المنقول أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: «فاضطجع في مضجعي، وتغش ببردي الحضرمي، فإن القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك، حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أمانتي».

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم، وأخذه الجاحظ، ولا أصل له.

ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب، ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو، حتى تضور، وأنهم قالوا له: رأينا تضورك الخ..»[1].

هذا وقد تقدم في أوائل هذا الفصل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما قال لعلي «عليه السلام»: إنه لا يصل إليه شيء يكرهه، بعد مبيته على الفراش، وذلك حينما التقى معه في الغار، وأمره برد ودائعه، وأن ينادي في مكة بذلك، وطمأنه إلى أن نداءه هذا لن يتسبب له بمتاعب وصعوبات وليس المقصود: أنه لن يناله مكروه من أي مشرك في جميع الأحوال والأزمان.

٣ ـ ويدل على أنه كان موطناً نفسه على القتل ما يلي:

أ ـ إنه لو صح ما ذكره ابن تيمية لم يكن معنى للافتخار بموقفه ذاك؛ فقد روي أن عائشة فخرت بأبيها، ومكانه في الغار مع الرسول «صلى الله عليه وآله»، فقال عبد الله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من علي بن أبي طالب، حيث نام في مكانه، وهو يرى أنه يقتل؟ فسكتت، ولم تحر جواباً[2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٦٣.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٦٢، والبحار ج١٩ ص٥٦ عنه.

ب ـ وعن أنس: أنه «عليه السلام» كان موطناً نفسه على القتل[1].

ج ـ إن علياً «عليه السلام» نفسه قد أكد على هذا، ودفع كل شبهة فيه، حينما قال شعره المتقدم:

وقيت نفسي خير من وطـأ الثرى ....

إلى أن قال:

وبـت أراعـيـهـم متـى يثبتـونـنـي وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وبـات رسـول الله في الغـار آمنـاً هنـاك وفي حفظ الإلـه وفي سـتر[2]

د ـ وعنه «عليه السلام»: «وأمرني أن أضطجع في مضجعه، وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له، مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه، فمضى «صلى الله عليه وآله» لوجهه، واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي؛ فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) نور الأبصار ص٨٦، وشواهد التنزيل ج١ ص١٠٢، ومستدرك الحاكم ج٣ ص٤ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وأمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٨٣، وتذكرة الخواص ص٣٥، وفرائد السمطين ج١ ص٣٣٠، ومناقب الخوارزمي ص٧٤ و ٧٥، والفصول المهمة لابن الصباغ ص٣١، والبحار ج١٩ ص٦٣، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢٥. والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) والمصادر لهذا الشعر كثيرة جداً لا مجال لتتبعها.

ثم أقبل على أصحابه، فقال: أليس كذلك، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين»[١].

وقيل إنهم ضربوا علياً، وحبسوه ساعة، ثم تركوه[٢].

ملاحظة:

يمكن أن يفهم مما تقدم: أن الحديث الذي يقول: إنه «عليه السلام» قد حاربهم بسيف خالد موضع شك وريب، لأنه إنما حاربهم بسيفه هو لا بسيف خالد.

إلا أن يقال: أن نسبته إليه لا تدل على ملكيته له.

وقد يكون حاربهم بسيفه أولاً، ثم سيف خالد ثانياً بعد أن أخذه منه وإن كان هذا الاحتمال ضعيفاً.

٤ ـ وبعد، فإن قيمته «عليه السلام» إنما هي قائمة في عمق ذاته، من حيث صفاء جوهره، وكامنة في عمق ذاته، تماماً كما هي قيمة الذهب والجوهر، والألماس بالقياس إلى الحديد والنحاس، فإنك تستخدم الحديد، وتستفيد منه ليل نهار، أما الجوهر والألماس، فإنه يحتفظ بقيمته العالية رغم أنه في أعماق الخزائن، وقد يستفاد منه في شيء من الأعمال إلا ما شذ وندر، وهو في معرض المدح والثناء، ولا يلتفت إليه.

ولأجل ذلك نقول: إن نزول الآية لتعظيم أمير المؤمنين «عليه السلام» يكون أمراً عادياً وصحيحاً، حتى لو لم يكن علي حاضراً في واقعة ليلة الهجرة، لأن علياً يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله دون كل أحد سواه.

---

(١) البحار ج١٩ ص٤٥ عن: الخصال ج٢ ص١٤ و ١٥.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٥.

٥ ـ وأما دعوى ابن تيمية: أن حديث حراسة جبرائيل وميكائيل له «عليه السلام»، ونزول الآية فيه، كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير.

فلا تصح أصلاً، فإننا لم نجد أحداً منهم صرح بكذب هذه الرواية سواه، فهو يدعي عليهم ما لا يعرفون، وينسب إليهم ما هم منه بريئون.

بل عرفت تصحيح الحاكم والذهبي لهذا الحديث، وتقدم أيضاً طائفة كبيرة من الذين رووه من كبار العلماء والحفاظ، من دون غمز فيه أو لمز.

إلا أن يكون شيطان ابن تيمية قد أوحى إليه بأن ينسب إليهم ما هم منه براء.

٦ ـ وأجاب الحلبي عن كلام ابن تيمية بقوله: «..لكنه في الإمتاع لم يذكر أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي ما ذكر؛ أي لن يصل إليك شيء تكرهه وعليه فيكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً.

ولا مانع من تكرار نزول الآية في حق علي، وفي حق صهيب. وحينئذٍ يكون «شرى» في حق علي «رضي الله عنه» بمعنى باع، أي باع نفسه بحياة المصطفى، وفي حق صهيب بمعنى اشترى، أي اشترى نفسه بماله.

ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية؛ لأن الحكم يكون للغالب»[1]. انتهى.

ولكن بعض ما أجاب به الحلبي محل نظر؛ فإن استعمال شرى بمعنى باع تارة وبمعنى اشترى أخرى محل نظر؛ لأنه يلزم منه استعمال المشترك في أكثر من معنى، وقد منعه طائفة من العلماء.

وإن كنا نحن نرى: أنه لا مانع من ذلك؛ إلا ما كان من قبيل

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٧.

الاستعمال في المعنى الحقيقي والمجازي معاً، وشاهدنا على ذلك صحة التورية وشيوعها في كلام العرب، فإذا لم نجز استعمال المشترك في معنيين لم يصح كلام الحلبي حتى وإن كانت الآية قد نزلت مرتين لأن محل الكلام إنما هو في قراءتنا نحن للآية، وكيفية فهمنا لها.

هذا عدا عن أن صهيباً لا خصوصية له في بذله ماله، فإن كثيراً من المهاجرين قد تخلوا عن أموالهم للمشركين وهاجروا فراراً بدينهم.

وعن قضية صهيب نقول:

لقد رووا: أنه لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخروج إلى الغار أرسل أبا بكر مرتين أو ثلاثاً إلى صهيب فوجده يصلي، فكره أن يقطع صلاته، وبعد أن جرى ما جرى عاد صهيب إلى بيت أبي بكر، فسأل عن أخويه: النبي «صلى الله عليه وآله» وأبي بكر، فأخبروه بما جرى، فأراد الهجرة وحده، ولكن المشركين لم يمكنوه من ذلك حتى بذل لهم ماله؛ فلما اجتمع مع النبي في قباء قال «صلى الله عليه وآله»: ربح صهيب ربح صهيب، أو ربح البيع، فأنزل الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ..﴾[1].

وألفاظ الرواية مختلفة كما يعلم بمراجعة الدر المنثور للسيوطي وغيره.. ويكفي أن نذكر أن بعضها يذكر: أن الآية نزلت لما أخذ المشركون

---

(١) الآية ٢٠٢ من سورة البقرة، الإصابة: ج٢ في ترجمة صهيب، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٣ و ٢٤ والدر المنثور ج١ ص٢٠٤ عن ابن سعد، وابن أبي أسامة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية، وابن عساكر وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل وابن أبي خيثمة وفي النصوص اختلاف.

صهيباً ليعذبوه، فقال لهم: إني شيخ كبير لا يضر، أمنكم كنت أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتدعوني وديني؟ ففعلوا[١].

ورواية أخرى تذكر القضية بنحو يشبه ما جرى لأمير المؤمنين حين هجرته، وتهديده إياهم ورجوعهم عنه؛ فراجع[٢].

ولكنها قصة لا تصح:

أولاً: لأن إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر إلى صهيب ثلاث مرات في ظرف كهذا غير معقول، لا سيما وهم يدَّعون: أن قريشاً كانت تطلب أبا بكر كما تطلب النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعلت مئة ناقة لمن يأتي به[٣]، وإن كنا نعتقد بعدم صحة ذلك كما سنرى، ولكن قريشاً ولا شك إنما كانت تهتم في أن تستدل على النبي من خلال أبي بكر.

أضف إلى ما تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يخبر أحداً بهجرته تلك الليلة، بل يروون: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما صادف أبا بكر وهو في طريقه إلى الغار.

ثانياً: إن كلامه معه وهو في الصلاة، وإخباره بالأمر، لا يوجب قطع صلاة صهيب، إذ باستطاعته أن يلقي إليه الكلام ويرجع دون أن يقطع عليه صلاته كما أنه يمكن أن ينتظره دقيقة أو دقيقتين حتى يفرغ من صلاته،

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦٨.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٩ والبداية والنهاية ج٣ ص١٨٢ وإرشاد الساري ج٦ ص٢١٨.

فيخبره بما يريد، ويمكن أيضاً أن يوصي أهل بيته أن يبلغوه الرسالة التي يريد إبلاغها إلا إذا كان لم يثق بهم.

إلا أن يدَّعى: أن أبا بكر كان بحيث لا يدري كيف يتصرف، أو أنه كان يرى حرمة إلقاء الكلام ليسمعه المصلي، وكلاهما غير محتمل في حقه، أو لا يرضى محبوه بنسبته إليه على الأقل، وباقي الفروض الآنفة تبقى على حالها. هذا بالإضافة إلى هذه الصدفة النادرة فإنه يأتيه مرتين أو ثلاثاً، وهو لا يزال يصلي!!.

ثالثاً: لماذا يهتم النبي «صلى الله عليه وآله» بصهيب خاصة، ويترك من سواه من ضعفاء المؤمنين، الذين كانت قريش تمارس ضدهم أقسى أنواع التعذيب والأذى؛ فلا يرسل إليهم، ولو مرة واحدة، ولا نقول ثلاث مرات؛ وهل هذا ينسجم مع ما نعرفه من عدل النبي «صلى الله عليه وآله»، وعطفه الشديد على أمته؟.

إلا أن يقال: لعل غير صهيب كان مراقباً من قبل المشركين، أو أن صهيباً كان أشد بلاء من غيره، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي لا دليل عليها، ولا شاهد لها.

رابعاً: إننا نجد بعض الروايات تقول: إن أبا بكر ـ وليس النبي «صلى الله عليه وآله» ـ هو الذي قال لصهيب: ربح البيع يا صهيب وذلك في قضية أخرى لا ربط لها بحديث الغار[1] والبعض يذكر القضية، ولكنه لا

---

(١) راجع: صفين للمنقري ص٣٢٥. ومجمع البيان ج٦ ص٣٦١، والبحار ج١٩ ص٣٥ عنه، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٤.

يذكر نزول الآية فيه[1].

خامساً: إن الآية إنما تتمدح من يبذل نفسه في مرضاة الله، لا أنه يبذل المال في مرضاته، ورواية صهيب ناظرة إلى الثاني لا الأول.

سادساً: قد قلنا آنفاً: إن صهيباً لم يكن الوحيد الذي بذل ماله في سبيل دينه، فلماذا اختص هذا الوسام به دونهم؟

سابعاً: إنهم يذكرون: أنه لم يتخلف مع النبي «صلى الله عليه وآله» أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا علياً وأبا بكر[2].

ثامناً: إن الرواية القائلة بأن صهيباً كان شيخاً كبيراً لا يضر المشركين، أكان معهم أم مع غيرهم لا تصح؛ لأن صهيباً قد توفي سنة ثمان أو تسع وثلاثين وعمره سبعون سنة[3]؛ فعمره يكون حين الهجرة واحداً أو اثنين وثلاثين سنة، فهو قد كان في عنفوان شبابه، لا كما تريد أن تدعيه هذه الرواية المفتعلة.

هذا كله، عدا عن تناقضات روايات صهيب.

وعدا عن أن عدداً منها لا يذكر نزول الآية في حقه.

كما أنها عموماً إما مروية عن صهيب نفسه، أو عن تابعي لم يدرك عهد النبي، كعكرمة، وابن المسيب، وابن جريج، وليس هناك سوى رواية واحدة وردت عن ابن عباس الذي ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فقط.

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص١٢١.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص١٢٣، وسيرة مغلطاي ص٣١.

(٣) الإصابة ج٢ ص١٩٦.

ويجب أن يُعلم: أن صهيباً كان من أعوان الهيئة الحاكمة بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، وممن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين، وكان يعادي أهل البيت «عليهم السلام»[1].

فلعل المقصود هو مكافأته على مواقفه تلك، بمنحه هذه الفضيلة الثابتة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، فيكون هؤلاء قد أصابوا عصفورين بحجر واحد حينما يزين لهم شيطانهم أن علياً يخسر وخصومه يربحون.

٦ ـ بقي في كلام ابن تيمية المتقدم قوله: إن سورة البقرة مدنية، ولو صح نزولها في علي «عليه السلام» لكانت مكية.

وجوابه واضح: فإن نزول الآية لو سلم أنه كان في نفس ليلة المبيت، فمن الواضح أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان حينئذٍ في الغار، وليس معه سوى أبي بكر؛ فلم يكن ثمة مجال للإعلان بنزول الآية إلا بعد وصوله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، واستقراره فيها، ثم إتاحة الفرصة له في الظرف المناسب لإظهار هذه الفضيلة العظيمة لابن عمه ووصيه.

فلا بأس أن تعد بهذا الاعتبار مدنية، وتجعل في سورة البقرة، التي كان نزولها في مطلع الهجرة، كما هو معلوم.

هذا بالإضافة إلى أن وجود آية مكية في سورة مدنية ليس بعزيز.

وأما ما ذكره الحلبي من تكرر نزول الآية فلا دليل عليه، بل الأدلة الآنفة تدفعه وتنافيه.

---

(١) راجع ذلك وغيره في ترجمة صهيب في قاموس الرجال ج٥ ص١٣٥ ـ ١٣٧.

تسمية أبي بكر بالصديق:

يرى البعض: أن الله تعالى قد سمى أبا بكر بالصديق في قضية الغار، كما في شواهد النبوة، حيث قد روي: أنه حين أذن الله تعالى لنبيه بالهجرة، قال لجبرائيل: من يهاجر معي؟

قال جبرائيل: أبو بكر الصديق[١].

ولكننا نشك في صحة ذلك:

أولاً: لتناقض الروايات في تسمية أبي بكر بالصديق، وسبب ذلك وزمانه؛ فمن قائل: إن ذلك كان في قضية الغار كما هنا.

ومن قائل: إنه كان حينما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من رحلة الإسراء، وتصديق أبي بكر له في ذلك، وحين وصف النبي «صلى الله عليه وآله» لقومه بيت المقدس[٢].

وقول ثالث: إن ذلك كان حين بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث صدقه أبو بكر، فسمي الصديق[٣].

وقول رابع: إن ذلك كان حين رحلة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماء، حيث روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: لما عرج بي إلى السماء، ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً محمد رسول الله أبو بكر

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٣ عن شواهد النبوة، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٩.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٢٩ وج١ ص٢٧٣، وغير ذلك. وقد أشرنا إلى ذلك حين الكلام على الإسراء والمعراج، وذكرنا بعض مصادره هناك، فراجع.

(٣) نفس المصدر السابق.

الصديق[1] فأي ذلك هو الصحيح؟!

ثانياً: لدينا العديد من الروايات الصحيحة والحسنة سنداً، والمروية في عشرات المصادر، تنص على أن «الصديق» هو أمير المؤمنين «عليه السلام»، دون أبي بكر، ونذكر منها:

١ ـ عن علي «عليه السلام»، بسند صحيح على شرط الشيخين، أنه قال: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتري، لقد صليت قبل الناس بسبع سنين[2].

---

(١) كشف الأستار ج٣ ص١٦٣ ومسند أحمد ج٤ ص٣٤٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤١ وتهذيب التهذيب ج٥ ص٣٨ والغدير ج٥ ص٣٢٦ و ٣٠٣ عن تاريخ الخطيب.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١١٢ وتلخيصه للذهبي هامش نفسه الصفحة، والأوائل ج١ ص١٩٥، وفرائد السمطين ج١ ص٢٤٨، وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٢٨، وراجع ج١ ص٣٠ والبداية والنهاية ج٣ ص٢٦، والخصائص للنسائي ص٤٦ بسند رجاله ثقات، وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٤، بسند صحيح، وتاريخ الطبري ج٢ ص٥٦، والكامل لابن الأثير ج٢ ص٥٧، وذخائر العقبي ص٦٠ عن الخلفي والآحاد والمثاني (مخطوط في كوپرلي رقم ٢٣٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (مخطوط في مكتبة طوپ قپوسراي رقم ٤٩٧) ج١ وتذكرة الخواص ص١٠٨ عن أحمد في المسند وفي الفضائل وفي هوامش ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي، ج١ ص٤٤ و ٤٥ عن: مصنف ابن أبي شيبة، ج٦ الورق ١٥٥/ أ وكنز العمال (ط ٢) ج١٥ ص١٠٧ عن ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن أبي عاصم في السنة، والعقيلي والحاكم وأبي نعيم وعن العقيلي في ضعفائه ج٦ الورق ١٣٩، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج١ =

وقال غير مرة: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل صلاته»[١].

والظاهر أن المراد: أنه «عليه السلام» كان يتعبد مع النبي «صلى الله عليه وآله» على دين الحنيفية ـ حتى قبل بعثته ـ من حين تمييزه، إلى أن علم الدين، ونزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، بل وقبل ذلك أيضاً. وبذلك يبطل قول ابن كثير: «كيف يتمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً »[٢].

٢ ـ وأخرج القرشي في شمس الأخبار رواية طويلة عن النبي «صلى الله عليه وآله» أن الله قد سمى علياً بـ«الصديق الأكبر» في ليلة الإسراء[٣].

٣ ـ عن ابن عباس، عن النبي «صلى الله عليه وآله»: الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل ياسين، وعلي بن أبي طالب الثالث أفضلهم.

= الورق ٢٢/أ، وتهذيب الكمال للمزي ج١٤ الورق ١٩٣/ب وعن تفسير الطبري، وعن أحمد في الفضائل الحديث ١١٧ ورواه في ذيل إحقاق الحق ج٤ ص٣٦٩ عن ميزان الإعتدال ج١ ص٤١٧ وج٢ ص١١ و ٢١٢، والغدير ج٢ ص٣١٤ عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ص١٥٥ و ١٥٨ و ١٢٧ وراجع: اللآلي المصنوعة ج١ ص٣٢١.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٢٢ وعن المعارف لابن قتيبة ص١٦٧ وكلام الإسكافي في العثمانية ص٣٠٠.

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص٢٦.

(٣) الغدير ج٢ ص٣١٣ و ٣١٤.

وقريب منه ما روي عن أبي ليلى الغفاري، بسند حسن، كما نص عليه السيوطي[١].

وكذا عن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٢].

فحصر النبي «صلى الله عليه وآله» للصديقين بالثلاثة، ينافي تسمية أبي بكر بـ «الصديق» على النحو المتقدم، وإلا كانوا أربعة، ولم يصح الحصر.

٤ ـ عن معاذة قالت: سمعت علياً، وهو يخطب على منبر البصرة،

---

(١) الجامع الصغير ج٢ ص٥٠، عن أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وابن عساكر، والصواعق المحرقة ط المحمدية ص١٢٣، وتاريخ بغداد ج١٤ ص١٥٥، وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٢٤، وذخائر العقبى ص٥٦، وفيض القدير ج٤ ص١٣٧، وتاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام علي «عليه السلام») بتحقيق المحمودي ج٢ ص٢٨٢ وج ١ ص٨٠ وكفاية الطالب ص١٢٣ و ١٨٧ و ١٢٤، والدر المنثور ج٥ ص٢٦٢ عن تاريخ البخاري، وعن أبي داود، وأبي نعيم والديلمي وابن عساكر، والرازي في تفسير سورة المؤمن، ومناقب الخوارزمي ص٢١٩، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص٢٤٦ و ٢٤٧، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم مخطوط في مكتبة طوپ قپو سراي رقم ٤٩٧ ونقله في هامش كفاية الطالب عن كنز العمال أيضاً ج٦ ص١٥٢ عن الطبراني وابن مردويه والرياض النضرة ج٢ ص١٥٢ وبعض من تقدم، ونقله المحمودي في هامش ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ج١ ص٧٩ و ٨٠ عن بعض من تقدم وعن: السيف اليماني المسلول ص٤٩ والفتح الكبير ص٢٠٢ وغاية المرام ص٤١٧ و ٦٤٧ ومناقب علي من كتاب الفضائل لأحمد الحديث ١٩٤ و ٢٣٩ والسلفي في مشيخة البغدادية، الورق ٩/ب و ١٠/ب، والغدير ج٢ ص٣١٢، عن بعض من تقدم، وهوامش شواهد التنزيل عن الروض النضير ج٥ ص٣٦٨.

(٢) مناقب الخوارزمي الحنفي ص٢١٩.

يقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر[١].

وظاهره: أنه في صدد نفي صديقية أبي بكر، التي شاعت بين الناس.

٥ ـ عن أبي ذر، وابن عباس، قالا: سمعنا النبي «صلى الله عليه وآله» يقول لعلي: أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل[٢]، وقريب منه عن أبي ليلى الغفاري.

---

(١) ذخائر العقبى ص٥٦ عن ابن قتيبة، وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٢٨، وأنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج٢ ص١٤٦، والآحاد والمثاني (مخطوط في كوپرلي رقم ٢٣٥)، والبداية والنهاية ج٧ ص٣٣٤، والمعارف لابن قتيبة ص٧٣ و ٧٤، والغدير ج٢ ص٣١٤ عن بعض من تقدم وعن ابن أيوب والعقيلي، عن كنز العمال ج٦ ص٤٠٥ طبعة أولى، وليراجع الغدير ج٣ ص١٢٢ عن الإستيعاب ج٢ ص٤٦٠ وعن مطالب السؤل ص١٩ وقال: كان يقولها في كثير الأوقات والطبري ج٢ ص٣١٢ وعن الرياض النضرة ج٢ ص١٥٥ و ١٥٧ وعن العقد الفريد ج٢ ص٢٧٥، وراجع في حديث ابن عباس وأبي ليلى الغفاري الإصابة ج٤ ص١٧١ وهامشها في الإستيعاب ج٤ ص١٧٠ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣ و ٤١٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٢٨، وفرائد السمطين ج١ ص١٤٠ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ج١ ص٧٦ و ٧٧ و ٧٨ بعدة أسانيد وفي هامشه عن الإسكافي في نقضه لعثمانية الجاحظ المطبوع معها في مصر ص٢٩٠ واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٢٤ و ٣٢٥ وملحقات إحقاق الحق ج٤ ص٢٩ ـ ٣١ و ٣٤ والغدير ج٢ ص٣١٣ عن الرياض النضرة ج٢ ص١٥٥ عن الحاكمي، وعن شمس الأخبار للقرشي ص٣٠، وعن المواقف ج٣ ص٢٧٦، وعن نزهة المجالس ج٢ ص٢٠٥ وعن الحمويني.

٦ ـ عن أبي ذر، وسلمان: إن الرسول «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد علي، فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل الخ[١].

٧ ـ وفي خطبة طويلة لأم الخير بنت الحريش، أوردتها في صفين، وصفت فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» بـ «الصديق الأكبر»[٢].

٨ ـ وقال محب الدين الطبري: «إن رسول الله سماه صديقاً»[٣].

٩ ـ وقال الخجندي: «وكان يلقب بيعسوب الأمة، وبالصديق الأكبر»[٤].

١٠ ـ وجاء في رواية أخرى: «فيجيبهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين، ليس هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر علي بن أبي طالب الخ..»[٥].

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٠٢ عن الطبراني والبزار، والغدير ج ٢ ص٣١٣ وج ١٠ ص٤٩ عنه وعن: كفاية الطالب ص١٨٧ من طريق ابن عساكر وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٢٨ وعن إكمال كنز العمال ج٦ ص١٥٦ عن البيهقي وابن عدي عن حذيفة، وعن أبي ذر وسلمان وعن الإستيعاب ج٢ ص٦٥٧ وعن الإصابة ج٤ ص١٧١.

(٢) العقد الفريد ط دار الكتاب ج٢ ص١١٧، وبلاغات النساء ص٣٨، والغدير ج٢ ص٣١٣ عنهما وعن صبح الأعشى ج١ ص٢٥٠ ونهاية الأرب ج٧ ص٢٤١.

(٣) الغدير ج٢ ص٣١٢ عن الرياض النضرة ج٢ ص١٥٥ وغيرها.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) كنز العمال ط ٢ ج١٥ ص١٣٤.

١١ ـ إن آية: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[١] نزلت في علي «عليه السلام» وكذا آية: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[٢]، وآية: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾[٣].

١٢ ـ وفي رواية عن أنس: «وأما علي فهو الصديق الأكبر الخ..»[٤]. وثمة روايات أخرى؛ فلتراجع في مصادرها[٥].

وبعدما تقدم نعرف: أن لقب «**الصديق**» خاص بالإمام علي «عليه السلام»، ولا يمكن إثباته لغيره.

هذا وقد ذكر العلامة الأميني روايات تدل على أن الصديق هو أبو بكر، ثم فندها بما لا يدع مجالاً للشك في كذبها وافتعالها؛ حيث حكم كبار النقاد والحفاظ عليها بالوضع والكذب من أمثال: الذهبي، والخطيب، وابن حبان، والسيوطي، والفيروزآبادي، والعجلوني، ومن أراد أن يقف

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الزمر.

(٢) الآية ١٥ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٦٩ من سورة النساء، راجع على سبيل المثال: شواهد التنزيل ج١ ص١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ وج ٢ ص١٢٠ وفي هوامشه مصادر كثيرة، وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ج٢ ص٤١٨، وهوامشه، ومناقب ابن المغازلي ص٢٦٩، وغاية المرام ص٤١٤، وكفاية الطالب ص٣٣٣، ومنهاج الكرامة للحلي، ودلائل الصدق للشيخ المظفر ج٢ ص١١٧ والدر المنثورج ٥ ص٣٢٨، وعشرات المصادر الأخرى.

(٤) مناقب الخوارزمي الحنفي ص٣٢.

(٥) راجع على سبيل المثال: اللآلي المصنوعة ج١ ص٣٢٢.

على ذلك، فعليه بالرجوع إلى كتاب الغدير؛ فإن فيه ما ينقع الغلة، ويزيح الشبهة.

متى كان وضع هذه الألقاب:

والظاهر أن سرقة هذا اللقب، وغيره من الألقاب، قد حصلت في وقت متقدم، حتى اضطر الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الإعلان على منبر البصرة[1]: أنه «عليه السلام» هو الصديق الأكبر، وليس أبا بكر، وأن كل من يدعي هذا اللقب لنفسه فهو كذاب مفتر، وقد كرر «عليه السلام» ذلك كثيراً.

ولكن السياسة التي حكمت الأمة، وهيمنت على فكرها واتجاهاتها استطاعت أن تحتفظ بهذه الألقاب لمن تريد الاحتفاظ لهم بها، ولم يكن ثمة أية قوة تستطيع أن ترد أو أن تمنع، أو حتى أن تعترض ولو بشكل سلمي بحت، لا سيما وأن وضع مثل هذه الأمور قد تم وحصل على أيدي علماء من وعاظ السلاطين.

الراحلتان:

ويقولون: إنه بعد أن بدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، وأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر: أنه يرجو أن يؤذن له، حبس نفسه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واشترى راحلتين بثمانمائة درهم ـ وكان أبو بكر

---

(١) راجع: الغدير ج٥ ص٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢١ و ٣٣٤ و٣٥ وج ٧ ص٢٤٤ و٢٤٥.

رجلاً ذا مال ـ وعلفهما ورق السمر، أو الخبط أربعة أشهر[١]، أو ستة أشهر[٢]، على اختلاف النقل.

ولما أراد «صلى الله عليه وآله» الهجرة عرض أبو بكر الراحلتين على الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ فأبى أن يقبلهما إلا بثمن.

وإذا أغمضنا النظر عما يظهر من النص السابق من أن الهدف هو إظهار أبي بكر على أنه متفضل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فإننا نقول: إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي:

١ ـ إن علفه للراحلتين أربعة أشهر أو ستة غير معقول؛ لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر أصحابه بالهجرة قبل هجرته هو «صلى الله عليه وآله» بثلاثة أشهر فقط، بل يقول البعض: إن ذلك كان قبل هجرته بشهرين ونصف على التحرير[٣].

بل يقول البعض إن بيعة العقبة قد كانت قبل الهجرة بشهرين وليال[٤].

وقد أمر «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالهجرة بعد بيعة العقبة، كما هو

---

(١) راجع: وفاء الوفاء ج١ ص٢٣٧، والثقات لابن حبان ج١ ص١١٧ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٨٧ وغير ذلك كثير، وعن كون أبي بكر رجلاً ذا مال راجع: سيرة ابن هشام ج١ ص١٢٨.

(٢) نور الأبصار ص١٦ عن: الجمل على الهمزية، وعن كنز العمال ج٨ ص٣٣٤ عن البغوي بسند حسن عن عائشة.

(٣) فتح الباري ج٧ ص١٨٣ و ١٧٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٥ و ٥٥ عنه.

(٤) سيرة مغلطاي ص٣٢ وفتح الباري ج٧ ص١٧٧ وراجع الثقات لابن حبان ج١ ص١١٣ وغير ذلك.

معلوم؛ فكيف يكون أبو بكر قد علف الراحلتين أربعة، أو ستة أشهر، بعد أمره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بالهجرة؟!.

وأما تخيل أن يكون أبو بكر قد عرف بنية النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا المجال، قبل أن يصدر منه «صلى الله عليه وآله» الأمر بالهجرة فليس له ما يؤيده لا من عقل ولا من نقل، سوى هذا النص الذي هو موضع البحث.

بالإضافة إلى أن الاذن بالهجرة إنما كان بعد بيعة العقبة كما تقدم.

٢ ـ إن ثمة نصاً يقول: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد اشترى للنبي «صلى الله عليه وآله» ثلاثاً من الإبل، واستأجر الأريقط بن عبد الله، وأرسل الإبل معه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الخروج من الغار[1].

فلعله اشترى الإبل من أبي بكر، واستلمها وأرسلها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مع الأريقط.

ما هي الحقيقة؟!

والحقيقة هي: أنهم لما رأوا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقبل الراحلتين من أبي بكر إلا بالثمن، ورأوا في ذلك تضعيفاً للخليفة الأول، وفي مقابل ذلك هم يرون: أن علياً يبذل نفسه في سبيل الله، وتنزل في حقه الآيات، عوضوا أبا بكر عن ذلك بأنه قد علف الراحلتين هذه المدة الطويلة.

وبعدما تقدم نقول: إن شراء الرسول للراحلتين، أو شراء أمير المؤمنين

---

(١) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج١ص١٣٨ والدر المنثور، وتيسير المطالب ص٧٥ لكن فيه: أنه قد استأجر الرواحل الثلاث.

للرواحل يبين: أن أبا بكر قد هاجر على نفقة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وليس على نفقة نفسه.

الخروج من خوخة أبي بكر للهجرة:

ويقولون: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرج إلى الغار من خوخة لبيت أبي بكر(١).

وعند البخاري: أنه «صلى الله عليه وآله» ذهب إلى أبي بكر ظهراً، ومن ثم ذهبا إلى الغار(٢).

ونقول:

١ ـ لقد كذب الحلبي ذلك، وقال: «والأصح: إنما كان خروجه من بيت نفسه»(٣).

٢ ـ تقدم في أوائل هذا الفصل: أن أبا بكر جاء إلى بيت النبي فوجد علياً نائماً مكانه؛ فأخبره علي «عليه السلام» بذهاب النبي «صلى الله عليه وآله» نحو بئر ميمون؛ فلحقه في الطريق: فكيف يكون قد خرج إلى الغار من خوخة أبي بكر؟! وكيف يكون قد خرج إلى الغار ظهراً؟.

٣ ـ إن سائر الروايات نص على أن المشركين قد جلسوا على باب النبي

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٠٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٤ والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٨.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٥٣ والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٠ والبخاري كما في إرشاد الساري ج٦ ص١٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٤ عن سبط ابن الجوزي.

«صلى الله عليه وآله» إلى الصباح، فخرج من بينهم في فحمة العشاء، وبقي علي «عليه السلام» نائماً مكانه، وهذا يكذب أنه قد خرج ظهراً.

٤ ـ كيف يكون قد خرج من بيت أبي بكر، مع أنهم يقولون: إن القائف كان يقص أثر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى بلغ مكاناً؛ فقال: هنا صار مع محمد آخر.

بل البعض يصرح: أنهم قد عرفوا أنها قدم ابن أبي قحافة[1]. واستمروا على ذلك حتى بلغوا إلى فم الغار، وبذلك كله يعلم أيضاً عدم صحة ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» مشى ليلته على أطراف أصابعه؛ لئلا يظهر أثر رجليه حتى حفيت رجلاه، (كأن المسافة بعيدة إلى هذا الحد!!)، فحمله أبو بكر على كاهله، حتى أتى على فم الغار، فأنزله.

وفي رواية: أنه ذهب إلى الغار راكباً ناقته الجدعاء ابتداء من منزل أبي بكر[2].

ولا ندري من الذي أرجع الناقة إلى موضعها الأول، فإن وجودها على مدخل الغار لن يكون في صالحهم، إلا أن يكون قد خبأها في مكان ما، ولكن أين يمكن أن تخبأ الناقة يا ترى؟!

---

(١) البحار ج١٩ ص٧٤ وعن الخرايج والجرائح وليراجع ص٧٧ و ٥١ وليراجع أيضاً إعلام الورى ص٦٣، ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٢٨، وتفسير القمي ج١ ص٢٧٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٤ ـ ٣٨ وراجع، تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٨. والدر المنثور.

قريش في طلب أبي بكر:

يقولون: إن قريشاً قد بذلت في النبي «صلى الله عليه وآله» مئة بعير، وفي أبي بكر مثلها[1] ذكر ذلك الجاحظ وغيره.

وأجاب الإسكافي المعتزلي فقال: «.. فما بالها بذلت في أبي بكر مئة بعير أخرى؟ وقد كان رد الجوار، وبقي بينهم فرداً لا ناصر له، ولا دافع عنده، يصنعون به ما يريدون، إما أن يكونوا أجهل البرية كلها، أو يكون العثمانية أكذب جيل في الأرض، وأوقحه وجهاً.

وهذا مما لم يذكر في سيرة، ولا روي في أثر، ولا سمع به بشر، ولا سبق الجاحظ به أحد»[2].

ونزيد نحن هنا: إنه إذا كانت قبيلته قد منعته أولاً كما يقولون، فلماذا تخلت عنه الآن؟ وإذا كان أبو بكر من أذل بيت في قريش، كما سبق بيانه حين الكلام على هجرته إلى الحبشة؛ تحت عنوان: هل كان أبو بكر رئيساً، فلماذا تبذل فيه قريش مئة بعير، كما تبذل في النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه؟.

ولماذا لم تضع عليه الأرصاد والعيون، ولم ترسل إليه فتبيته، كما أرادت أن تبيت النبي «صلى الله عليه وآله»؟

ولماذا تبذل في أبي بكر هذا المقدار، مع أن الذي فوت عليها ظفرها

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٠ والبداية والنهاية ج٣ ص١٨٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٩.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٦٩.

بالنبي «صلى الله عليه وآله» ـ وهو عليٌّ ـ آمن فيما بينهم يغدو ويروح، ولا من يعترض ولا من يتكلم؟

ولكن الحقيقة هي: أن الهدف من ذلك هو الارتفاع بأبي بكر ليساوي الرسول الأعظم منزلة وخطراً، فضلاً عن أن يذهب بكل آثار مبيت أمير المؤمنين على الفراش، حتى لا يلتفت إليه ولا يهتم به أحد في قبال عظمة وخطر أبي بكر!!.

الانتظار إلى الصباح:

وأما لماذا انتظر المشركون إلى الصباح في ليلة الغار؟.

فقيل: إنهم أرادوا أن يقتحموا عليه الجدار، فصاحت امرأة من الدار؛ فقال بعضهم لبعض: إنها لسبة في العرب: أن يتحدث عنا: أنا تسورنا الحيطان على بنات العم[1].

وقيل: إن أبا لهب لم يرض بقتله «صلى الله عليه وآله» ليلاً؛ لما فيه من الخطر على النساء والأطفال[2].. ولعله للأمرين معاً، ولعله ليشاهد الناس قتله من قبل جميع القبائل، ليكون ذلك حجة على بني هاشم، فلا يتم لهم الطلب بثأره![3].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٢٨، والروض الأنف ج٢ ص٢٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٢٧، أنظر الهامش، وتاريخ الهجرة النبوية للببلاوي ص١١٦.

(٢) البحار ج١٩ ص٥٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٨ و ٢٦.

شراء أبي بكر للموالي!! ونفقاته!!

ويقولون: إنه لما خرج أبو بكر احتمل معه ماله كله، وهو خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فدخل أبو قحافة على أهل بيت ولده، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.

قالت أسماء: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً.

فأخذتُ أحجاراً فوضعتُها في كوة في البيت، الذي كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه.

فقال: «لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم»، ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك[١].

ويذكرون أيضاً: أن عامر بن فهيرة كان يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، فكان يروح عليهما ـ وهما في الغار ـ بمنحة غنم من غنم أبي بكر، فكان يرعاها؛ فيمر عليهما في المساء ليحلب لهما، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما إذا أمست بما يصلحهما من الطعام[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص١٣٣ وكنز العمال ج٢٢ ص٢٠٩، والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٩، والأذكياء لابن الجوزي ص٢١٩، وحياة الصحابة ج٢ ص١٧٣ و ١٧٤، ومجمع الزوائد ج٦ ص٥٩ عن الطبري، وأحمد ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ و ٤٠ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٨٧ وستأتي مصادر أخرى لذلك.

وعن عائشة: أنفق أبو بكر على النبي «صلى الله عليه وآله» أربعين ألف درهم.

وفي لفظ: دينار[١].

ويروون أنه «صلى الله عليه وآله» قال: ما من أحد أمنّ عليَّ في صحبته، وذات يده من أبي بكر، وما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر، فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟[٢].

أو قال: ليس أحد أمنّ عليَّ في أهل ومال من أبي بكر.

وفي رواية أخرى: إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر[٣].

وعن عائشة في حديث الغار: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب ـ يقول الواقدي: كان في السفرة شاة مطبوخة ـ فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها قطعتين، فشدت فم الجراب بواحدة، وفم قربة الماء في الأخرى، فسميت: ذات النطاقين[٤].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٢٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ و ٤٠ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٨٧ وستأتي مصادر أخرى لذلك إن شاء الله.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢، وراجع لسان الميزان ج٢ ص٢٣ وغيره.

(٣) راجع: صحيح البخاري كما في إرشاد الساري ج٦ ص٢١٤ و ٢١٥ مع اختلاف يسير والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٠٨ و ٦٠٩ والمصادر الآتية قبل الحديث عن عامر بن فهيرة.

(٤) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢٣ و ٣٣٠ وستأتي مصادر أخرى إن شاء الله تعالى.

وفي الترمذي: عنه «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: إن أبا بكر زوجه ابنته، وحمله إلى دار الهجرة، وصحبه في الغار.

وفي رواية: ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً، الله يكافئه بها يوم القيامة[1].

ونحن نقول: إن كل ذلك محل شك وريب، بل هو لا يصح إطلاقاً، وذلك لما يلي:

١ـ عامر بن فهيرة:

أما كون عامر بن فهيرة مولى لأبي بكر، فقد تقدم كلام ابن إسحاق، والواقدي، والإسكافي وغيرهم فيه، حيث قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي اشتراه وأعتقه، وليس أبا بكر.

٢ـ أبو قحافة الأعمى:

وأما رواية: أن أسماء قد وضعت الأحجار في المكان الذي كان أبوها يضع فيه ماله، ليتلمسها أبو قحافة الأعمى ليطمئن ويسكن فيكذبها:

---

(١) راجع: في كل ما تقدم من أول العنوان إلى هنا: تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٠ ـ ٣٢٣، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ و ٣٣ و ٤٠ و ٣٩ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٠٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢، وصحيح البخاري باب الهجرة، وفتح الباري ج٧ وصحيح مسلم، وصحيح الترمذي، والدر المنثور، والفصول المهمة لابن الصباغ، والسيرة النبوية لابن كثير ولسان الميزان ج٢ ص٢٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤٢ عن الطبراني والغدير، وغير ذلك كثير لا مجال لتتبعه.

أ ـ قال الفاكهي بن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال عبد الله: لما خرج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الغار، ذهبت أستخرج وأنظر هل أحد يخبرني عنه، فأتيت دار أبي بكر، فوجدت أبا قحافة، فخرج عليَّ ومعه هراوة، فلما رآني اشتد نحوي، وهو يقول: هذا من الصباة الذين أفسدوا علي ابني[1].

فهذه الرواية توضح أن أبا قحافة لم يكن حينئذٍ قد عمي بعد، وسندها معتبر عندهم.

ب: لم نفهم لماذا لم يترك أبو بكر لأهل بيته شيئاً؟ وما هذا الجفاء منه لهم؟!

ومن أين علم أبو قحافة الضرير بأنه قد حمل ماله معه حتى قال لهم: إنه قد فجعهم بنفسه وماله؟!

ج: ولماذا هذا الدور لأسماء؟

ألم تكن زوجة للزبير حينئذٍ، وألم تهاجر معه إلى المدينة قبل ذلك، حيث لم يبق من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، في مكة سوى علي وأبي بكر، ومن يفتن ويعذب؟!

وأين كانت زوجات أبي بكر عن ذلك كله؟!

٣ ـ مع أدوار لأسماء أيضاً وغيرها

وأما بالنسبة لما زعموه من أن أسماء كانت إذا أمست تذهب بالطعام

---

(١) الإصابة ج٢ ص٤٦٠ و ٤٦١ وهذه الرواية تدل على أن أبا قحافة يرى أن ابنه أبا بكر قد صار من الصباة وأنه قد أسلم بعد جماعة عبد الله منهم، وهذا ينافي ما تقدم من أنه كان أول من أسلم.

إليهما إلى الغار، وأنها هي التي هيأت الزاد لهما حين سفرهما إلى المدينة، وأنها هي التى أرسلت إليه الراحلتين، وأن تسميتها بذات النطاقين قد كان في هذه المناسبة..

فيرد عليه:

أولاً: إنهم يقولون في مقابل ذلك: إنه بعد غياب النبي «صلى الله عليه وآله» وأبي بكر مضت ثلاث ليال ولا يدرون أين توجه الرسول «صلى الله عليه وآله»، حتى علموا ذلك من هاتف الجن في أبيات أنشدها.

والقول: إن المراد: بعد ثلاثة أيام من خروجه من الغار، إذ قد صرحوا بأنهم علموا بخروجه إلى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار[1] هكذا ذكر الحلبي الشافعي والعهدة في ذلك عليه.

ويقول مغلطاي: «ولم يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام إلا علي وأبي (كذا) بكر رضي الله عنه؛ فدخلا غاراً بثور الخ..»[2].

ثانياً: لقد ورد: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي كان يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» بالطعام والشراب إلى الغار[3].

بل لقد ورد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل إلى علي ليرسل

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٥١.

(٢) سيرة مغلطاي ص٣٢.

(٣) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ج١ ص١٣٨، وإعلام الورى ص١٩٠، والبحار ج١٩ ص٨٤ عنه وتيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٧٥.

إليه بزاد وراحلة ففعل، وأرسل ذلك إليه.

وأرسل أبو بكر لابنته، فأرسلت إليه بزاد وراحلتين، أي له ولعامر بن فهيرة كما في الرواية، ولعلها هي التي اشتراها منه علي أيضاً[١].

وقد احتج «عليه السلام» بذلك يوم الشورى، فقال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله الطعام وهو في الغار، ويخبره الأخبار غيري؟

قالوا: لا[٢].

وبهذا يعلم أيضاً عدم صحة ما قيل من أن عبد الله بن أبي بكر كان هو الذي يأتيهما بالأخبار من مكة إلى الغار[٣]، وعدم صحة ما قيل عن وجود غنم لأبي بكر، كان يأتي بها عامر بن فهيرة إلى الغار؛ فيشرب النبي «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر من لبنها.

ثالثاً: وأما حديث النطاق والنطاقين، فبالإضافة إلى تناقض رواياته[٤] نجد: أن المقدسي بعد أن ذكر القول الأول قال: «ويقال: لما نزلت آية الخمار

---

(١) إعلام الورى ص٦٣، والبحار ج١٩ ص٧٠ و ٧٥ عنه وعن الخرائج وعن قصص الأنبياء.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٠٤.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٩، وسيرة ابن هشام، وكنز العمال ج٢٢ ص٢١٠ عن البغوي وابن كثير.

(٤) راجع لبعض موارد التناقض لا كلها: الإصابة ج٤ ص٢٣٠، والإستيعاب بهامشها ج٤ ص٢٣٣.

ضربت يدها إلى نطاقها، فشقته نصفين، واختمرت بنصفه»[1].

ويقولون أيضاً: إنها قالت للحجاج: «كان لي نطاق أغطي به طعام رسول الله «صلى الله عليه وآله» من النحل، ونطاق لا بد للنساء منه»[2].

٤ـ حديث سد الأبواب، وخلة أبي بكر:

وأما حديث باب وخلة أبي بكر، وهو قوله «صلى الله عليه وآله»: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، فلا نريد التوسع في الكلام عليه بل نكتفي بما ذكره المعتزلي هنا، فإنه قال:

«إن البكرية قد وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو: لو كنت متخذاً خليلاً، فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو سد الأبواب، فإنه لعليٍّ «عليه السلام»، فقلبته البكرية إلى أبي بكر الخ..»[3].

ومع ذلك فيعارض هذا الحديث ما رووه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ أبا بكر خليلاً بالفعل[4].

فأيهما نصدق يا ترى؟!.

هذا، وسوف نتكلم عن حديث سد الأبواب في هذا الكتاب في فصل قضايا وأحداث في المجال العام، وعن حديث الخلة حين الكلام على

---

(١) البدء والتاريخ ج٥ ص٧٨.

(٢) الإصابة ج٤ ص٢٣٠، والإستيعاب هامش الإصابة ج٤ ص٢٣٣.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١١ ص٤٩، وراجع الغدير ج٥ ص٣١١.

(٤) الرياض النضرة ج١ ص١٢٦، وإرشاد الساري ج٦ ص٨٦ عن الحافظ السكري والغدير ج ٨ ص٣٤ عنهما وعن كنز العمال ج٦ ص١٣٨ و ١٤٠ عن الطبراني وأبي نعيم.

حديث المؤاخاة الآتي إن شاء الله تعالى فإلى هناك.

٥ـ ثروة أبي بكر:

وأما عن ثروة أبي بكر، وأنه قد أنفق أربعين ألف درهم، أو دينار على النبي «صلى الله عليه وآله» وغير ذلك مما يذكرونه، فنقول:

إننا بالإضافة إلى ما قدمناه من عدم صحة ما جرى بين أسماء وأبي قحافة حين الهجرة وغير ذلك من أمور أشرنا إليها آنفاً نسجل هنا ما يلي:

أولاً: إن حديث: إن أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، وأنه لم يكافئه على اليد التي له عليه، والله هو الذي يكافئه عليها، لا يصح، وذلك بملاحظة ما يلي:

أ ـ بماذا كافأ النبي «صلى الله عليه وآله» أبا طالب وخديجة على تضحياتهما، ونفقاتهما، وما قدماه في سبيل الدين والإسلام، وعلى مواساتهما بالنفس والمال والولد؟!

ألم يكن ما أنفقاه وقدماه للإسلام أعظم مما قدمه وأنفقه أي إنسان آخر في سبيل الإسلام؟..

ثم كانت خدمات علي «عليه السلام» الجلى لهذا الدين، والتي لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد معاند.

ب ـ وحديث المنة على الرسول عجيب، فإنه لم يكن في مكة بحاجة إلى أحد؛ إذ قد كانت عنده أموال خديجة، وحتى أموال أبي طالب[1] وكان ينفق

---

(١) قد تقدم في أول البحث: أن أبا طالب كان ينفق في الشعب على الهاشميين من أمواله. وأما أموال خديجة، فأمرها أشهر وأعرف. وقد تقدم كلام ابن أبي رافع حولها.

منها على المسلمين إلى حين الهجرة، وكان ينفق على علي «عليه السلام» في بدء أمره، تخفيفاً على أبي طالب كما يدعون.

وقد عير عمر أسماء بنت عميس: بأن له هجرة ولا هجرة لها، فقالت له: «كنتم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم»، ثم اشتكته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرها: «أن للمهاجرين إلى الحبشة هجرتين ولأولئك هجرة واحدة»[1].

ج ـ ويكفي أن نذكر هنا أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقبل منه البعير أو البعيرين حين هجرته إلا بالثمن، الذي نقده إياه فوراً وهو «صلى الله عليه وآله» في أحرج الأوقات.

وإذا صح حديث رد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هبة أبي بكر هذه وهو مما استفاض نقله، فإنه يأتي على كل ما يروونه في إنفاق المال من قبل أبي بكر على النبي «صلى الله عليه وآله».

د ـ هذا كله عدا عن أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يجهز في مكة جيشاً، ولا أسعر حرباً؛ ليحتاج إلى النفقة الواسعة في تجهيز الجيوش، وإعداد الكراع[2] والسلاح.

---

(١) راجع: الأوائل ج١ ص٣١٤، والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٥ عن البخاري، وصحيح البخاري ج٣ ص٣٥ ط سنة ١٣٠٩ هـ. وصحيح مسلم ج٧ ص١٧٢، وكنز العمال ج٢٢ ص٢٠٦، عن أبي نعيم والطيالسي، وليراجع فتح الباري ج٧ ص٣٧٢، ومسند أحمد ج٤ ص٣٩٥ و ٤١٢. وحياة الصحابة ج١ ص٣٦١.

(٢) الكراع: اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير.

كما أنه لم يكن يتفكه ويتنعم بإنفاق الأموال.

وأما بعد الهجرة إلى المدينة، فإن أبا بكر قد ضن بماله، الذي كان خمسة أو ستة آلاف درهم ـ كما يقولون ـ عن كل أحد، حتى عن ابنته أسماء التي كانت في أقسى حالات الفقر والجهد، حينما قدمت المدينة، حتى لقد كانت تخدم البيت، وتسوس الفرس وتدق النوى لناضحه، وتعلفه، وتستقي الماء، وتنقل النوى على رأسها من بعد ثلثي فرسخ، حتى أرسل إليها أبوها خادماً كفتها سياسة الفرس، كما ادَّعت[1].

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مر في سنوات ضيق شديدة وصعبة، ولا سيما قبل خيبر، حتى لقد كان ربما يبقى اليومين أو الثلاثة بلا طعام، حتى يشد على بطنه الحجر[2] وكان الأنصار يتعاهدونه بجفان الطعام، فأين كانت عنه أموال أبي بكر وآلاف دراهمه، التي بقيت إلى تبوك، حيث يدَّعون: أنه جاء بجميع ماله، وهو أربعة آلاف درهم حينئذٍ؟![3].

هذا كله: لو كان مرادهم المنة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالإنفاق عليه.

ثانياً: إن كان المراد المن على الرسول «صلى الله عليه وآله» بالإنفاق في سبيل

---

(١) راجع: حديث الإفك ص١٥٢ وراجع: عنوان «لا مال لأبي بكر لينفق على أحد» في الجزء الثالث عشر وفي الجزء الثاني عشر الطبعة الرابعة.

(٢) وقد وصفت عائشة حالته هو وأهل بيته بما يقرح القلوب، فراجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص١٢٠ وليراجع من ص١١٢ حتى ص١٢٠.

(٣) حياة الصحابة ج١ ص٤٢٩ عن ابن عساكر ج١ ص١١٠.

الله سبحانه، فهو أيضاً لا يصح، إذ لم نجد في التاريخ ما يدل على ذلك.

بل لقد وجدنا ما يدل على خلافه، فإن أبا بكر قد ضن بماله إلى حد أنه لم يتصدق ولو بدرهمين في قصة النجوى، ولم يفعل ذلك سوى أمير المؤمنين «عليه السلام»، حتى أنزل الله تعالى قرآناً يؤنب فيه الصحابة ويلومهم على ذلك ثم تاب عليهم، قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ..﴾ الآية»[1].

ولو أن أبا بكر تصدق بدرهمين لم يكن ممن توجه إليهم هذا العتاب منه تعالى.

ثالثاً: والأهم من ذلك: أنه لا معنى لأن يكون الإنفاق لوجه الله، ثم يمن المنفق على الرسول «صلى الله عليه وآله»، كما أخبر «صلى الله عليه وآله» عنه كما تزعم الرواية، بل المنة لله ولرسوله عليه في ذلك.

وقد نهى الله عن المن، فقال: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى..﴾[2]، وقال: ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[3].

ولذلك فإننا لا يمكننا أن نقبل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يمدح هذا المنَّان عليه (أي على المن) ويقرضه لأجله ولا سيما وهو أمنّ الناس عليه في صحبته وماله.

---

(١) الآية ١٣ من سورة المجادلة، وراجع دلائل الصدق ج٢ ص١٢٠، والأوائل ج١ ص٢٩٧، وهامش تلخيص الشافي ج٣ ص٢٣٥ و ٣٧، عن العديد من المصادر.

(٢) الآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٦ من سورة المدثر.

إشارة عامة:

ولذلك فإن بالإمكان الاستنتاج من ذلك: أن الظاهر: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن لم يستطع إقناع أبي بكر بالكف عن المن عليه بأنه قد ترك أمواله وداره في مكة، وأنه رافقه إلى الغار، وتحمل الأخطار، وحزن وجزع خوفاً من الأعداء، بعد أن لم يستطع إقناعه بذلك اضطر «صلى الله عليه وآله» إلى أن يخبر الناس بحالة أبي بكر هذه، علّه يكف عن بعض ما كان يفعل، وذلك كأسلوب اضطراري أخير من أساليب التربية والتوجيه، لا سيما وأن ما يمن به عليه لم يكن أبو بكر متفرداً به؛ فإن الكل كان قد هاجر وترك ماله، وأرضه ووطنه، والكل قد تحمل الأخطار والمتاعب، وكثير منهم تعرض إلى أقسى أنواع التعذيب والتنكيل.

وعن مقامه معه في الغار، فإن الخطر على أمير المؤمنين كان أعظم من الخطر على أبي بكر؛ فلماذا إذن هذا المن منه، حتى عده النبي «صلى الله عليه وآله» أمنّ الناس عليه؟!.

رابعاً: وإذا كان أبو بكر ـ كما يقول الطوسي والمفيد ـ في أول أمره معلماً للأولاد، ثم صار خياطاً، ولم يكن قسمه إلا كواحد من المسلمين، ولذا احتاج إلى مواساة الأنصار له.

وكان أبوه صياداً، ثم صار ينش الذباب، وينادي على مائدة ابن جدعان بشبع بطنه، وستر عورته[1].

---

(١) تلخيص الشافي ج٣ ص٢٣٨، ودلائل الصدق ج٢ ص١٣٠، والإفصاح ص١٣٥ وراجع الغدير ج٨ ص٥١. ويشك المحقق السيد مهدي الروحاني في =

فإن من الطبيعي أن لا تكون لأبي بكر ثروة من هذا القبيل لا خمسة آلاف، ولا ستة آلاف، فضلاً عن أربعين ألف درهم أو دينار؛ لأن مثل هذه الثروات إنما تجتمع لدى الإنسان من التجارة، أو الزراعة، لا من قبيل صناعات أبي بكر؛ فكيف يقولون إذاً: إنه كان سيداً من سادات قريش، ومن ذوي المال والثروة والجاه فيها؟!

ولماذا يترك أباه عند ابن جدعان، وهو بهذه الحالة فضلاً عن ابنته أسماء؟!.

وإذا كانت ثروة أبي بكر في تلك الفترة في أربعة آلاف بل أكثر، كما تقدم حين الكلام حول عتق بلال؛ فإنه لا بد أن يكون أثرى رجل في مكة في تلك الفترة، إذ قد ورد أنه بعد أن انتشر الإسلام، وفتحت البلاد جاء أنس بن مالك بمال إلى عمر بعد موت أبي بكر، فبايع عمر، ثم أخبره بأنه قد جاء بأربعة آلاف وأعطاه إياها، قال أنس: «فكنت أكثر أهل المدينة مالاً»[1].

خامساً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما تصدق بمال قليل جداً ـ كما في إطعامه المسكين، واليتيم، والأسير ـ قد نزلت فيه آية قرآنية وهي قوله

= كون أبي بكر كان معلماً، على اعتبار أن جمع الأطفال في المكتب وتعليمهم أمر مستحدث، ولم يكن معهوداً في مكة في الجاهلية ويتساءل عن تلامذة أبي بكر من هم، ولماذا لم يوجد في مكة سوى عدد ضئيل ممن كان يعرف القراءة والكتابة كما مر في أول الكتاب. بل لقد ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن: أنه لم يكن في مكة حين بعث النبي «صلى الله عليه وآله» سوى سبعة أشخاص يعرفون الكتابة.

(١) كنز العمال ج٥ ص٤٠٥ عن ابن سعد، وحياة الصحابة ج٢ ص٢٣٥.

تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ..﴾ الآية[1].

وحينما تصدق بخاتمه نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

---

(١) الآية ٨ من سورة الإنسان، والحديث موجود في المصادر التالية: المناقب للخوارزمي ص١٨٩ ـ ١٩٥، والرياض النضرة ج٣ ص٢٠٨ و ٢٠٩ والتفسير الكبير ج٣٠ ص٢٣٤ و ٢٤٤ عن الواحدي، والزمخشري، وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٩ ص١١٢ و ١١٣ والكشاف ج٤ ص٦٧٠ ونـوادر الأصول ص٦٤ و ٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص١٣١ عن النقاش، والثعلبي، والقشيري، وغير واحد من المفسرين، واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٧٢ ـ ٣٧٤ ومدارك التنزيل للنسفي (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج٤ ص٣٣٩ وكشف الغمة ج١ ص١٦٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٦٩ ـ ٤٧٧ عن أمالي الصدوق، والقمي، والطبرسي، وابن شهر آشوب وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٧٤٩ ـ ٧٥٢ وتفسير فرات ص٥٢١ ـ ٥٢٨ وذخائر العقبى ص٨٩ وتفسير القمي ج٢ ص٣٩٨ و ٣٩٩ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٢ ووسائل الشيعة ج١٦ ص١٩٠، وفرائد السمطين ج٢ ص٥٤ ـ ٥٦ ومجمع البيان ج١٠ ص٤٠٤ و ٤٠٥ والمناقب لابن المغازلي ص٢٧٣ والإصابة ج٤ ص٣٧٨ وينابيع المودة ص٩٣ و ٩٤ وروضة الواعظين ص١٦٠ ـ ١٦٣ ونزهة المجالس ج١ ص٢١٣ وربيع الأبرار ج٢ ص١٤٧ و ٢٤٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢١، وأسد الغابة ج٥ ص٥٣٠ و ٥٣١ والبحار ج٣٥ ص٢٣٧ حتى ٢٥٤ وإحقاق الحق ج٩ ص١١٠ ـ ١٢٣ وج ٣ ص١٥٧ ـ ١٧٠ عن مصادر كثيرة.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة، والحديث موجود في المصادر التالية: الكشاف ج١ ص٦٤٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٩٣ عن الطبراني، وابن جرير، وأسباب النزول ص١١٣ ونفسير المنار ج٦ ص٤٤٢، وقال: رووا من عدة =

= طرق وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٣٣ ـ ٣٣٧ عن الكافي، والإحتجاج، والخصال، والقمي، وأمالي الصدوق، وجامع البيان ج٦ ص١٨٦، وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٦ ص١٦٧ والتفسير الكبير ج١٢ ص٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٧١ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٣ و ٢٩٤ عن أبي الشيخ وابن مردويه، والطبراني، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، وابن جرير، وأبي نعيم، وغيرهم، وفتح القدير ج٢ ص٥٣ عن الخطيب في المتفق والمفترق، وراجع ما عن: عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وغيرهم ممن تقدم ذكره. ولباب التأويل للخازن ج١ ص٤٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٢١ والكافي ج١ ص٢٢٨ وشواهد التنزيل ج١ ص١٧٣ ـ ١٨٤ والخصال ج٢ ص٥٨٠ وكفاية الطالب ص٢٢٩ وكنز العمال ج١٥ ص١٤٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٠٨ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٧ ومعرفة علوم الحديث ص١٠٢ وتذكرة الخواص ص١٥ والمناقب للخوارزمي ص١٨٦ و١٨٧ ونظم درر السمطين ص٨٦ و٨٧ والرياض النضرة ج٣ ص٢٠٨ وذخائر العقبى ص١٠٢ عن الواقدي، وأبي الفرج ابن الجوزي، والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥٨ ونور الأبصار ص٧٧ وفرائد السمطين ج١ ص١٨٨ وتأويل الآيات الظاهرة ج١ ص١٥١ ـ ١٥٤ والبحار ج٣٥ ص١٨٣ ـ ٢٠٣ عن مصادر كثيرة وربيع الأبرار ج٢ ص١٤٨ والمناقب لابن المغازلي ص٣١٢ و ٣١٣ وروضة الواعظين ص٩٢ والعمدة لابن بطريق ص١١٩ ـ ١٢٥ وإثبات الهداة ج٢ ص٤٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢ ـ ١٠ وكشف الغمة ج١ ص١٦٦ و ١٦٧ والأمالي للصدوق ص١٠٩ و ١١٠، ووسائل الشيعة ج٦ ص٣٣٤ و ٣٣٥ وسعد السعود ص٩٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٨٠ ـ ٤٨٥ ومجمع البيان ج٣ ص٣١٠ ـ ٣١٢ وإحقاق الحق ج٢٠ ص٣ ـ ٢٢ وراجع ج٣ ص٥٠٢ ـ ٥١١ وج ٢ ص٣٩٩ ـ ٤٠٨ عن مصادر كثيرة.

وحينما تصدق بدرهم سراً وآخر جهراً، وثالث ليلاً، ورابع نهاراً، نزل فيه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

كما أنه لم يعمل بآية النجوى سوى علي «عليه السلام»[2].

---

(١) الآية ٢٧٤ من سورة البقرة، والحديث موجود في المصادر التالية: الكشاف ج١ ص٣١٩ وتفسير المنار ج٣ ص٩٢ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وغيرهما والتفسير الكبير ج٧ ص٨٣ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٢٦ عن ابن جرير، وابن مردويه وابن أبي حاتم وفتح القدير ج١ ص٢٩٤ عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن عساكر وغيرهم والدر المنثور ج١ ص٣٦٣ ولباب النقول ص٥٠ ط دار إحياء العلوم، وأسباب النزول ص٥٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٣٤١ عن العياشي والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٠٧ ونظم درر السمطين ص٩٠ وذخائر العقبى ص٨٨ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤١٢ والمناقب لابن المغازلي ص٢٨٠ وينابيع المودة ص٩٢، وروضة الواعظين ص٣٨٣ و ١٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢١.

(٢) راجع المصادر التالية: المناقب للخوارزمي ص١٩٦ والرياض النضرة ج٣ ص١٨٠ والصواعق المحرقة ص١٢٩ عن الواقدي، ونظم درر السمطين ص٩٠ و ٩١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢٧ و ٣٢٦ وجامع البيان ج٢٨ ص١٤ و ١٥ وغرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج٢٨ ص٢٤ و ٢٥ وكفاية الطالب ص١٣٦ و ١٣٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٢٨ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤٨٢ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) ج٢ ص٤٨٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٦٤ و ٢٦٥ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٦٧٣ ـ ٦٧٥ ولباب التأويل ج٤ ص٢٢٤ ومدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج٤ ص٢٢٤ وأسباب النزول ص٢٣٥ وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٣١ ـ ٢٤٠ والدر المنثور ج٦ ص١٨٥ =

وأبو بكر ينفق ماله كله، أربعين ألف درهم أو دينار وتكون له يد عند النبي «صلى الله عليه وآله»، الله يكافئه عليها، وما نفع النبي «صلى الله عليه وآله» مال كما نفعه مال أبي بكر، ثم لا يذكر الله من ذلك شيئاً، ولا يحدثنا التاريخ ولا الحديث عن مورد واحد من ذلك بالتحديد؛ بحيث يمكن إثباته؟

أم أن المحدثين والمؤرخين وهم في الأكثر شيعة لأبي بكر، قد تجاهلوا عمداً فضائل أبي بكر، التي تصب في هذا الاتجاه؟

ولماذا إذن لم يتجاهلوا ما لعلي «عليه السلام» في ذلك أيضاً؟!.

أم أن أبا بكر قد ظُلِم وتجنى عليه الحكام والملوك، وأتباعهم، والمزيفون من العلماء، كما تجنوا على أمير المؤمنين علي «عليه السلام»؟! فمنعوا الناس من ذكر فضائله وروايتها.

وغاية ما ذكروه لأبي بكر هنا عتقه الرقاب من الضعفاء والمعذبين في مكة، ولكن قد تقدم أن إثبات ذلك غير ممكن، وقد أنكره الإسكافي المعتزلي عليه، وقال: إن ثمنها في ذلك العصر لا يبلغ مئة درهم، لو فرض صحة الرواية.

= عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، والحاكم وصححه، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، وفتح القدير ج٥ ص١٩١ والتفسير الكبير ج٢٩ ص٢٧١ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٣٠٢ والكشاف ج٤ ص٤٩٤ وكشف الغمة ج١ ص١٦٨ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٣ ص١٢٩ و ١٤٠ وج١٤ ص٢٠٠ و ٢١٧ وج٢٠ ص١٨١ و ١٩٢ عن بعض من تقدم، وعن مصادر كثيرة أخرى، وإعلام الورى ص١٨٨.

أم أن عدالة الله تعالى قد اقتضت ذكر نفقات أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ـ على قلتها ـ في القرآن، وعلى لسان النبي «صلى الله عليه وآله»، وإهمال نفقات أبي بكر، التي تبلغ الآلاف الكثيرة؟!

وهل هذا عدل؟! تعالى الله الملك الحق العدل المبين، الذي لا تظلم عنده نفس بمثقال ذرة فما فوقها.

أم يصح أن يقال: إن نفقات أبي بكر لم تكن خالصة لوجه الله تعالى، وإنما جرت على وفق سجيته وطبعه في الكرم والجود؟! وكان ذلك هو سر إهمال الله لها؟ فلماذا لا يمدح الله هذه السجية؟

وإذا كان لا فضل فيها؛ فلماذا يقول الرسول: إن الله سوف يكافئه عليها؟! ولماذا؟ ولماذا؟! إلى آخر ما هنالك من الأسئلة التي لن تجد لها جواباً مقنعاً ومفيداً ومقبولاً.

وبعدما تقدم: فإن الحديث عن ثروة أبي بكر منقول ـ كما يقول الشيخ المفيد ـ عن خصوص ابنة أبي بكر عائشة، وفي طريقه من هم من أمثال الشعبي المعروفين بالعصبية، والتقرب إلى بني أمية بالكذب، والتخرص، والبهتان[1].

اللصوص المهرة:

وبعد، فإن مما يضحك الثكلى ما ذكره البعض، من أن اللصوص أخذوا لأبي بكر أربع مئة بعير، وأربعين عبداً، فدخل عليه النبي «صلى الله عليه وآله» فرآه حزيناً، فسأله، فأخبره، فقال: ظننت أنه فاتتك تكبيرة

---

(١) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص١٣١ ـ ١٣٣.

الإحرام الخ..»[1].

ولست أدري كيف استطاع اللصوص إخفاء هذه الكمية الهائلة من العبيد والجمال؟! وأين ذهبوا بها؟ وكيف لم يهرب واحد من العبيد ليخبر أبا بكر بالأمر.

وكيف لم يستيقظ أحد من أهل مكة والمدينة على أصوات حركة أكبر قافلة عرفها تاريخ ذلك الزمان؟!

ولا أدري أيضاً.. من أين حصل أبو بكر على هذه الثروة الهائلة؟ وكيف لم يشتهر في جميع الأقطار والآفاق على أنه أكبر متمول في الجزيرة العربية؟ ولا ندري أخيراً هل استطاع أبو بكر استرداد ما سرق منه أم لا؟!.

كلمة أخيرة حول ما يقال عن ثروة أبي بكر:

ونعتقد: أن ما يقال عن ثروة لأبي بكر، أنه أنفقها على النبي «صلى الله عليه وآله» قد كان نتيجة ردة الفعل العنيفة من قبل أنصار الخليفة الأول، حينما رأوا أنه «صلى الله عليه وآله» يأبى أخذ الراحلة منه إلا بالثمن[2] ويرون في مقابل ذلك الآيات النازلة في علي «عليه السلام»، ونفقاته وتضحياته ليلة المبيت وغيرها.

---

(١) نزهة المجالس ج١ ص١١٦.

(٢) صحيح البخاري ط مشكول ج٥ ص٧٥ وتاريخ الطبري ج٢ ص١٠٤، وسيرة ابن هشام ج٢ ص١٣١ وطبقات ابن سعدج١ قسم١ ص١٥٣ والبداية والنهاية ج٣ ص١٨٤ ـ ١٨٨، ومسند أحمد ج٥ ص٢٤٥، والكامل لابن الأثير، وغير ذلك كثير، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢.

فكان لا بد أن يتحركوا لإثبات فضائل لأبي بكر، وتضحيات له جسام.

ثم يوجهون قضية الراحلة بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن تكون هجرته لله تعالى: بنفسه وماله[1].

ولكنهم يعودون فينسون هذا التوجيه حينما يذكرون الأمور التي تقدمت الإشارة إليها مثل جراب الزاد والشاة المطبوخة، ومنحة الغنم حين الهجرة وغير ذلك، ويغفلون عن التناقض الظاهر بين كونه أراد الهجرة بنفسه وماله وبين إنفاقاته الكبيرة من مال أبي بكر وزاده ومنحته و.. و.. الخ..

ولا بأس بالتناقض في أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» وأفعاله، ما دام أنه لم تنقض فضيلة لأبي بكر، ولم يحرم منها!!.

التزوير، والتحوير:

ولكن الصحيح هو: أن ما قاله «صلى الله عليه وآله» إنما كان بالنسبة لأموال خديجة: «ما نفعني مال قط مثلما نفعني مال خديجة» ـ كما تقدم ـ وقد حور لصالح أبي بكر، وصيغ بصيغ مختلفة.

والعبارات التي تصب في مجرى واحد، وتشير إلى هدف فارد، وهو إثبات فضيلة لأبي بكر وأبي بكر فقط كثيرة شأنها شأن كثير من الأحاديث التي أشار إليها المعتزلي في شرحه للنهج، وذكر أنها من وضع البكرية في مقابل فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكما يظهر لكل أحد بالتتبع والمقارنة.

---

(١) فتح الباري ج٧ باب الهجرة، ص١٨٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢.

تجلي الله لأبي بكر:

عن أنس: لما خرج «صلى الله عليه وآله» من الغار أخذ أبو بكر بغرزه[١]؛ فنظر «صلى الله عليه وآله» إلى وجهه، فقال: يا أبا بكر ألا أبشرك؟

قال: بلى فداك أبي وأمي.

قال: إن الله يتجلى يوم القيامة للخلائق عامة، ويتجلى لك خاصة[٢].

ومع أننا لم ندر ما معنى هذا التجلي، إلا أن يكون على مذهب المجسمة الضالة، فإننا نجد: أن الفيروزآبادي قد عد هذا الحديث من أشهر الموضوعات في باب فضائل أبي بكر، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل، وحكم الخطيب بوضعه عند ذوي المعرفة بالنقل، وحكم أيضاً بوضعه وبطلانه كل من: الذهبي، والعجلوني، وابن عدي، والسيوطي، والعسقلاني، والقاري وغيرهم[٣].

كلام هام حول الفضائل:

يقول المدائني: «كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة، وكتب إليهم:

أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه، وأهل ولايته، الذين

---

(١) الغرز: ركاب الرحل.

(٢) الغدير ج٥ ص٣٠١ و ٣٠٢ والمصادر الآتية في الهامش التالي والسيرة الحلبية ج٢ ص٤١.

(٣) راجع: تاريخ بغداد للخطيب ج٢ ص٢٨٨ وج١٢ ص١٩، وكشف الخفاء ج٢ ص٤١٩، واللآلي المصنوعة ج١ ص١٤٨، ولسان الميزان ج٢ ص٦٤ وميزان الإعتدال ج٢ ص٢١ و ٢٣٢ و ٢٦٩ وج٣ ص٣٣٦ والغدير ج٥ ص٣٠٢ عمن تقدم، وعن أسنى المطالب ص٦٣.

يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه، وعشيرته ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات، والكساء، والحباء، والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي.

فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجد امرؤ من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه، وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد جهر وفشا في كل مصر، وكل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، ورويت أحاديث كثيرة في مناقب الصحابة، مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة: أنه يحب علياً، وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا

به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد وأكثر منه بالعراق، ولاسيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة: ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة، والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون، والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث حتى يحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا في مجالسهم، ويكسبوا به الأموال والضياع، والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها فرووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا: أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها، فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي «عليه السلام»، فازداد البلاء والفتنة الخ»..[1].

ما أنت إلا إصبع دميت:

وفي رواية: إن أبا بكر صار يسد كل حجر وجده في الغار، فأصاب يده ما أدماها، فصار يمسح الدم عن إصبعه ويقول:

ما أنت إلا اصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت[2]

---

(١) النصائح الكافية ص٧٢ و ٧٣ عن المدائني، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص٤٤.

(٢) حلية الأولياء ج١ ص٢٢، والبداية والنهاية ج٣ ص١٨٠، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٥ و ٣٦.

وهذا لا يصح؛ لأن هذا البيت هو لعبد الله بن رواحة، قاله في جملة أبيات له في غزوة مؤتة، وقد صدمت إصبعه فدميت[١].

وفي الصحيحين: عن جندب بن سفيان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك في بعض المشاهد، أو في الغار، حينما دميت إصبعه[٢].

وذكر آخرون: أنه «صلى الله عليه وآله» قال ذلك حينما لحقه أبو بكر، لظنه «صلى الله عليه وآله» أنه بعض المشركين، فأسرع؛ فأصابه حجر، ففلق إبهامه[٣].

ولعله «صلى الله عليه وآله» قد قرأ «دميت ولقيت» بفتح ياءيهما، وسكون تاءيهما حتى لا يكون شعراً، لأنه لا يقول الشعر ولا ينبغي له، كما ذكرته الآية الكريمة: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾[٤].

إلا أن يكون المراد بها: أنه «صلى الله عليه وآله» ليس بشاعر، لا أنه لا يتلفظ بالشعر، ولا يتمثل به.

وفي بعض المصادر: أن قائله هو الوليد بن الوليد بن المغيرة، حين فر من المشركين حين هجرته، أو حينما ذهب ليخلص هشام بن العاص وعباس

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٩ و ٣٦.

(٢) صحيح مسلم ج٥ ص١٨١ و ١٨٢، وصحيح البخاري ج٢ ص٨٩ الميمنية، وحياة الصحابة ج١ ص٥١٨.

(٣) راجع البحار ج١٩ ص٩٣ عن مسند أحمد، وعن تاريخ الطبري ج٢ ص١٠٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٦ عن ابن الجوزي.

(٤) الآية ٦٩ من سورة يس.

بن ربيعة[١].

وقيل: إن أبا دجانة قال ذلك في غزوة أحد[٢].

ولعل الجميع قد قالوا هذا البيت، لكن على سبيل التمثل به، والتمثل بالشعر شائع عند العرب، وهكذا يتضح أن هذا الشعر إن كان قد قيل في الغار، فإن قائله هو النبي «صلى الله عليه وآله» كما في الصحيحين.

وقد نسب ذلك إلى أبي بكر تصنعاً وتزلفاً ليس إلا، وذلك لا يسمن ولا يغني من جوع.

عمدة فضائل أبي بكر:

ومما يلفت النظر، ويقضي بالعجب: أن تكون صحبة أبي بكر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكونه معه في الغار، وكبر سنه، هما عمدة ما استدلوا به يوم السقيفة لأحقية أبي بكر بالخلافة دون غيره، فقد قال عمر يوم السقيفة: «من له مثل هذه الثلاث: **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾**.

وقال: إن أولى الناس بأمر نبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن.

وقال يوم البيعة العامة: «إن أبا بكر رحمه الله صاحب رسول الله وثاني

---

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري ص٣٢٤، والمصنف لعبد الرزاق ج٢ ص٤٤٧، وسيرة ابن هشام ج٢ ص٢٢٠.

(٢) البدء والتاريخ ج٤ ص٢٠٢.

اثنين، أولى الناس بأموركم، فقوموا فبايعوه»[١].

وعن سلمان: «أصبتم ذا السن فيكم، ولكنكم أخطاتم أهل بيت نبيكم».

وحينما طلب اليهود من أبي بكر أن يصف لهم صاحبه قال: «معشر اليهود، لقد كنت معه في الغار كإصبعي هاتين الخ..».

وعن عثمان: «إن أبا بكر الصديق (يبدو أن كلمة الصديق زيادة من الرواة لما تقدم) أحق الناس بها؛ إنه لصديق، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله» هكذا عن أبي عبيدة.

وعن علي، والزبير: «الغار، وشرفه، وكبره، وصلاته بالناس»[٢].

---

(١) راجع هذه النصوص في: مجمع الزوائد ج٥ ص١٨٢ عن الطبراني ورجاله ثقات وبعضه عن ابن ماجة، وسيرة ابن هشام ج٤ ص٣١١، والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٨ عن البخاري، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٥٩، وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٨ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٤٣٨، والغدير ج٧ ص٩٢ عن بعض من تقدم وعن الرياض النضرة ج١ ص١٦٢ ـ ١٦٦.

(٢) راجع في ما تقدم كلا أو بعضاً: شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٨، ومستدرك الحاكم ج٣ ص٦٦، وسنن البيهقي ج٨ ص١٥٣، وذكر ذلك في الغدير ج٥ ص٣٦٩ وج٧ ص٩٢ وج١٠ ص٧ كلاً أو بعضاً عن المصادر التالية: مسند أحمد ج١ ص٣٥، وطبقات ابن سعد ج٣ ص١٢٨، ونهاية ابن الأثير ج٣ ص٢٤٧، وصفة الصفوة ج١ ص٩٧، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٦، والصواعق المحرقة ص٧، وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٣١ وج٢ ص١٧، والرياض النضرة ج٢ ص١٩٥، وكنز العمال ج٣ ص١٤٠ عن الأطرابلسي في فضائل الصحابة ونقل أيضاً عن الكنز ج٣ ص١٣٩ و ١٣٦ و ١٤٠ عن ابن أبي شيبة وابن عساكر، وابن شاهين، وابن جرير، وابن سعد، وأحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وأخيراً: فقد قال العسقلاني عن قضية الغار: «هي أعظم فضائله التي استحق بها أن يكون الخليفة بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، ولذلك قال عمر بن الخطاب: إن أبا بكر صاحب رسول الله، ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم».

وإذا كانت أعظم فضائله التي استحق بها الخلافة، وإذا كانوا لم يتمكنوا من ذكر فضيلة أخرى له، مع أنهم في أحرج الأوقات، وفي أمس الحاجة إلى التشبث بكل حشيش في مقابل الأنصار؛ فماذا عساهم أن يصنعوا في مقابل علي وفضائله العظمى التي هي كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار؟

وهل يمكنهم أن يحتجوا بشيء ذي بال في مقابله؟!.

وهل يبقى أمامهم من مخرج سوى اللجوء إلى أساليب العنف والإرهاب؟! وهكذا كان!!.

وإذا أفقده البحث المنطقي والعلمي هذه الفضيلة، وبقي صفر اليدين، حتى لقد كان بلال يفضل عليه، حتى اضطر بلال ـ ولعله لدوافع لم يستطع التاريخ أن يفصح عنها ـ لأن يستنكر ذلك ويقول: كيف تفضلوني عليه، وأنا حسنة من حسناته؟[1].

نعم، إذا أفقده النقد الموضوعي هذه الفضيلة، كما قد رأينا ذلك فيما تقدم، فما الذي يبقى أمام أبي بكر للحفاظ على ماء وجهه ومنصبه؟!.

إننا نترك الجواب على ذلك للقارئ الفطن والمنصف.

---

(١) الغدير ج١٠ ص١٣، وتهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص٣١٧.

عثمان حين قضية الغار:

وأخرج ابن مندة بسند واه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: كنت أحمل الطعام إلى أبي، وهو مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالغار، فاستأذنه عثمان في الهجرة، فأذن له في الهجرة إلى الحبشة[1].

ولكن من الواضح: أن عثمان قد هاجر إلى الحبشة قبل قضية الغار بثمان سنين؛ لأن هجرة الحبشة إنما كانت في السنة الخامسة من البعثة.

أضف إلى ذلك: أن كون أسماء هي التي كانت تحمل الطعام إلى الغار، لا يصح؛ فقد تقدم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقبل أن يأخذ الناقة من أبي بكر إلا بالثمن حتى لا يكون لأحد منة عليه «صلى الله عليه وآله».

هذا كله عدا عما تقدم من عدم صحة قولهم: إن أسماء كانت تأتيهم بالطعام إلى الغار.. فإن علياً «عليه السلام» كان هو الذي يحمل الطعام إلى الغار؛ وليس أسماء بنت أبي بكر.

وكون المراد غاراً آخر، يحتاج إلى شاهد ودليل، ولم نجد في التاريخ ما يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد دخل غاراً آخر، ولبث فيه مع أبي بكر مدة.

يوم الغار، ويوم الغدير:

قال ابن العماد وغيره: «تمادت الشيعة في هذه الأعصر في غيهم بعمل عاشوراء، وباللطم والعويل، وبنصب القباب، والزينة، وشعار الأعياد يوم الغدير؛ فعمدت غالية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير، الغار، وجعلوه

---

(١) كنز العمال ج٢٢ ص٢٠٨ عن ابن عساكر، والإصابة ج٤ ص٣٠٤.

بعد ثمانية أيام من يوم الغدير، وهو السادس والعشرون من ذي الحجة، وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وأبا بكر اختفيا حينئذٍ في الغار.

وهذا جهل وغلط؛ فإن أيام الغار إنما كانت بيقين في صفر، وفي أول شهر ربيع الأول الخ..»[1].

وقد كان عليه أن يقول: «وهذا نصب وجهل، قد أعمى أبصارهم وبصائرهم»، وهل ليوم الغار الذي أظهر فيه أبو بكر ضعفه، وشكه، وعرف كل أحد أنه «صلى الله عليه وآله» لم يأخذ منه البعير إلا بالثمن، أن يكون كيوم الغدير، الذي جعل فيه أهل البيت أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، وجعل علي «عليه السلام» فيه مولى للمؤمنين وإماماً لهم بعد الرسول «صلى الله عليه وآله»، إلى غير ذلك مما نقله جهابذة العلماء، وأعاظم الحفاظ؟!.

ولا بأس بمراجعة كتابنا: «صراع الحرية في عصر المفيد»، ففيه تفصيلات حول هذا الموضوع.

وأخيراً فما أحرانا: أن نتمثل هنا بقول الشاعر:

---

(١) شذرات الذهب ج٣ ص١٣٠، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج١ ص٩٤ وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص١٤٥ والمنتظم لابن الجوزي ج٧ ص٢٠٦ والبداية والنهاية ج١١ ص٣٢٥ والخطط المقريزية ج١ ص٣٨٩ والكامل في التاريخ ج٩ ص١٥٥ ونهاية الأرب للنويري ج١ ص١٨٥ وذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ص٣٣٩ و ٣٤٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٣٨١ ـ ٤٠٠) ص٢٥.

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

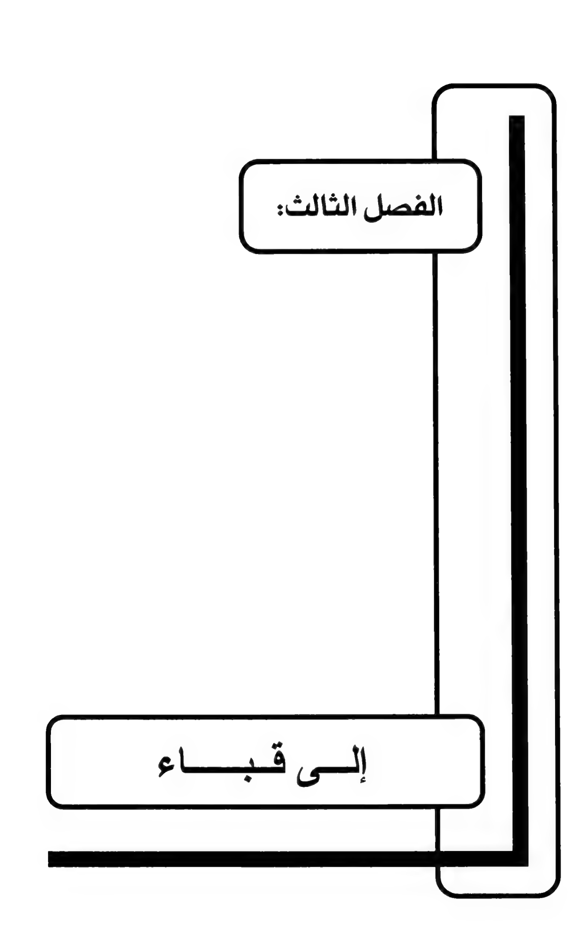
الكلمة الأخيرة في حديث الغار:

وحسبنا ما ذكرناه هنا حول الأكاذيب التي جادت بها قرائحهم، حول قضية الغار.

وقد يلاحظ القارئ: أننا لم نكثر المصادر للنصوص التي ذكرناها هنا، وعذرنا في ذلك هو أننا لم نر حاجة إلى ذلك، لأننا رأينا أنها متوفرة جداً في مختلف الكتب الحديثية والتاريخية، ولن يجد القارئ كبير عناء في البحث عنها، واستخراجها.

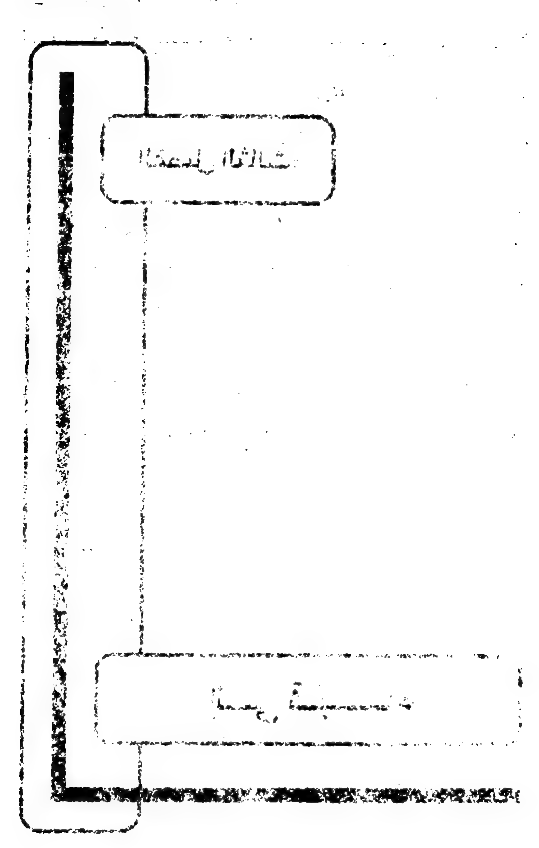
ولعل القارئ يجد في هذا الذي ذكرناه مقنعاً وكفاية، وهو يكشف له زيف الكثير مما لم نذكره لوضوح كذبه وفساده، وقد آن الأوان للعودة إلى الحديث عن سائر أحداث السيرة العطرة للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

فإلى ما يلي من فصول..



الفصل الثالث:

إلـــى قبـــاء



في الطريق إلى المدينة:

عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة، وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الإبل، خرج سراقة بن جشعم فيمن يطلب، فلحق رسول الله، فقال «صلى الله عليه وآله»: اللهم اكفني سراقة بما شئت، فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله ثم اشتد، فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق الي فرسي، فلعمري، إن لم يصبكم خير مني لم يصبكم مني شر.

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فأطلق الله عز وجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما أطلقت قوائم فرسه في الثالثة، قال: يا محمد، هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب.

فقال: لا حاجة لي فيما عندك.

ولعل رفض النبي «صلى الله عليه وآله» ما عرضه عليه سراقة قد كان من منطلق: أنه لا يريد أن يكون لمشرك يد عنده.

وقد تقدمت بعض النصوص الدالة على ذلك في فصل أبو طالب مؤمن قريش، وسيأتي في هذا الكتاب بعض من ذلك أيضاً.

وسار «صلى الله عليه وآله» حتى بلغ خيمة أم معبد، فنزل بها، وطلبوا عندها قرى، فقالت: ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى شاة في ناحية قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال: أتأذنين في حلبها؟

قالت: نعم، ولا خير فيها.

فمسح يده على ظهرها، فصارت من أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرت لبناً كثيراً، فطلب «صلى الله عليه وآله» العس، وحلب لهم فشربوا جميعاً حتى رووا.

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم، لا يتكلم، ولا يقوم، فأخذ تمرة فمضغها، وجعلها في فيه، فنهض في الحال، ومشى، وتكلم، وجعل نواها في الأرض فصار نخلة في الحال، وقد تهدل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ورحل «صلى الله عليه وآله» فلما توفي «صلى الله عليه وآله» لم ترطب تلك النخلة، فلما قتل علي «عليه السلام» لم تخضر، فلما قتل الحسين «عليه السلام» سال منها الدم[1].

فلما عاد أبو معبد، ورأى ذلك سأل زوجته عن سببه قالت: مر بي رجل من قريش ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (أو نخلة) ولم تزر به صحلة (أو صقلة) وسيم في عينيه دعج، وفي أشفاره

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٥ عن ربيع الأبرار.

عطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أكمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قصر غصن بين غصنين وهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً.

إلى أن قالت: محفود محشود لا عابس ولا مفند. (ووصف أم معبد له «صلى الله عليه وآله» معروف ومشهور).

فعرف أبو معبد أنه النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم قصد بعد ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، فآمن هو وأهله[1].

الكرامات الباهرة بعد الظروف القاهرة:

وليس ذلك كله بكثير على النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» وكراماته الظاهرة، ومعجزاته الباهرة، فهو أشرف الخلق وأكرمهم على الله من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

ومن الجهة الثانية: فإن حصول هذه الكرامات بعد مصاعب الهجرة مباشرة إنما يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً:

من أنه قد كان من الممكن أن تتم الهجرة بتدخل من العناية الإلهية،

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٤ والبحار ج١٩ ص٤١ و ٤٢ ودلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٧٩ والسيرة الحلبية ج٢ ص٤٩ و ٥٠ وغير ذلك من المصادر. وحديث أم معبد مشهور بين المؤرخين، والنص المذكور من أول العنوان إلى هنا هو للبحار ج١٩ ص٧٥ و ٧٦ عن الخرائج والجرائح.

ولكن الله تعالى أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها وليكون هذا الرسول «صلى الله عليه وآله» هو الاسوة الحسنة، والقدوة لكل أحد، في مواجهة مشاكل الحياة، وتحمل أعباء الدعوة إلى الله بكل ما فيها من متاعب، ومصاعب وأزمات، فإن للأزمات التي يمر بها الإنسان دوراً رئيساً في صنع خصائصه، وبلورتها، وتعريفه بنقاط الضعف التي يعاني منها وهي تبعث فيه حيوية ونشاطاً، وتجعله جدياً في مواقفه، فإنه إذا كان هدف الله سبحانه هو إعمار هذا الكون بالإنسان، فإن الإنسان الخامل الذي يعتمد على الخوارق والمعجزات لا يمكنه أن يقوم بمهمة الإعمار هذه.

والخلاصة:

إن ذلك لمما يساعد على تربية الإنسان وتكامله في عملية إعداده ليكون عنصراً فاعلاً وبانياً ومؤثراً، لا منفعلاً ومتاثراً وحسب، إلى غير ذلك مما يمكن استفادته من الأحداث الآنفة الذكر.

هجرة أمير المؤمنين عليه السلام:

واستمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هجرته المباركة حتى قرب من المدينة، فنزل بادئ ذي بدء في قباء في بيت عمرو بن عوف، فأراده أبو بكر على دخول المدينة، وألاصه فأبى، وقال: ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن أمي وأخي، وابنتي، يعني علياً وفاطمة «عليهما السلام»[1].

---

(١) راجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٣٥ من دون ذكر للاسم، وأمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٨٣، وإعلام الورى ص٦٦، والبحار ج١٩ ص٦٤ و ١٠٦ و ١١٥ و ١١٦ و ٧٥ و ٧٦ وج٢٢ ص٣٦٦ عن الخرائج والجرايح.

فلما أمسى فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله بقباء، نازلاً على كلثوم بن الهدم[1].

ثم كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أخيه علي «عليه السلام» كتاباً يأمره بالمسير إليه وقلة التلوم، وأرسل الكتاب مع أبي واقد الليثي.

فلما أتاه كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» تهيأ للخروج والهجرة، فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، وأمرهم أن يتسللوا، ويتخفوا تحت جنح الليل إلى ذي طوى، وخرج «عليه السلام» بفاطمة بنت الرسول، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره «عليه السلام» بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إربع عليك، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي: (أي حين سفره من الغار كما تقدم) يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه.

وأدركه الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس متلثمون، وثامنهم مولى للحارث بن أمية، يدعى جناحاً.

فأنزل علي «عليه السلام» النسوة، وأقبل على القوم منتضياً السيف، فأمروه بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟

قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ودنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال علي «عليه السلام» بينهم

---

(١) إعلام الورى ص٦٦، والبحار ج١٩ ص١٠٦ عنه.

وبينها فاهوى جناح بسيفه، فراغ علي «عليه السلام» عن ضربته، وتختله علي «عليه السلام» فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه، حتى مس كاثبة فرسه، وشد عليهم بسيفه، وهو يقول:

خلـــوا سبيل الـجاهـد المجاهـد   آلـيـت لا أعـبـد غـيـر الـواحـد

فتصدع القوم عنه وقالوا: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب.

قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما.

ثم سار ظاهراً حتى نزل بضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة الرسول «صلى الله عليه وآله» فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم علي «عليه السلام» صلاة الفجر ثم سار بهم، فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل، حتى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً..﴾.

إلى قوله: **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى..﴾**[١].

ولما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» قدومه «عليه السلام»، قال: ادعوا

---

(١) الآيات ١٩١ ـ ١٩٥ من سورة آل عمران.

لي علياً.

قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي.

فأتاه «صلى الله عليه وآله» بنفسه، فلما رآه اعتنقه، وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً.

وقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر(١).

إذن، فالهجرة العلنية، والتهديد بالقتل لمن يعترض سبيل المهاجر قد كانا من علي «عليه السلام»، وليس من عمر بن الخطاب، وقد تقدم في فصل ابتداء الهجرة إلى المدينة بعض ما يدل على عدم صحة نسبة ذلك إلى عمر، وإنما نسبوا ما كان من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى غيره، شأن الكثير من فضائله ومواقفه «عليه السلام».

السياسة الحكيمة:

وبعد.. فإن من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أننا نجد أمير المؤمنين علياً وكذلك أبناءه من بعده «عليهم السلام» يحاولون تفويت الفرصة على

---

(١) راجع فيما ذكرناه: أمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٨٣ ـ ٨٦، والبحار ج١٩ ص٦٤ ـ ٦٧ و٨٥ وتفسير البرهان ج١ ص٣٣٢ و ٣٣٣ عن الشيباني في نهج البيان، وعن الاختصاص للشيخ المفيد، والمناقب لابن شهر آشوب ج١ ص١٨٣ و ١٨٤، وإعلام الورى ص١٩٠ وراجع: امتاع الاسماع للمقريزي ج١ ص٤٨.

مزوري التاريخ من أعداء الدين والحق والإيمان، فقد روى عبد الواحد بن أبي عون:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينما توفي أمر علي «عليه السلام» صائحاً يصيح: «من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتني».

فكان يبعث كل عام عند العقبة يوم النحر من يصيح بذلك، حتى توفي علي، ثم كان الحسن بن علي يفعل ذلك حتى توفي، ثم كان الحسين يفعل ذلك، وانقطع ذلك بعده، رضوان الله تعالى عليهم وسلامه.

قال ابن عون: فلا يأتي أحد من خلق الله إلى علي بحق ولا باطل إلا أعطاه[١].

كتاب تبع الأول:

ويذكر البعض: أن تبعاً الأول قد آمن بالنبي «صلى الله عليه وآله» قبل ولادته «صلى الله عليه وآله» بمئات السنين في قصة طويلة، نرغب عن ذكرها، لأننا لم نتأكد من صحتها، فمن أراد التحقيق حولها، فليراجعها في مصادرها[٢].

أبو بكر شيخ يعرف:

قد جاء في بعض المرويات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أقبل إلى المدينة وكان أبو بكر رديف النبي «صلى الله عليه وآله»، وأبو بكر شيخ يُعرَف، والنبي «صلى الله عليه وآله» شاب لا يُعرَف، فيلقى الرجل أبا بكر،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ قسم ٢ ص٨٩ .

(٢) ثمرات الأوراق ص٢٩٠ و ٢٩١ عن القرطبي.

فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟

وفي لفظ أحمد: من هذا الغلام بين يديك، فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق وإنما يعني سبيل الخير.

وفي التمهيد: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان رديف أبي بكر، فكان إذا قيل لأبي بكر: من هذا وراءك؟ الخ.

وصرح القسطلاني: بأن ذلك كان حين الانتقال من بني عمرو بن عوف، أي من قباء إلى المدينة.

وفي نص آخر: أنه لما قدم «صلى الله عليه وآله» المدينة تلقاه المسلمون؛ فقام أبو بكر للناس، وجلس النبي «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر شيخ، والنبي «صلى الله عليه وآله» شاب، فكان من لم ير النبي يجيء أبا بكر زاعماً أنه هو، فيعرفه النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أصابت الشمس رسول الله، فجاء أبو بكر فظلل عليه بردائه، فعرفه الناس حينئذٍ[1].

ولكن ذلك لا يمكن أن يصح وذلك للتالي:

أولاً: إن كون أبي بكر يُعرَف، والنبي لا يُعرَف، لا يمكن قبوله، فإن

---

(١) راجع في ذلك كلاً أو بعضاً: إرشاد الساري ج٦ ص٢١٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٤١، وصحيح البخاري ط مشكول باب الهجرة ج٦ ص٥٣ وسيرة ابن هشام ج٢ ص١٣٧، ومسند أحمد ج٣ ص٢٨٧، والمواهب اللدنية ج١ ص٨٦، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢٠٢، والمعارف له ص٧٥ والنذير ج٧ ص٢٥٨ عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ج١ ص٧٨ و ٧٩ و ٨٠، وعن طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٢٢.

النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرض دعوته على مختلف القبائل التي كانت تقدم مكة، طيلة سنوات عديدة وقد سار ذكره في الآفاق، وبايعه من أهل المدينة أكثر من ثمانين ورآه حوالي خمسمئة من أهل المدينة قدموا مكة، قبل ثلاثة أشهر فقط كما تقدم.

فكيف يكون أبو بكر يعرف، والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يعرف؟!(١).

ومن جهة أخرى: فلم يكن أحد يهتم بسفر أبي بكر أو يحس به ولا يجد أي من الناس دافعاً للتعرف عليه.

هذا كله، عدا عن أن أبا بكر قد فارق الرسول «صلى الله عليه وآله» حينما وصلا إلى قباء، ولم يبق معه إلى حين دخول المدينة.

وأما ما ذكر أخيراً: من أن من لم ير النبي «صلى الله عليه وآله» كان يجيء أبا بكر زاعماً أنه هو فهو ينافي قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان شاباً لا يعرف وأبو بكر شيخ يعرف.

ثانياً: لقد كان الناس من أهل المدينة ينتظرون قدومه «صلى الله عليه وآله» بفارغ الصبر، وقد استقبله منهم حين قدومه حوالي خمسمئة راكب(٢) بظهر الحرة وكان النساء والصبيان والشبان وغيرهم يهزجون ـ كما قيل ـ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

---

(١) راجع: الغدير ج٧ ص٢٥٨.

(٢) الثقات لابن حبان ج١ ص١٣١، ودلائل النبوة ج٢ ص٢٣٣، ووفاء الوفاء ج١ ص٢٥٥، عن التاريخ الصغير للبخاري، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٢، والسيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج١ ص٣٢٥، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٢٦.

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان قد مكث في قباء أياماً يستقبل الناس؛ فهل يمكن أن يكون متنكراً حين قدومه من قباء إلى المدينة، كما يقول القسطلاني؟![1].

أو هل يمكن أن يكون قد دخل المدينة ولم يكن معه أحد من أهل قباء، ولا من أهل المدينة وأين كان عنه علي حينئذٍ؟!

وألم يكن أهل المدينة قد أتوا زرافات ووحداناً إلى قباء ليتشرفوا برؤيته؟! ولماذا لم يدل العارفون به أولئك الذين يشتبهون في أمره عليه؟!

ثالثاً: لقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكبر أبا بكر بسنتين وعدة أشهر؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» ولد عام الفيل، وأبو بكر استكمل بخلافته سن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث توفي ـ كما يدعون ـ بسن النبي «صلى الله عليه وآله» عن ثلاث وستين سنة[2].

إذاً فكيف يصح قولهم: إنه شيخ والنبي «صلى الله عليه وآله» شاب؟

---

(١) إرشاد الساري ج٦ ص٢١٤.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص٧٥، مدعياً الاتفاق على ذلك، وأسد الغابة ج٣ ص٢٢٣، ومرآة الجنان ج١ ص٦٥ و ٦٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص٦٠ والإصابة ج٢ ص٣٤١ ـ ٣٤٤، والغدير ج٧ ص٢٧١ عمن تقدم وعن المصادر الآتية: الكامل لابن الأثير ج١ ص١٨٥ وج ٢ ص١٧٦، وعيون الأثر ج١ ص٤٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩٦ والطبري ج٢ ص١٢٥ وج ٤ ص٤٧ والإستيعاب ج١ ص٣٣٥، وقال: لا يختلفون أن سنه انتهى حين وفاته ثلاثاً وستين سنة، وسيرة ابن هشام ج١ ص٢٠٥.

ومما ذكرناه نعرف: عدم صحة ما روي عن يزيد بن الأصم ـ المتوفى بعد المئة عن ٧٣ سنة ـ من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟

قال: لا، بل أنت أكبر مني وأكرم، وخير مني، وأنا أسن منك[١].

وأما الاعتذار عن ذلك: بأن الشيب كان في وجه أبي بكر ولحيته كثيراً بخلافه «صلى الله عليه وآله»[٢] ـ أو أن أبا بكر كان تاجراً، يعرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام ـ فلا يصح؛ لأن الشيب وعدمه لا يخفي الشيخوخة والشباب، حتى لقد ورد التعبير في بعض تلك المرويات بـ«ما هذا الغلام بين يديك»؟

فما معنى التعبير بالغلام عن رجل يزيد عمره على خمسين سنة؟

إلا أن يقال: الغلام يطلق على الشيخ والشاب فهو من الأضداد.

وأيضاً: فقد روي عن ابن عباس بسند صحيح: أن أبا بكر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله قد شبت؟ قال: شيبتني هود والواقعة والخ..

وروى الحفاظ مثله عن ابن مسعود، وعن أبي جحيفة، **قالوا**: يا رسول الله، نراك قد شبت، قال: شيبتني هود وأخواتها[٣].

---

(١) الغدير ج٧ ص٢٧٠ عن الإستيعاب ج٢ ص٢٢٦، والرياض النضرة ج١ ص١٢٧ وتاريخ الخلفاء ص٧٢ عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل وابن عساكر.

(٢) فتح الباري ج٧ ص١٩٥، وراجع الغدير ج٧ ص٢٦٠ و ٢٦١.

(٣) مستدرك الحاكم ج٢ ص٣٤٣ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة واللمع لأبي نصر ص٢٨٠ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٤٣٥، والغدير ج٧ ص٢٦١ عنهم وعن تفسير القرطبي ج٧ ص١ وتفسير الخازن ج٢ ص٣٣٥ وعن جامع الحافظ الترمذي، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي شيبة.

وإذا كانت السور المذكورة مكية كما هو معلوم، فيستفاد من ذلك: أن الشيب قد بان فيه «صلى الله عليه وآله» في مكة على خلاف الطبيعة، وأسرع فيه، حتى صار الناس يسألونه عنه، وعما أثره[1] ولم يكن مجرد شعرات قليلة لا تلفت النظر، ولا يلتفت إليها.

وأما أن أبا بكر كان تاجراً يختلف إلى الشام، فقد تقدم: أنه كان في الجاهلية معلماً للأولاد، وبعد ذلك صار خياطاً، وكما كان أبو بكر يختلف إلى الشام، فقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً يختلف إلى الشام، وكان التعرف عليه أدعى وأولى، بملاحظة ما كان له من الشرف والسؤدد في قريش والعرب، وكان له في أهل المدينة قرابة أيضاً.

هذا، عدا عما أسلفناه من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يعرض دعوته على القبائل التي تقدم مكة لعدة سنوات.

وأيضاً: فإن صفات النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تدل عليه، وقد وصفته أم معبد لزوجها فعرفه.

أما أبو بكر، فقد تقدمت صفته عن عائشة وغيرها في بعض الفصول.

وأخيراً: فإن ركوب النبي «صلى الله عليه وآله» وأبي بكر على ناقة واحدة لم نجد له ما يبرره، بعد أن كان لدى كل منهما ناقة تخصه كما تقدم.

رأي العلامة الأميني:

ويرى الأميني «قدس سره»: أن قضية: أنت أكبر مني وأنا أسن منك تنقل عن النبي «صلى الله عليه وآله» مع سعيد بن يربوع المخزومي، الذي

---

(١) الغدير ج٧ ص٢٦١.

توفي سنة أربع وخمسين عن مئة وعشرين سنة.

ويرى أيضاً: أن حجة أبي بكر يوم السقيفة على مخالفيه قد كانت كبر سنه، فحاول محبوه تأييد هذه الدعوى بما ذكرنا من كونه أسن من النبي «صلى الله عليه وآله» والنبي أكبر منه، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان شاباً، بل غلاماً، لا يعرف!! وأبو بكر كان شيخاً يعرف!![1].

النفاق في مكة:

وقبل أن نبدأ الحديث عما بعد الهجرة نرى أن من المناسب الإشارة إلى أمر يرتبط بالحياة المكية، والحكم على بعض الظواهر فيها، مع ارتباط له وثيق أيضاً بالحياة في المدينة بعد الهجرة، وهو موضوع:

هل كان يوجد فيمن أسلم قبل الهجرة من المكيين منافقون يبطنون خلاف ما يظهرون أم لم يكن؟!

وهل كانت أجواء مكة صالحة لظهور أشخاص من هذا القبيل يعتنقون الإسلام ويبطنون الكفر، أم لا؟!.

يقول العلامة الطباطبائي «رحمه الله» ما مفاده:

إنه ربما يقول البعض: لا، لم يكن في مكة منافقون، إذ لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» ولا للمسلمين قوة ولا نفوذ، يجعل الناس يهابونهم، ويتقونهم، أو يرجون منهم نفعاً مادياً، أو معنوياً من نوع ما، فلماذا إذاً يتقربون لهم ويتزلفون؟ ولماذا يظهرون لهم الإسلام، مع انطوائهم على خلافه؟.

---

(١) الغدير ج٧ ص٢٧١.

بل كان المسلمون في مكة ضعفاء مضطهدين، معذبين؛ فالمناسب أن يتقي المتقي ـ رغباً أو رهباً ـ من صناديد قريش وعظمائها، لا منهم.

وأما في المدينة فقد قوي أمر النبي «صلى الله عليه وآله» وظهر أمر المسلمين، وأصبحوا قوة يمكنها الدفع والمنع، وكان له «صلى الله عليه وآله» في كل بيت أتباع وأنصار يطيعون أوامره، ويفدونه بكل غال ونفيس، والقلة القليلة الباقية لم يكن يسعهم الإعلان بالخلاف؛ فداروا أمرهم بإظهار الإسلام، وإبطان الكفر ـ على أن يكيدوا ويمكروا بالمسلمين، كلما سنحت لهم الفرصة لذلك.

هكذا استدل البعض لإثبات عدم وجود منافقين بين المسلمين الأولين.

ولكنه كما ترى كلام لا يصح.

وذلك لأن النفاق في مكة كانت له أسبابه، ومبرراته، ومناخاته، ونذكر هنا ما يلي:

أولاً: إن أسباب النفاق لا تنحصر فيما ذكر، من الرغبة والرهبة لذي الشوكة ومنه، إذ أننا كثيراً ما نجد في المجتمعات فئات من الناس مستعدة لقبول أية دعوة، إذا كانت ذات شعارات طيبة، تنسجم مع أحلامهم وآمالهم، وتعدهم بتحقيق رغائبهم، وما تصبو إليه نفوسهم، فيناصرونها، رغم أنهم في ظل أعتى القوى وأشدها طغياناً، وهم في غاية الضعف والوهن يعرضون أنفسهم لكثير من الأخطار، ويحملون المشاق والمصاعب من أجلها وفي سبيلها.

كل ذلك رجاء أن يوفقوا يوماً ما لتحقيق أهدافهم، والوصول إلى مآربهم، التي يحلمون بها، كالعلو في الأرض، والحصول على الثروات،

والجاه العريض، وغير ذلك.

إنهم يقدمون على كل هذا، مع أنهم ربما كانوا لا يؤمنون بتلك الدعوة إلا بمقدار إيمانهم بضرورة الحصول على تلك المآرب والأهداف الآنفة الذكر.

ومن الواضح: أن المنافق الطامع الذي من هذا القبيل يكون ـ فيما لو نجحت الدعوة ـ أشد خطراً على تلك الدعوة من أعتى أعدائها؛ لأنه إذا وجد أن الدعوة لا تستطيع أن تمنحه كل ما يريد ـ ولو لاقتضاء المصلحة لذلك ـ فإنه سوف يمكر ويغدر[1]، كما أنه يكون هو الأقدر على الانحراف بهذه الدعوة، وإخراجها عن نهجها القويم، وصراطها المستقيم إلى المتاهات التي يستطيع في ظلماتها وبهمها أن يحصل على ما يريد دون رادع أو وازع، وهو الذي يملك كل المبررات لذلك مهما كانت سقيمة وتافهة.

وأما إذا فشلت الدعوة: وكان قد أحكم أمره؛ فإنه يستطيع أن يقول لمن هم على شاكلته: إنا كنا معكم؛ إنما نحن مستهزئون.

فإنه إذا كان النفاق في المدينة قد كان في أكثره لدوافع أمنية، أو للحفاظ على المصالح والعلاقات المعينة، فإن النفاق المكي لسوف يكون أعظم خطراً، وأشد محنة وبلاء على الإسلام والمسلمين، حسبما أوضحنا آنفاً.

وعلى هذا، فإن من القريب جداً.. أن يكون بعض من اتبع النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة لم يكن مخلصاً للدعوة، وإنما كان مخلصاً لنفسه فقط، لا سيما إذا لاحظنا: أن دعوة الرسول قد كانت مقترنة من أول يوم بدئها

---

(١) راجع: تفسير الميزان ج١٩ ص٢٨٩.

بالوعود القاطعة بأن حامليها لسوف يكونون ملوك الأرض، ولسوف يملكون كنوز كسرى وقيصر[١]، فقد سأل عفيف الكندي العباس بن عبد المطلب عما يراه من صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي وخديجة «عليهما السلام»، فقال له العباس:

هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، زعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح على يديه، فكان عفيف يتحسر على أن لم يكن أسلم يومئذ، ليكون ثانياً لعلي «عليه السلام» في الإسلام[٢].

وحينما سأله عمه أبو طالب عن سبب شكوى قومه منه، قال «صلى الله عليه وآله»: إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية[٣].

وينقل عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال لبكر بن وائل، حينما كان يعرض دينه على القبائل: فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم الخ..

وقال قريباً من هذا لشيبان بن ثعلبة، ومثل ذلك قال أيضاً حينما أنذر

---

(١) أشار إلى هذا أيضاً العلامة الطباطبائي في الميزان ج١٩ ص٢٨٩.

(٢) ذخائر العقبي ص٥٩، ودلائل النبوة ج١ ص٤١٦، ولسان الميزان ج١ ص٣٩٥ وعن أبي يعلى، وخصائص النسائي، والكامل لابن الأثيرج ٢ ص٥٧ ط صادر، وتاريخ الطبري ج٢ ص٥٧ وراجع حياة الصحابة ج١ ص٣٣.

(٣) سنن البيهقي ج٩ ص٨٨ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤٣٢، وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وتفسير ابن كثيرج ٤ ص٢٨، وحياة الصحابة ج١ ص٣٣ عن الترمذي، وتفسير الطبري، وأحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم.

عشيرته الأقربين[1].

بل إن مما يوضح ذلك بشكل قاطع، ما قاله أحد بني عامر بن صعصعة لما جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرض عليهم قبول دعوته: «والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب»، وقد تقدم بعض المصادر لذلك.

ثم إنه إذا كان هذا النفاق يهدف إلى استخدام الدعوة لأهداف شخصية، فهو بالتالي مضطر إلى الحفاظ على هذه الدعوة بمقدار اضطراره إلى الحفاظ على مصالحه وأهدافه تلك، ما دام يرى أو يأمل منها أن تتمكن من تحقيق ما يتمناه، وتوصله إلى أهدافه التي يرجوها.

وهكذا يتضح: أنه ليس من الضروري أن يكون المنافق مهتماً بالكيد للدعوة التي لا يؤمن بها، والعمل على تحطيمها وإفسادها، بل ربما يكون حريصاً عليها كل الحرص، يفديها بالمال والجاه ـ لا بالنفس ـ إذا كان يأمل أن يحصل على ما هو أعلى وأغلى فيما بعد، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة في بعض مسلمي مكة، الذين كانوا يواكبون الدعوة ويعاونونها ما دام لم تصل النوبة إلى التضحية بالنفس والموت، فإذا كان ذلك فإنهم يفرون، وينهزمون، ويتركون النبي وشأنه، وقد رأينا ذلك في كثير من المواقف.

نعم، ربما يتمكن الدين تدريجياً من نفوس بعضهم، وتحصل لهم قناعة

---

(١) راجع: الثقات ج١ ص٨٨ والبداية والنهاية ج٣ ص١٤٠ وراجع ص١٤٢ و ١٤٥ عن دلائل النبوة لأبي نعيم والحاكم والبيهقي وحياة الصحابة ج١ ص٧٢ و ٨٠ عن البداية والنهاية وعن كنز العمال ج١ ص٢٧٧.

تدريجية به، ولسوف نشير إلى ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى، ولربما حين الكلام على غزوة أحد.

وخلاصة الأمر: أن الميزان لدى البعض هو أهدافه هو؛ فما دامت الدعوة في خدمتها فهو معها، وأما إذا وجد أنها سوف تكون عقبة في طريقها، وتشكل خطراً عليها فإنه لا يألو جهداً ولا يدع وسيلة في الكيد لها، والعمل على هدمها وتحطيمها.

ثانياً: ما أشار إليه العلامة الطباطبائي «رحمه الله» أيضاً: أنه لا مانع من أن يسلم أحدهم في أول البعثة، ثم يعرض له ما يزلزل إيمانه، ويرتاب، ويرتد عن دينه، ولكنه يكتم ذلك، حفاظاً على بعض المصالح الهامة بنظره كالخوف من شماتة أعدائه، أو حفاظاً على بعض علاقاته القبلية، أو التجارية، أو للعصبية والحمية، وغيرها مما يربطه بالمسلمين أو ببعضهم، أو للحفاظ على جاه من نوع معين، أو أي شيء آخر بالنسبة إليه[١].

ولربما يشهد لذلك: أننا قد رأينا البعض يعترف أنه كان كثيراً ما يشك في هذا الأمر، حتى اعترف في الحديبية أنه ارتاب ارتياباً لم يرتبه منذ أسلم[٢] وفي غزوة أحد، حينما سمعوا أنه «صلى الله عليه وآله» قد قتل فروا من المعركة، وقال بعضهم: «نلقي إليهم بأيدينا، فإنهم قومنا وبنو عمنا»[٣].

---

(١) تفسير الميزان ج١٩ ص٢٨٩.

(٢) مغازي الواقدي ج٢ ص٦٠٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٧، وبقية الكلام على هذا مع مصادره يأتي إن شاء الله تعالى في غزوة أحد.

ثالثاً: وقد أشار العلامة الطباطبائي أيضاً إلى بعض الآيات الدالة على وجود النفاق في مكة، وذلك كقوله تعالى: **﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾**[(١)] حيث قد وردت هذه الآية في سورة المدثر وهي مكية، وكذا قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾**[(٢)]. فإن سورة العنكبوت مكية أيضاً، والآية مشتملة على حديث الإيذاء والفتنة في الله، وذلك إنما كان في مكة لا في المدينة، وقوله تعالى: **﴿وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾** لا يدل على نزول الآية في المدينة لأن النصر له مصاديق ومراتب كثيرة.

وأضيف هنا: أن الله تعالى إنما يحكي حالة المنافقين المستقبلية بشكل عام.

ثم قال العلامة الطباطبائي: احتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقع بمكة بعد الهجرة، غير ضائر؛ فإن هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، وإن أوذوا بعدها[(٣)].

ملاحظة هامة على ما تقدم:

هذا، **ويلاحظ العلامة الطباطبائي أخيراً**: أننا لم نزل نسمع ذكراً

---

(١) الآية ٣١ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١٠ من سورة العنكبوت.

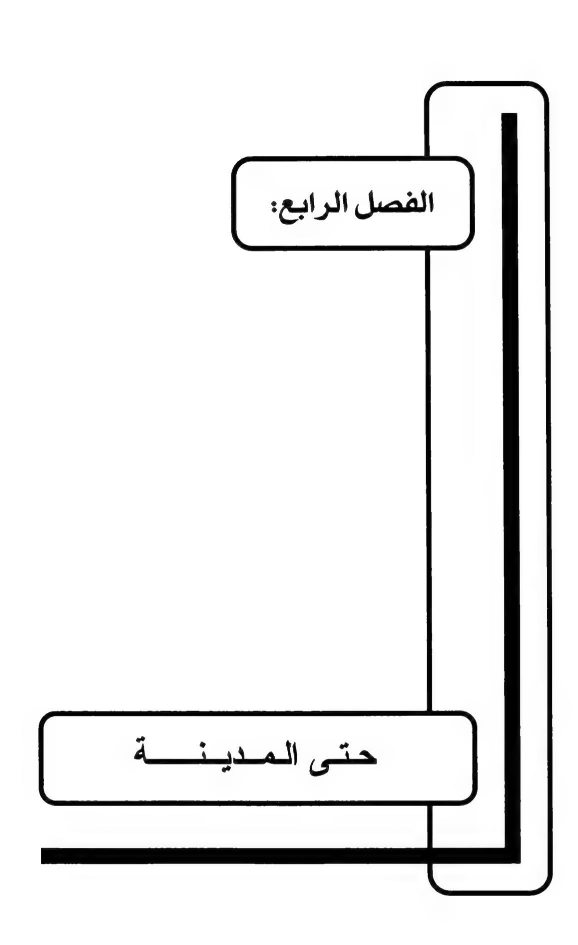
(٣) راجع: تفسير الميزان ج٢٠ ص٩٠ و ٩١.

للمنافقين إلى حين وفاة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» وقد تخلف عنه «صلى الله عليه وآله» في تبوك أكثر من ثمانين منهم، وانخذل ابن أبي في أحد في ثلاثمائة، ثم انقطعت أخبارهم عنا مباشرة، ولم نعد نسمع عن دسائسهم، ومكرهم، ومكائدهم للإسلام وللمسلمين شيئاً، فهل انقلبوا بأجمعهم ـ بمجرد وفاته «صلى الله عليه وآله» ـ عدولاً أتقياء وأبراراً أوفياء؟!

وإذا كان كذلك، فهل كان وجود النبي «صلى الله عليه وآله» فيما بينهم مانعاً لهم من الإيمان، وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟! نعوذ بالله من التفوه بالعظائم، وبما يسخط الرب، أم أنهم ماتوا بأجمعهم، وهم يعدون بالمئات بمجرد موته «صلى الله عليه وآله»؟ وكيف لم ينقل لنا التاريخ ذلك؟!

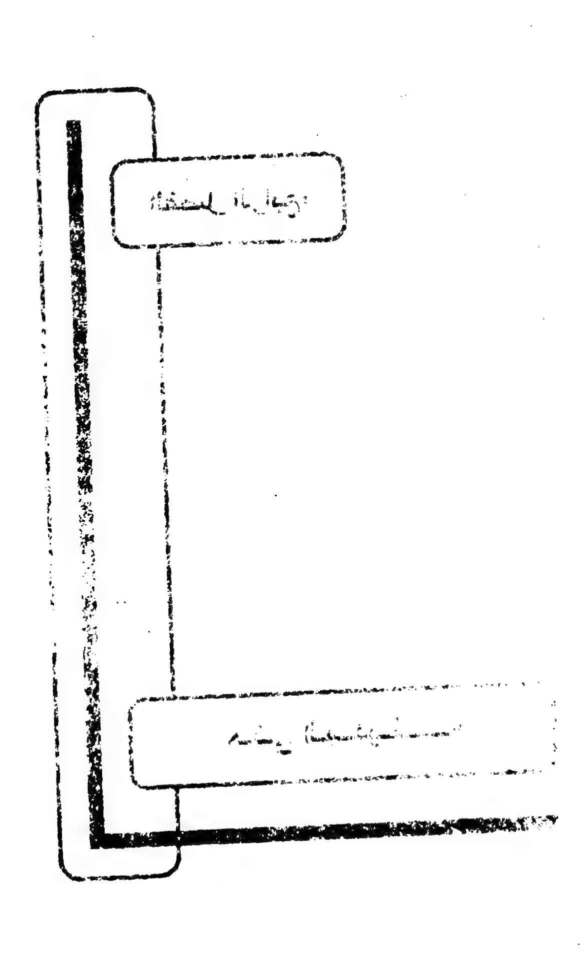
أم أنهم وجدوا في الحكم الجديد ما يوافق هوى نفوسهم، ويتلاءم مع أهوائهم، ومصالحهم؟! أم ماذا؟! ما هي الحقيقة؟!

لست أدري! ولعل الذكي يدري.



الفصل الرابع:

حتى المدينة



بداية:

وفي المدينة بدأت عملية بناء المجتمع الإسلامي، وإرساء قواعد الدولة، والتخطيط لنشر الإسلام في مختلف أرجاء العالم، وانتقلت الدعوة من مرحلة بناء الفرد إلى مرحلة بناء المجتمع، وتطبيق الإسلام عقيدة وشريعة، ومحو كل آثار الجاهلية في العالم أجمع.

وإذا أردنا أن نلم بكل الخطوات التي خطاها القائد الأعظم «صلى الله عليه وآله» في سبيل ذلك، فإننا لن نتمكن الآن من استقصاء ذلك ولسوف يصرفنا عن متابعة الأحداث الرئيسة في السيرة العطرة، ولذا فنحن نترك هذا المجال للآخرين، مكتفين بالتعرض إلى ما يهم الباحث التعرض له ابتداء، من دون تركيز على الجزئيات والتفاصيل إلا بالمقدار الذي نراه لازماً ومقبولاً، فنقول:

غناء أهل المدينة، والنبي ﷺ يرقص بأكمامه:

ويذكرون: أن أهل المدينة ما فرحوا بشيء فرحهم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن عائشة:

لما وصل «صلى الله عليه وآله» المدينة صارت النساء والولائد يقلن:

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

فعدل ذات اليمين، حتى نزل بقباء[(١)].

وفي رواية: فجعل رسول الله يرقص بأكمامه[(٢)].

وبعد أن مكث في قباء أياماً، وتوجه إلى داخل المدينة، خرجت نساء من بني النجار بالدفوف يقلن:

نحن نساء من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال لهن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أتحببنني ،في رواية (أتحبوني)؟

قلن: نعم، يا رسول الله.

فقال: والله وأنا أحبكن، قالها ثلاثاً[(٣)].

قال الحلبي: «وهذا دليل واضح لسماع الغناء على الدف لغير العرس»[(٤)].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٤١ و ٣٤٢ عن الرياض النضرة، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٤، ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٢٣٣، ووفاء الوفاء للسمهودي ج١ ص٢٤٤ وج ٤ ص١١٧٢ و ١٢٦٢ وفتح الباري ج٧ ص٢٠٤.
(٢) نهج الحق الموجود في دلائل الصدق ج١ ص٣٨٩، ولم يعترض عليه فضل بن روزبهان، بل حاول توجيهه وتأويله.
(٣) وفاء الوفاء ج١ ص٢٦٣، وفتح الباري ج٧ ص٢٠٤، ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٢٣٤ و ٢٣٥، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٤١، والسيرة الحلبية ج٢ ص٦١ والبداية والنهاية ج٣ ص٢٠٠.
(٤) السيرة الحلبية ج٢ ص٦١.

واستدل ابن كثير برواية الصحيحين الآتية على جواز الغناء في الأعراس ولقدوم الغياب[١].

المناقشة:

ولكن ذلك لا يصح لما يلي:

١ـ ثنية الوداع من جهة الشام:

إن ثنيات الوداع ليست من جهة مكة بل من جهة الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام[٢].

وذكر السمهودي: أنه يوجد مسجد على يسار الداخل إلى المدينة المنورة من طريق الشام[٣].

بل هو يقول: «ولم أر لثنية الوداع ذكراً في سفر من الأسفار التي بجهة مكة»[٤].

والظاهر: أن مستند من جعلها من جهة مكة ما سبق من قول النسوة، وأن ذلك عند القدوم من الهجرة[٥].

ويدل على كون ثنية الوداع من جهة الشام، ما ورد في قدوم النبي

---

(١) البداية ونهاية ج١ ص٢٧٦.

(٢) زاد المعاد ج٣ ص١٠ وراجع: وفاء الوفاء للسمهودي ج٤ ص١١٧٠ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١٣٠.

(٣) وفاء الوفاء ج٣ ص٨٤٥.

(٤) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٧٢.

(٥) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٧٢.

«صلى الله عليه وآله» وخروجه من وإلى تبوك وحين قدم من خيبر، ومن الشام وإلى مؤتة، وغزوة العالية، والغابة، وكذا ما ورد عنه في حديث السباق في أمد الخيل المضمرة[1].

وحاول السمهودي تصحيح ما تقدم: بأنهم قد ذكروا أنه «صلى الله عليه وآله» قد مر بدور الأنصار، حين قدم المدينة من قباء، حتى مر بدور بني ساعدة وإنما هي في شامي المدينة، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية[2].

وهو كلام عجيب، فإن مروره في دور بني ساعدة لا يقتضي دخول المدينة من ناحيتهم، إذ يمكن أن يدخلها من جهة قباء، ثم تجول به ناقته في دور الأنصار، كما هو صريح ما ذكره، حتى تصل إلى دور بني ساعدة.

كما أن احتماله هذا يدفعه تصريحهم في رواية: طلع البدر علينا، بأنهم لاقوه بهذا الشعر، ثم عدل بهم ذات اليمين إلى قباء، كما تقدم، فإن هذا إنما يتناسب مع قدومه من مكة إلى المدينة، لا من قباء إلى المدينة، كما يقول السمهودي.

فالصحيح: هو أنهم قد لاقوه بهذا الشعر حينما قدم من تبوك لا من مكة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٢ وج٣ ص٨٥٧ و ٨٥٨ عن البخاري، وابن أبي شيبة، والطبراني في الأوسط، وأبي يعلى، وابن حبان، وابن إسحاق، وابن سعد والبيهقي الخ. وراجع حياة الصحابة ج١ ص٦٠٣ و ٢٠٧ والسنن الكبرى ج٩ ص١٧٥ و ٨٥.

(٢) راجع وفاء الوفاء ج٤ ص١١٧٠.

٢ـ استدلال عجيب:

إن استدلال الحلبي بتلك الرواية على تجويز الغناء عجيب وغريب؛ فإن الرواية لا تتضمن إلا أنهم قد أنشدوا الشعر لمقدمه، ولم يكن يصاحب ذلك شيء من المحرمات، بل لم تذكر الرواية: أنه كان هناك ترجيع أم لا.

وإنشاد الشعر ليس بحرام، ولهذا قال بعضهم: «وتعلق أرباب الغناء الفسقة به (أي برواية: طلع البدر) كتعلق من يستحل شرب الخمر المسكر قياساً على أكل العنب، وشرب العصير الذي لا يسكر، ونحو هذا من القياسات، التي تشبه قياس الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا»[1].

ولو سلم حرمة سماع صوت الأجنبية، فلا دليل على أن ذلك كان قد شرع حينئذٍ، فإن كثيراً من الأحكام كانت تشرع تدريجاً، كما قالوه في الخمر مثلاً.

كما أنه لا دليل على وجود من يحرم سماع صوته في المنشدين.

ولو سُلِّم، فلعل لم يكن بالإمكان منعهم في ظرف كهذا، أو لا يمكن تبليغهم الحكم الشرعي حينئذٍ؛ فسكوت النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم لعله لمصلحة اقتضت السكوت، ولا يدل ذلك على إمضائه لفعلهم ذاك.

٣ـ ترقيص الأكمام:

وأما ترقيص أكمامه «صلى الله عليه وآله»، فهو ينافي المروءة كما اعترف به فضل بن روزبهان[2].

ويقول العلامة المظفر «رحمه الله»: «إن هذا العمل سفه ظاهر، وخلاعة

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ج٣ ص١٧ و ١٨.

(٢) راجع: دلائل الصدق ج١ ص٣٩٠ و ٣٩٣ على الترتيب.

بينة، ومن أكبر النقص بالرئيس، وأعظم منافيات الحياء والمروءة في تلك الأوقات وأشد المباينات للرسالة لإرشاد الخلق بتهذيبهم عن السفه والنقائص، وتذكيرهم بمقربات الآخرة»[١].

هذا، مع غض النظر عن نواهيه «صلى الله عليه وآله» القاطعة عن كل لهو وغناء ورقص، وسنشير فيما يلي إلى بعض من ذلك إن شاء الله.

وبعد ما تقدم: فإننا نعرف ما في الاستدلال بالرواية الأخرى حول غناء نساء بني ساعدة، وضربهم بالدفوف حين استقباله.

ولا بأس بعرض كل ما استدلوا به على حلية الغناء والرقص، ثم مناقشته، ثم طرح القول الحق في المسألة مع بعض أدلته، فنقول:

أدلة حلية الغناء:

وقد استدل على حلية الغناء والرقص، بالإضافة إلى ما تقدم بـ :

١ ـ قول الحلبي: «عن أبي بشير: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مر وأبا بكر بالحبشة، وهم يلعبون، ويرقصون، ويقولون: يا أيها الضيف المعرج طارقاً.

إلى أن قال: ولم ينكر عليهم، وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص، حيث خلا عن التكسر؛ فقد صحت الأخبار، وتواترت الآثار بإنشاد الأشعار بين يديه «صلى الله عليه وآله»، بالأصوات الطيبة، مع الدف وبغيره، وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف، ولو فيه جلاجل»[٢].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٢.

٢ ـ عن بريدة: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بعض مغازيه؛ فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: إني كنت نذرت: إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا»، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر، وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت أستها، ثم قعدت عليها، فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، ثم دخل أبو بكر وهي تضرب الخ..»[1].

٣ ـ عن جابر، قال: دخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان يضرب بالدف عنده، فقعد ولم يزجر، لما رأى من رسول الله، فجاء عمر «رض» فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته كف عن ذلك.

فلما خرجا قالت عائشة: يا رسول الله، كان حلالاً فلما دخل عمر صار حراماً؟

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا عائشة، ليس كل الناس مرخى عليه[2].

---

(١) أسد الغابة ج٤ ص٦٤، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي ص٥٨، ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ و ٣٥٤ باختلاف ودلائل الصدق ج١ ص٣٩٠ و ٢٩١ عن الترمذي ج٢ ص٢٩٣ وصححه هو والبغوي في مصابيحه وليراجع: الغدير ج٨ ص٦٤ و ٦٥، والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٢ وسنن البيهقي ج١٠ ص٧٧ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١٣١.

(٢) نيل الأوطار ج ٨ ص٢٧١ ونوادر الأصول للحكيم الترمذي ص١٣٨، والغدير ج٨ ص٦٤ و ٦٥ عن مشكاة المصابيح ص٥٥ وبعض من تقدم.

٤ ـ روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن عائشة: دخل علي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ـ وعند مسلم: تغنيان وتضربان ـ فاضطجع على الفراش، وحول وجهه.

ودخل أبو بكر، فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فأقبل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: دعهما.

وفي رواية لمسلم: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد[1].

وزاد في بعض النصوص ـ كما في البخاري ـ وليستا بمغنيتين.

٥ ـ في رواية: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استدعى عائشة لترى حبشية ترقص، فجاءت فوضعت لحيها على منكب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعلت تنظر، فقال «صلى الله عليه وآله» لها: أما شبعت؟ أما شبعت؟ أما شبعت؟ وهي تقول: لا، لتنظر منزلتها عنده؛ إذ طلع عمر، فارفض الناس عنها؛ فقال «صلى الله عليه وآله»: إني لأنظر شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر[2].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١١١ ط الميمنية، وصحيح مسلم ج٣ ص٢٢ ط مشكول، والسيرة الحلبية ج٢ ص٦١ ـ ٦٢ وهامش إرشاد الساري ج٤ ص١٩٥ ـ ١٩٧ ودلائل الصدق ج١ ص٣٨٩ وسنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٤، واللمع لأبي نصر ص٢٧٤، والبداية والنهاية ج١ ص٢٧٦ والمدخل لابن الحاج ج٣ ص١٠٩ والمصنف ج١١ ص٤ وراجع تهذيب تاريخ دمشق ج٢ ص٤١٢.

(٢) دلائل الصدق ج١ ص٣٩٠، والتاج الجامع للأصول ج٣ ص٣١٤، والغدير ج٨ ص٦٥ عن صحيح الترمذي ج٢ ص٢٩٤، وصححه وعن مصابيح السنة ج٢ =

٦ ـ عن ابن عباس: إن أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» جلسوا سماطين، وجارية معها مزهر تغنيهم وتقول:

هــل عــلـي ويـحـكـم إن لـهـوت مـن حــرج

فتبسم «صلى الله عليه وآله» وقال: لا حرج إن شاء الله تعالى[1].

٧ ـ عن الربيع بنت معوذ: أنها لما زفت إليه «صلى الله عليه وآله» دخل عليها، وجلس، وجويريات يضربن بالدف، يندبن من قتل من آبائها في بدر، حتى قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال «صلى الله عليه وآله»: لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين[2].

٨ ـ في رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» كان جالساً وعنده جوار يغنين ويلعبن؛ فجاء عمر، فاستأذن؛ فأسكتهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قضى حاجته وخرج، فسألته عن هذا الذي كلما دخل قال «صلى الله عليه وآله»: اسكتن، وكلما خرج قال «صلى الله عليه وآله»: عدن إلى الغناء، فقال «صلى الله عليه وآله»: هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل[3].

٩ ـ في رواية: أن امرأة دخلت على عائشة، فقال «صلى الله عليه وآله»:

= ص٢٧١، وعن مشكاة المصابيح ص٥٥٠ وعن الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٨ وحياة الصحابة ج٢ ص٧٦٠ و ٧٦١ عن منتخب كنز العمال ج٤ ص٣٩٣ عن ابن عساكر وابن عدي، والمشكاة ص٢٧٢. عن الشيخين.

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٦١ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١٣١ و ١٣٢ عن العقد الفريد وغيره. وتهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص١٣٦.

(٢) البخاري بهامش فتح الباري ج٧ ص٢٤٤.

(٣) نهج الحق في ضمن دلائل الصدق ج١ ص٤٠٢ عن الغزالي.

يا عائشة أتعرفين هذه؟

قالت: لا يا نبي الله.

قال: هذه قينة بني فلان، تحبين أن تغنيك؟

قالت: نعم. فأعطاها طبقاً فغنتها.

فقال «صلى الله عليه وآله»: قد نفخ الشيطان في منخريها(١).

وعن ابن أبي أوفى: استأذن أبو بكر «رض» على النبي «صلى الله عليه وآله» وجارية تضرب بالدف فدخل، ثم استأذن عمر «رض» فدخل، ثم استأذن عثمان «رض» فأمسكت.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن عثمان رجل حيي(٢).

ويقول شاعر النيل ـ محمد حافظ إبراهيم ـ كما هو موجود في ديوانه، في مقام عده لفضائل الخليفة الثاني:

أخاف حتى الذراري في ملاعبها ... وراع حتى الغواني في ملاهيها

أرأيت تلك التي لله قد نذرت ... أنشودة لرسول الله تهديها

قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا ... من غزوة لعلى دفي أغنيها

ويممت حضرة الهادي وقد ملأت ... أنوار طلعته أرجاء واديها

واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجي بألحانها ما شاء مشجيها

والمصطفى وأبو بكر بجانبه ... لا ينكران عليها ما أغانيها

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص٤٤٩.

(٢) مسند أحمد ج٤ ص٣٥٣ و ٣٥٤.

حتى إذا لاح عن بعد لها عمر | خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها في ثوبها فرقاً | منه وودت كوَنَّ الأرض تطويها
قد كان علم رسول الله يؤنسها | فجاء بطش أبي حفص يخشيها
فقال مهبط وحي الله مبتسماً | وفي ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمراً | إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

كان ذلك هو عمدة ما استدل به القوم لحلية الغناء، ونحن نرى أنه كله لا يسمن ولا يغني من جوع ولتوضيح ذلك نقول:

نقض أدلة حلية الغناء:

وما دمنا بصدد الحديث عما في تلك الروايات من الوهن والضعف فإننا نرى لزاماً علينا أن نغض النظر عن التكلم في أسانيدها؛ فإن ذلك حديث يطول ولربما يتخيل البعض: أنه ليس لأحد الحق في الخدشة فيما في الصحاح، ولا سيما صحيحي البخاري ومسلم، وبعض ما تقدم موجود فيهما.

ونحن وإن كنا نعتقد أن هذا خيال باطل، وقد تكلم فيه العلماء وفندوه بما لا مزيد عليه[1].

إلا أننا ـ مع ذلك ـ نغض الطرف هنا عن البحث في الأسانيد، استجابة لرغبة هؤلاء، وتجاوباً مع عاطفتهم، ونعطف النظر إلى البحث في المضمون..

فنقول:

أولاً: إن نصوص بعض تلك الروايات متناقضة كثيراً، ولا سيما الرواية

---

(١) راجع أضواء على السنة المحمدية، والعتب الجميل، والغدير، وغير ذلك.

المتقدمة تحت رقم [٢] والرواية التي تحت رقم [٤] التي عن الصحيحين وغيرهما.

ثانياً: إن الكثير من هذه الروايات تدل على حرمة الغناء، لا على حليته؛ فمثلاً:

أ ـ قوله في الرواية رقم [٢]: «إن الشيطان ليخاف ـ أو ليفرق ـ منك يا عمر» يدل على الحرمة، إذ لو كان مباحاً ـ ولا سيما إذا كان وفاء للنذر ـ لم يصح منه «صلى الله عليه وآله» تهجين عملها، واعتباره من الشيطان.

ب ـ والرواية رقم [٣] تدل على ذلك بملاحظة اعتراض عائشة وجوابه «صلى الله عليه وآله» لها.

ج ـ في الرواية الرابعة اعتبر ذلك من مزامير الشيطان، ومعنى ذلك: أنه حرام ومرجوح، فيرد سؤال: لماذا يرتكب النبي «صلى الله عليه وآله» أمراً هذه صفته؟!.

أجاب ابن روزبهان: إنه فعله لضرورة التشريع.

ولكنه كلام لا يصح: إذ قد كان من الممكن الاكتفاء بالتشريع بالقول، فإنه أخف وأيسر.

وأيضاً لو صح ذلك لاقتضى أن يفعل ذلك أمام عامة الناس، لا أن يجلس في بيته وحده ويستمع.

ثم كيف يتصور حلية ما يعتبره العقلاء من مزامير الشيطان؟!.

د ـ وفي الرواية الخامسة: قال «صلى الله عليه وآله»: إني لأنظر شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر، فإذا كان ذلك مجمعاً للشياطين، فلا بد أن

يكون حراماً لا حلالاً.

ح ـ في الرواية الثامنة قال «صلى الله عليه وآله»: «هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل»، فما هو حلال أو مكروه لا يوصف بالباطل.

ط ـ في الرواية الأخيرة قال «صلى الله عليه وآله» عن المغنية: «قد نفخ الشيطان في منخريها»، وهو يدل على الحرمة أيضاً، حيث جعل الغناء من نفخ الشيطان، ولا ينفخ الشيطان ما هو حلال.

ثالثاً: لا بد أن نسأل: ما هذا الشيطان الذي يخاف أو يفرق من عمر، ولا يخاف من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

وكيف ينعقد النذر لشيء يكون فيه شيطان يفرق من عمر؟ مع أنه يشترط في النذر كون متعلقه طاعة وراجحاً، أو على الأقل أن لا يكون مرجوحاً، كما لا يخفى على من راجع أبواب النذر في كتب الحديث، كالبيهقي، والترمذي، وغير ذلك.

وكيف يؤثر النبي «صلى الله عليه وآله» سماع الباطل، ولا يؤثره عمر؟! وكيف أصبح عمر هنا أشد التزاماً من الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!.

وكيف تكون تلك القينة قد نفخ الشيطان في منخريها، ثم يعرض «صلى الله عليه وآله» على عائشة أن تسمع غناءها؟ وهل تصدر مثل هذه المتناقضات عن عاقل؟ فضلاً عن نبي معصوم؟!.

وكيف يتستر هذا النبي «صلى الله عليه وآله» في بعض أعماله عن البعض، ويعتبر أن اطلاعه عليه هتك للستر المرخى، وموجب للحط من كرامته وشأنه، ولا يتستر بها عن البعض الآخر؟!

ألا يدلنا ذلك: على أنها من الأعمال القبيحة، أو على الأقل غير اللائقة!!. وأبو بكر نراه يزجر عن الغناء في رواية، ولكنه لا يزجر عنه في رواية أخرى، بل عمر هو الذي يزجر!!.

رابعاً: كيف يدعو «صلى الله عليه وآله» عائشة لتنظر إلى لعب السودان بالدرق والحراب وخده على خدها، وهو يشجعهم بقوله: دونكم يا بني أرفدة؟![1]. أفلا ينافي ذلك ما هو معروف عنه «صلى الله عليه وآله» من الحياء؟ حتى لقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها كما ورد، وهل هذا يناسب من يعتبر الحياء من الإيمان، ومن كان ضحكه التبسم؟!.

وهل ينسجم مع منعه لزوجتيه من النظر إلى الأعمى، وقال لهما: أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟![2].

خامساً: ما هي المناسبة بين الضرب بالدف، وبين رثاء قتلى بدر؟ وهل إن سكوت النبي «صلى الله عليه وآله» عن هذا الأمر كما في الرواية الأولى ـ لو صحت ـ يدل على رضاه به؟! ولا سيما إذا كان الأمر مما يحتاج إلى التدرج في المنع.

ومن قال: إن هؤلاء الذين كانوا يفعلون ذلك كانوا يحترمون أوامره «صلى الله عليه وآله»؟ بل لم يثبت كونهم من المسلمين.

سادساً: وأخيراً، إن لدينا روايات كثيرة جداً صريحة في حرمة الغناء، وهي متواترة بلا ريب، ونحن نكتفي منها بذكر ما يلي:

---

(١) البخاري (ط الميمنية) ج١ ص١١١.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٦ ص٢٩٦، وطبقات ابن سعد ومصابيح البغوي (ط دار المعرفة) ج٢ ص٤٠٨ والجامع الصحيح ج٥ ص١٠٢ وسنن أبي داود ج٤ ص٦٣ و ٦٤.

أ ـ عنه «صلى الله عليه وآله»: ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر، والحرير، والمعازف[١].

ب ـ عن أنس مرفوعاً: صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما، صوت مزمار، ورنة شيطان عند نغمة مرح، ورنة عند مصيبة.

وفي لفظ عبد الرحمن بن عوف: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة الخ..

ومثل ذلك عن الحسن[٢].

ج ـ عن عمر بن الخطاب: ثمن القينة سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمنها من ثمن الكلب، وثمن الكلب سحت[٣].

د ـ الدف حرام، والمعازف حرام، والكوبة حرام، والمزمار حرام[٤].

---

(١) سنن البيهقي ج١٠ ص٢٢١ عن البخاري في الصحيح، والغديرج ١٨ ص٧٠ وعنه عن تفسير الآلوسي ج٢١ ص٧٦، وقال: أخرجه أحمد، وابن ماجة، وأبو نعيم، وأبو داود بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، وصححه جماعة آخرون.

(٢) راجع فيما تقدم: المصنف ج١١ ص٦ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٦٨، وتفسير الشوكاني ج٤ ص٢٣٦ والدر المنثور ج٥ ص١٦٠ والغدير ج ٨ ص٦٩ عنهم ما عدا الأول وعن: كنز العمال ج٧ ص٣٣٣، ونقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص٢٤٨، وتفسير القرطبي ج١٤ ص٥٣٠.

(٣) نيل الأوطار ج٨ ص٢٦٤، وإرشاد الساري ج٩ ص١٦٣ عن الطبراني والغدير ج٨ ص٦٩ و ٧٠ عنهما.

(٤) سنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٢.

هـ ـ عن ابن عباس، وأنس، وأبي أمامة، مرفوعاً: ليكونن في هذه الأمة خسف، وقذف، ومسخ، وذلك إذا شربوا الخمور، واتخذوا القينات، وضربوا بالمعازف[١].

و ـ عن أنس، وأبي أمامة مرفوعاً: بعثني الله رحمة للعالمين، وبعثني بمحق المعازف والمزامير، وأمر الجاهلية[٢].

ز ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: يمسخ قوم في آخر الزمان قردة وخنازير، فسألوه «صلى الله عليه وآله» عن سر ذلك، فقال: اتخذوا المعازف، والدفوف، والقينات، الخ.. وروى نحوه من طريق: عبد الرحمن بن سابط، والغازي بن ربيعة وصالح بن خالد، وأنس بن أبي أمامة، وعمران بن حصين[٣].

ح ـ أخرج الترمذي من حديث علي مرفوعاً: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء (فذكر منها): إذا اتخذت القينات والمعازف، ومثله عن أبي هريرة[٤].

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٣٢٤ والغدير ج٨ ص٧٠ عنه وعن تفسير الآلوسي ج٢١ ص٧٦ ورواه الطبراني، وأحمد وابن أبي الدنيا.

(٢) جامع بيان العلم ج١ ص١٥٣ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٦٢ والدر المنثور ج٢ ص٣٢٤ والغدير ج٨ ص٧٠ و ٧١ عنهم.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٣٢٤، واخرجه ابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبة، وابن عدي، والحاكم، والبيهقي، وأبو داود، وابن ماجة والمدخل ج٣ ص١٠٥ والغدير ج٨ ص٧١.

(٤) نيل الأوطار ج٨ ص٢٦٣ والمدخل ج٣ ص١٠٥ والغدير ج٨ ص٧١ عنه وعن: نقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص٢٤٩، وتفسير القرطبي ج١٤ ص٥٣.

ط ـ عن صفوان بن أمية: كنا عند النبي «صلى الله عليه وآله» إذ جاء عمر بن قرة، فقال: يا رسول الله، إن الله كتب علي شقوة، فلا أنال الرزق إلا من دفي بكفي؛ فأذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أي عدو الله، لقد رزقك الله طيباً؛ فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضرباً وجيعاً[1].

وعلق الحلبي على هذه الرواية بقوله: «إلا أن يقال: إن هذا النهي ـ إن صح ـ محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة، وهو مكروه تنزيهاً، وقوله: اخترت ما حرم الله عليك للمبالغة في التنفيرعن ذلك»[2].

ولكن قد فات الحلبي: أنه إذا كان اتخاذه حرفة مكروهاً تنزيهاً؛ فلماذا يتهدده بالضرب الوجيع؟!. ولماذا يعتبره عدواً لله تعالى؟!.

كما أن مقابلة ما حرم الله بالطيب دليل على أن المراد بما حرم الله هو الخبيث وهو المحرم بنص القرآن: قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**﴾»[3].

ي ـ عن أبي أمامة: لا تبيعوا القينات ولا تشروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي..**﴾.

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٣ عن ابن أبي شيبة.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٢.

(٣) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

وفي لفظ آخر: لا يحل تعليم المغنيات، ولا بيعهن، وأثمانهن حرام، وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية الخ..[١].

ك ـ وعن عائشة مرفوعاً: إن الله تعالى حرم القينة، وبيعها، وثمنها، وتعليمها، والاستماع إليها، ثم قرأ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾[٢].

ل ـ وسئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾، فقال: هو والله الغناء.

وفي لفظ: هو والله الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.

وعن جابر في الآية: هو الغناء والاستماع له.

وفسر الآية بالغناء كل من: ابن عباس، وابن عمر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وميمون بن مهران،

---

(١) نيل الأوطار ج٨ ص٢٦٣، وتفسير الشوكاني ج٤ ص٢٣٤، والدر المنثور ج٥ ص١٥٩، وتفسير ابن كثير ج٣ ص٤٤٢، وإرشاد الساري ج٩ ص١٦٣ والمدخل لابن الحاج ج٣ ص١٠٤ وتفسير الطبري ج٢١ ص٣٩ والغدير ج٨ ص٦٧ عنهم وعن: تفسير القرطبي ج١٤ ص٥١ ونقد العلم والعلماء ص٢٤٧، وتفسير الخازن ج٣ ص٣٦ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٦٨ والترمذي كتاب ١٢ باب ٥١، ونقلوا أن الحفاظ التالية أسماؤهم قد أخرجوه: سعيد بن منصور، وأحمد، وابن ماجة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن أبي شيبة، وابن مردويه، والطبراني، وابن أبي الدنيا.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٢٢٨ والغديرج ٨ ص٦٧ عنه وعن تفسير الآلوسي ج٢١ ص٦٨.

وقتادة، والنخعي، وعطاء، وعلي بن بذيمة، والحسن[١].

م ـ وفي قوله تعالى لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾[٢]، قال ابن عباس، ومجاهد: إنه الغناء، والمزامير واللهو[٣].

ن ـ وقد عد الحسن البصري سيئات يزيد فقال: إنه سكير خمير، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير[٤].

وكان من جملة ما نقمه أهل المدينة على يزيد: أنه يشرب الخمر، ويعزف

---

(١) راجع سنن البيهقي ج١٠ ص١٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٥ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤١١ وتفسير الطبري ج٢١ ص٣٩ و ٤٠ والمدخل لابن الحاج ج٣ ص١٠٤ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص٤٤١ وإرشاد الساري ج٩ ص١٦٣ والدر المنثور ج٥ ص١٥٩ و ١٦٠ وفتح القدير ج٤ ص٣٤، ونيل الأوطار ج٨ ص١٦٣ والغدير ج٨ ص٦٨ عمن تقدم وعن تفسير القرطبي ج١٤ ص٥١ ـ ٥٣ ونقد العلم والعلماء ص٢٤٦، وتفسير الخازن ج٣ ص٤٦ وبهامشه وتفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٦٧. وأخرجه ابن أبي الدنيا، وابن أبي شيبة وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والفريابي، وابن عساكر.

(٢) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

(٣) راجع: جامع البيان ج١٥ ص٨١ و (ط دار الفكر) ص١٤٧ وزاد المسير ج٥ ص٤٨ وتفسير القرطبي ج١٠ ص٢٨٨ وج١٤ ص٥١ والغدير ج٨ ص٦٩ وتفسير ابن كثير ج٣ ص٤٩ و (ط دار المعرفة) ص٥٣ أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٢٦٦ وتفسير السمعاني ج٣ ص٢٥٨ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٤٨٤ وتفسير الأندلسي ج٣ ص٤٧٠.

(٤) الغدير ج١٠ ص٢٢٥ عن تاريخ ابن عساكر ج٥ ص٤١٢ وتاريخ الطبري ج٦ ص١٥٧ وتاريخ ابن الأثير ج٤ ص٢٠٩ والبداية والنهاية ج٨ ص١٣٠ ومحاضرات الراغب ج٢ ص٢١٤ والنجوم الزاهرة ج١ ص١٤١.

بالطنابير، ويضرب عنده القيان[١].

س ـ وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾: سامدون: هو الغناء بلغة حِمْيَر[٢].

ع ـ عن جابر، عنه «صلى الله عليه وآله»: «كان إبليس أول من ناح، وأول من غنى»[٣].

ف ـ عن علي «عليه السلام»، عنه «صلى الله عليه وآله»: «كسب المغني والمغنية حرام، وكسب الزانية سحت، وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت»[٤].

ص ـ عن علي «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى عن ضرب الدف، ولعب الطبل، وصوت المزمار[٥].

وحسبنا ما ذكرناه هنا، ومن أراد المزيد، فليراجع المصادر المشار إليها في الهوامش[٦].

---

(١) الغدير ج١٠ ص٢٥٥ عن تاريخ الطبري ج٧ ص٤ والكامل لابن الأثير ج٤ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٨ ص١٢٦ وفتح الباري ج١٣ ص٥٩.

(٢) المدخل لابن الحاج ج٣ ص١٠٤ ـ ١٠٧.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) راجع: المدخل لابن الحاج ج٣ من ص٩٦ ـ ١١٥، وتفسير الطبري ج٢٨ ص٤٨ والزهد والرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص١٢ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٦٤ و ٢٦٣، وسنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٢، وفتح القدير ج٤ ص٢٢٨ =

أقوال العلماء في الغناء:

وقد ذكر في الغدير: أن إمام الحنفية قد حرم الغناء، وهو مذهب مشايخ أهل الكوفة: سفيان، وحماد، وإبراهيم، والشعبي وعكرمة.

ونهى مالك عن الغناء، واعتبره من العيوب التي ترد بها الجارية، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده.

ونقل التحريم عن جماعة من الحنابلة، وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: أنه سأل أباه عن الغناء، فقال: ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

= وج ٥ ص١١٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص٩٦ وج ٤ ص٢٦٠، والفائق للزمخشري ج١ ص٣٠٥، والدر المنثور ج٢ ص٣١٧ و ٣٢٤، وج ٥ ص١٥٩، والغدير ج٨ ص٦٤ فما بعدها عنهم وعن: القرطبي ج٧ ص١٢٢ وج ١٤ ص٥٣ و ٥٤، والكشاف ج٢ ص٢١١، وتفسير الآلوسي ج٧ ص٧٢ وج ٢١ ص٦٨، وإرشاد الساري ج٩ ص١٦٤، وبهجة النفوس لابن أبي حجرة ج٢ ص٧٤، وتاريخ البخاري ج٤ قسم ١ ص٢٣٤، ونقد العلم والعلماء ص٢٤٦ و ٢٤٨، ونهاية ابن الأثير ج٢ ص٩٥ وتفسير الخازن ج٣ ص٤٦٠ وج ٤ ص٢١٢ والنسفي بهامشه، ج٣ ص٤٦٠. وأخرجها سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وعبد الرزاق، والفريابي، وأبو عبيد، وابن أبي الدنيا، وابن مردويه، وأبو الشيخ، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي.. وأما قول ابن الزبير: ما أعلم رجلاً من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم، أو نحو ذلك المصنف ج١ ص٥ و ٦ وسنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٥، فإنما المقصود هو الترنم والتغني بإنشاد الشعر، وليس الغناء، كما ذكره ابن الحاج ج٣ ص٩٨ و ١٠٩.

وعن أصحاب الشافعي العارفين بمذهبه القول بتحريمه كالمزني وغيره، وأنكروا على من نسب إليه حلّه، كالقاضي أبي الطيب، وله في ذم الغناء والمنع عنه كتاب مصنف ولأبي بكر الطرطوشي كتاب في الغناء، وأيضاً حرمه الطبري، والشيخ أبو إسحاق في التنبيه، ونص على حرمته المحاسبي، والنحاس، والقفال ونهى عنه القاسم بن محمد، والضحاك، والوليد بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم.

ونقل ابن الصلاح إجماع أهل الحل والعقد من المسلمين على تحريمه.

وذكر الطبري إجماع أهل الأمصار على كراهته، والمنع عنه سوى إبراهيم بن سعد، و عبد الله العنبري[1].

الغناء عند أهل الكتاب:

وإذا كان الغناء أمراً غريباً عن الإسلام، فلا بد أن نتساءل من أين تسرب هذا الأمر إلى بعض المسلمين، حتى أصروا على حليته، وممارسته وحتى أصبح من شعار الصوفية، كما هو معلوم؟!

والجواب: أن ذلك قد تسرب إليهم من أهل الكتاب.

فقد قال ابن كثير: وهو يتحدث عن مريم أخت عمران التي كانت في زمان موسى: «وضربها بالدف في مثل هذا اليوم، الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد»[2] ثم

---

(١) ذلك كله في كتاب: الغدير ج٨ ص٧٢ ـ ٧٤ والمدخل لابن الحاج ـ ج٣ ص٩٦ ـ ١١٠، وفي هذا الأخير زيادات هامة لم نذكرها روماً للاختصار.

(٢) البداية والنهاية ج١ ص٢٧٦.

يحكم ابن كثير بالجواز في الأعياد وعند قدوم الغياب، تماماً على وفق ما استنبطه من رواية مريم!!.

سر الوضع والاختلاق:

ولربما يكون سر الإصرار على نسبة ذلك إلى نبي الأمة «صلى الله عليه وآله» وإلى الإسلام هو:

١ ـ أننا نجد: أن عائشة وعمر بن الخطاب كانا يحبان الغناء واللهو ويستمعان إليه.

أما بالنسبة لعائشة: «فقد روى البخاري وغيره: أنها كانت تشجع على ذلك، وتقول: «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو»[١].

كما وأنها قد أذنت لمغن (رجل!!) يغني لبعض الجواري اللواتي خفضن، وإن كانت قد عادت فأمرت بإخراجه[٢].

وبالنسبة للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد قال ابن منظور: «قد رخص عمر في غناء الأعراب»[٣].

واستأذنه خوات بن جبير بأن يغني، فأذن له؛ فغنى، فقال عمر: أحسن

---

(١) مصنف عبد الرزاق ج١٠ ص٤٦٥، وصحيح البخاري ط مشكول ج٩ ص٢٢٣ و ٢٧٠ وحياة الصحابة ج٢ ص٧٦١ عن المشكاة ص٢٧٢ عن الشيخين، ودلائل الصدق ج١ ص٣٩٣.

(٢) سنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٤.

(٣) لسان العرب ج١٥ ص١٣٧ مادة: غنا.

خوات، أحسن خوات[1].

وسمع رباح بن المغترف يغني، فسأل عن ذلك، فأخبروه، فقال: فإن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب، وقريب من ذلك جرى له مع خوات أيضاً[2].

وعن العلاء بن زياد: أن عمر كان في مسيره؛ فتغنى، فقال: هلا زجرتموني إذ لغوت؟![3].

وقد عده الشوكاني والعيني: أنه ممن أباح الغناء هو وعثمان[4].

وقد استعاد غناء زيد بن سلم، وعاصم بن عمر، وأبدى رأيه فيه، كما ذكره ابن قتيبة فراجع[5].

فلعل جعل الإنكار على الجواري اللواتي كن يغنين في بيت الرسول «صلى الله عليه وآله» من قبل عمر بالذات في أكثر المرويات السابقة ـ لعله ـ يهدف إلى التشكيك في هذا الذي شاع عنه، أو للتخفيف من قبح نسبته إليه،

---

(١) الغدير ج٨ ص٧٩ عن كنز العمال ج٧ ص٣٣٥.

(٢) نسب قريش لمصعب ص٤٤٨ وسنن البيهقي ج١٠ ص٢٢٤ والإصابة ج٢ ص٢٠٩ والغدير ج٨ ص٧٩ عن البيهقي، وعن الإستيعاب ج١ ص٨٦، و ١٧٠ وعن الإصابة ج١ ص٥٠٢ و ٤٥٧ وج ٨ ص٢٠٩ وعن كنز العمال ج٧ ص٣٣٥، وتاريخ ابن عساكر ج٧ ص٣٥.

(٣) الغدير ج٨ ص٨٠ عن كنز العمال ج٧ ص٣٣٥.

(٤) نيل الأوطار ج٨ ص٢٦٦، والغديرج ٧ ص٧٨ عنه وعن عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج٥ ص١٦٠.

(٥) عيون الأخبار ج١ ص٣٢٢.

حين يرى الناس أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نفسه يستمع الغناء، ويجعل مزامير الشيطان في بيته، ويؤثر سماع الباطل!! فلا غضاضة بعد على غيره إن هو فعل شيئاً من ذلك.

٢ ـ إن أكثر تلك المنقولات التي تريد إثبات حلّية الغناء تحاول التأكيد على دور عائشة، حتى إنها وهي تنظر إلى الحبشة كان «صلى الله عليه وآله» يقول لها: أما شبعت؟

فتقول: لا؛ لتنظر منزلتها عنده، وذلك يوحي لنا بأن ثمة يداً تحاول إثبات فضيلة لأم المؤمنين، والإشارة إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان يراعيها ويحبها.

ثم إن في الروايات إشارات واضحة إلى الاهتمام بإثبات فضائل لعمر، وأبي بكر، وعثمان، وإثبات مدى تمسكهم بالدين، ومحاماتهم عنه، حتى وإن كان ذلك عن طريق النيل من كرامة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، والطعن في نزاهته وعصمته!!.

٣ ـ إننا لا نريد أن نبرئ أيضاً يد الأمويين والعباسيين من عملية الدس، والوضع والاختلاق على النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، فقد كان ثمة من يهتم بإضفاء صفة الشرعية والقداسة على كل فعل من أفعالهم.

ويوضح ذلك: قصة المهدي مع غياث بن إبراهيم، حينما دخل عليه فوجده يلعب بالحمام، فروى له حديث:

لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر، وزاد فيه كلمة: «أو جناح»، إرضاء لرغبة المهدي، فأمر له المهدي ببدرة، فلما خرج قال المهدي: أشهد

أن قفاك قفا كذاب[1].

ولا زلنا نقرأ في كتب التاريخ والأدب العجائب والغرائب حول اهتمام خلفاء بني أمية وبني العباس في أمر الغناء واللهو.

وكانوا يعطون المغنين أعظم الجوائز، بالعشرات وبمئات الألوف[2] حتى لقد قال إسحاق الموصلي شيخ المغنين: «لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة»[3].

نزول رسول الله ﷺ في قباء:

ويقول أهل الحديث والتاريخ: إنه بعد أن استقبل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك الاستقبال الحافل عدل إلى قباء، ونزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم.

وفي ذلك اليوم أصر عليه أبو بكر ليدخل المدينة، فرفض وأخبره: أنه لا يريم حتى يقدم عليه ابن عمه، وأخوه في الله، وأحب أهل بيته إليه، الذي وقاه بنفسه، على حد تعبيره «صلى الله عليه وآله».

---

(١) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري ص٤٦٩، واللآلي المصنوعة ج٢ ص٤٧٠، وراجع: الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٤٢، ولسان الميزان ج٤ ص٤٢٢، وميزان الإعتدال ج٣ ص٣٣٨ والمجروحون ج١ ص٦٦ وتاريخ الخلفاء ص٢٧٥ والمنار المنيف ص١٠٧.

(٢) راجع: ربيع الأبرار ج١ ص٦٧٥ ففيه أن الرشيد اعطى ابراهيم الموصلي مئة ألف لإحسانه في الغناء، وحسبك بعض ما أورده أبو الفرج في كتابه: الأغاني فراجعه.

(٣) راجع كتاب: حياة الإمام الرضا السياسية «عليه السلام» (للمؤلف) ص١١٨ عن الأغاني (ط دار الكتب بالقاهرة) ج٥ ص١٦٣.

فغضب أبو بكر، واشمأز، وفارق النبي «صلى الله عليه وآله»، ودخل المدينة في تلك الليلة، وبقي «صلى الله عليه وآله» ينتظر أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى وافاه بالفواطم، وأم أيمن[١] في النصف من ربيع الأول[٢]. ونزل مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» على كلثوم بن الهدم[٣].

ويرى البعض: أن الذي قدم بالعيال هو زيد بن حارثة وأبو رافع، ورفع الحلبي التنافي باحتمال أن يكون الكتاب الذي أرسله إلى علي «عليه السلام» حين كان «صلى الله عليه وآله» في قباء كان معهما، ثم رافقا علياً في الطريق، وعادا معه[٤].

فنسب البعض المجيء بالعيال إليهما، وتجاهل دور أمير المؤمنين «عليه السلام» الرائد، وموقفه في الدفاع عنهما لحاجة في نفسه قضاها.

تأسيس مسجد قباء:

وخلال إقامته «صلى الله عليه وآله» في قباء أسس مسجد قباء المعروف، ويبدو أن صاحب الفكرة، والمباشر أولاً في وضع المسجد هو عمار بن ياسر[٥].

---

(١) راجع فيما ذكرناه كتاب: البحار ج١٩ ص١٠٦ و ١١٥ و ١١٦ و ٧٥ و ٧٦ و ٦٤ عن روضة الكافي ص٣٤٠، وإعلام الورى ص٦٦ والخرائج والجرائح، وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ص٣٥ وأمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٨٣.

(٢) راجع إمتاع الأسماع ص٤٨.

(٣) راجع البحار ج١٩ والبداية والنهاية ج٣ ص١٩٧.

(٤) السيرة الحلبية ج٢ ص٥٣.

(٥) وفاء الوفاء ج١ ص٢٥٠، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٥. عن ابن هشام وغير ذلك.

ومسجد قباء هو المسجد الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ..﴾[1].

ولسوف نتحدث عن ذلك في غزوة تبوك، إن شاء الله تعالى.

أحجار الخلافة:

وتذكر هنا: رواية «أحجار الخلافة» المكذوبة، ويذكرونها أيضاً حين تأسيس مسجد المدينة، ولذا فنحن نرجئ الحديث عنها إلى هناك.

أول مسجد في الإسلام:

ومسجد قباء هو أول مسجد بني في الإسلام، كما صرح به ابن الجوزي وغيره[2].

وقد تقدم حين الكلام على هجرة أبي بكر إلى الحبشة، وإرجاع ابن الدغنة له، عدم صحة قولهم: إن أبا بكر هو أول من بنى مسجداً في الإسلام، فراجع.

ويبدو أن بعض النساء قد شاركن في بناء مسجد قباء؛ فعن ابن أبي أوفى لما توفيت امرأته جعل يقول: احملوها وارغبوا في حملها، فإنها كانت تحمل ـ ومواليها ـ بالليل حجارة المسجد الذي أسس على التقوى، وكنا نحمل بالنهار حجرين حجرين[3].

---

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

(٢) وفاء الوفاء ج١ ص٢٥٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٥ وراجع: التراتيب الإدارية ج٢ ص٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ج٢ ص١٠ عن البزار، وحياة الصحابة ج٣ ص١١٢ عنه.

وبعد.. فإن الظاهر: هو أن تأسيس مسجد قباء كان بعد قدوم أمير المؤمنين «عليه السلام»؛ إذ قد ورد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر أبا بكر بأن يركب الناقة، ويسير بها ليخط المسجد على ما تدور عليه؛ فلم تنبعث به، فأمر عمر فكذلك، فأمر علياً «عليه السلام»، فانبعثت به؛ ودارت به، فأسس المسجد على حسب ما دارت عليه، وقال «صلى الله عليه وآله»: إنها مأمورة[1].

صلاة الجمعة في قباء:

ويذكرون هنا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى الجمعة في قباء، أو في طريقه منها إلى المدينة[2].

بل لقد قال بعضهم: «إن الجمعة قد فرضت في مكة، لكنهم لم يقيموها لعدم تمكنهم من ذلك»[3].

ولعل إلى هذا ينظر ابن غرس، حيث يقول: «إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط»[4].

بل ربما يشك في ذلك في المدينة أيضاً، في هذا الوقت المبكر على اعتبار: أن سورة الجمعة قد نزلت بعد الهجرة بسنوات، بل هي من أواخر ما نزل

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص٢٥١، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٣٨ وراجع تاريخ جرجان ١٤٤ لكن في العبارة سقط.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٥٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٦٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٩ و ١٢ و ٥٩.

(٤) الإتقان ج١ ص٣٧، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٩.

من القرآن[١].

لكن من المعلوم: أن سورة الجمعة إنما تتحدث عن لزوم السعي إلى الجمعة التي تقام، وليست ناظرة إلى أصل تشريع صلاة الجمعة، فلعلها كانت مشروعة قبل ذلك، وكانت تقام، لكن بعض المسلمين كان يتهاون بالسعي إليها فنزلت آيات سورة الجمعة لأجل ذلك.

ولعل هؤلاء المتهاونين هم الذين هددهم النبي «صلى الله عليه وآله» بإحراق بيوتهم إن استمروا على مقاطعة صلاة الجمعة[٢] فراجع كتب الحديث والتاريخ.

وأما الإشكال على ذلك بأن إقامتها في قباء معناه أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلاها في السفر.

فهو في غير محله، إذ من الممكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد نوى الإقامة في قباء إلى حين قدوم الإمام علي «عليه السلام» بالفواطم مع علمه بأن ذلك سيمتد إلى أكثر من عشرة أيام وقد ذكروا أنه «صلى الله عليه وآله» قد أقام في قباء خمسة عشر يوماً[٣].

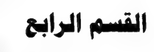
كما أن من الممكن أن تكون قباء في ذلك الزمان في محيط المدينة بحيث تعد من محلاتها، ومن وصل إليها فكأنه وصل إلى المدينة، ولا يعد مسافراً بعد. وقد تقدم بعض الكلام عن صلاة الجمعة في فصل بيعة العقبة، فراجع.

---

(١) الإتقان ج١ ص١٣ و ١١.

(٢) سيأتي ذلك مع مصادره في غزوة بني النضير، في فصل: القرار والحصار.

(٣) البحار ج١٩ ص١٠٦ عن إعلام الورى والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٥ عن البخاري وراجع ص٥٩ وعن مسلم: أنه أقام أربعة عشر يوماً وقيل غير ذلك.



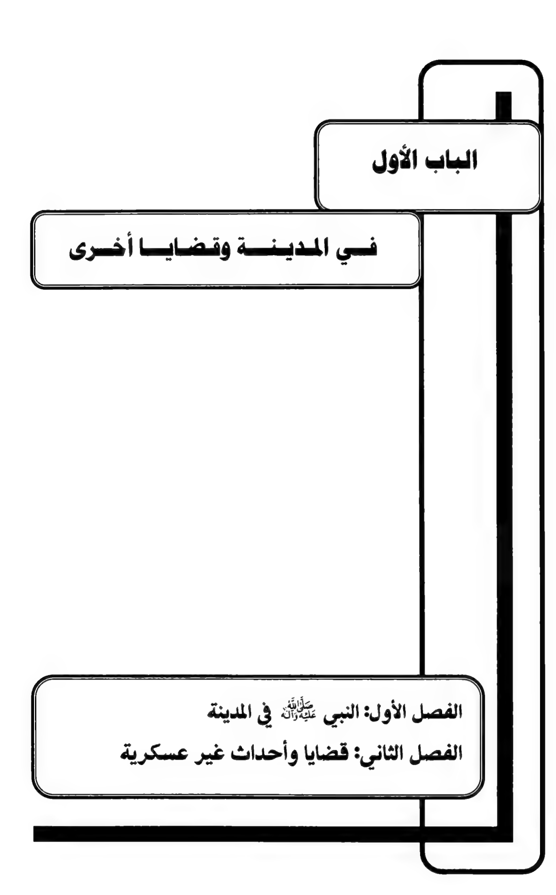
من الهجرة إلى بدر

الباب الأول: في المدينة وقضايا أخرى
الباب الثاني: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة
الباب الثالث: تشريعات وأحكام

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]



الباب الأول

في المدينة وقضايا أخرى

الفصل الأول: النبي ﷺ في المدينة

الفصل الثاني: قضايا وأحداث غير عسكرية

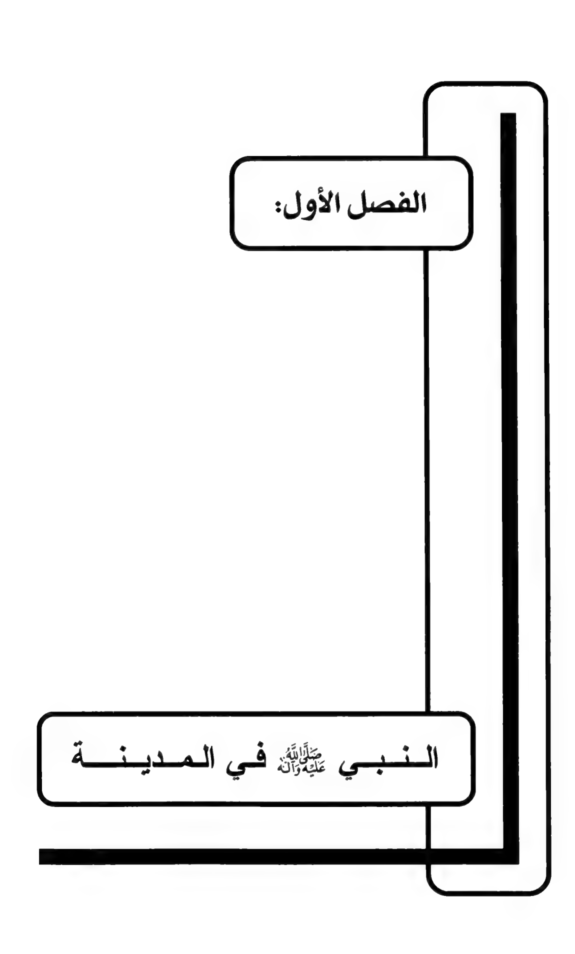
[illegible]

[illegible]

[illegible]

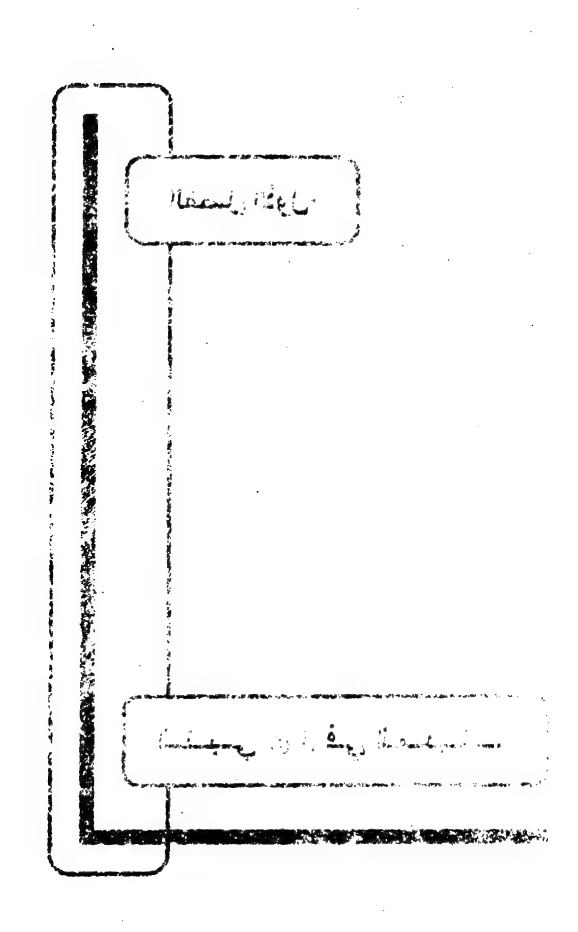
[illegible]

[illegible]



الفصل الأول:

النبي ﷺ في المدينة



ورود النبي صلى الله عليه وآله المدينة:

بعد خمسة عشر يوماً[1] من إقامته «صلى الله عليه وآله» في قباء، تحرك إلى داخل المدينة.

وقد اختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لخروجه «صلى الله عليه وآله» من مكة ودخوله قباء ثم المدينة اختلافاً كثيراً، مع اتفاقهم على أنه قد دخلها في أوائل ربيع الأول[2].

وقد حقق العلامة المجلسي: أن هجرته «صلى الله عليه وآله» كانت في يوم الإثنين، أول ربيع الأول، ووروده المدينة في يوم الجمعة الثاني عشر منه، كما ذهب إليه المفيد، وادَّعى البعض الإجماع عليه[3].

وتقول رواية: إنه «صلى الله عليه وآله» وصل قبل بزوغ الشمس، وكان هو وأبو بكر يلبسان ثياباً بيضاً متشابهة، فكان يشتبه الأمر على

---

(١) البحار ج١٩ ص١٠٦ عن إعلام الورى، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٥ عن البخاري، وعن مسلم: أنه أقام ١٤ يوماً، وقيل غير ذلك.

(٢) راجع: البحار ج٥٨ ص٣٦٦، والمواهب اللدنية ج١ ص٦٧، وتاريخ الخميس ج١ ص٣٣٧.

(٣) راجع أدلته في البحار ج٨ ص٣٦٦ و ٣٦٧.

الناس، فيسلمون على أبي بكر، يظنونه النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى بزغت الشمس، وأصابت النبي «صلى الله عليه وآله»، فظلل عليه أبو بكر، فعرفه الناس حينئذٍ[1].

ولكن هذه الرواية غير صحيحة قطعاً، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصل إلى المدينة في حر الظهيرة، كما نص عليه المؤرخون[2].

ولو قلت: لعل المراد أنه وصلها في طريقه من مكة، حيث عدل إلى قباء، حين الظهيرة، فإن الجواب هو:

١ ـ إنه قد تقدم: أن أهل المدينة كانوا يأتون كل يوم أفواجاً إلى قباء، فيسلمون عليه «صلى الله عليه وآله»، وذلك يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد كان معروفاً عند أهل المدينة قبل قدومه إليها، فكيف يدعى: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يشتبه على الناس بأبي بكر حتى ظلل أبو بكر عليه؟!

ومع غض النظر عن ذلك، فإن شخصية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تدل عليه، وكانت تختلف كثيراً عن شخصية أبي بكر، وقد وصفته أم

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٧. وثمة ما يشير إلى ذلك في المصادر التالية: السيرة الحلبية ج٢ ص٥٢، دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٤٩٨ و ٤٩٩، البداية والنهاية ج٣ ص١٨٦ وراجع السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٧.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٦ و ٣٣٧، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٧، وصحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ. ج٢ ص٢١٣، والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٢.

معبد لزوجها حتى عرفه[١]. وتقدمت صفة أبي بكر على لسان ابنته عائشة.

٢ ـ ثم إنه قد تقدم القول بأنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى الجمعة، وهو في طريقه إلى المدينة[٢].

وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» قدمها بعد الظهر بقليل، فإن المسافة بين قباء والمدينة ليست كبيرة، كما هو معلوم.

٣ ـ أضف إلى كل ما تقدم: أنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» أكبر من أبي بكر بسنتين، فما معنى قولهم لأبي بكر: من هذا الغلام بين يديك؟![٣] وهل يقال لمن بلغ ثلاثاً وخمسين سنة: إنه غلام؟!

إلا أن يجاب عن هذا: بأن الغلام قد يطلق على الكبير كما على الصغير على حد سواء.

ولكن يبقى سؤال: أنهم كانوا على علم بهجرته «صلى الله عليه وآله» فما معنى سؤال أبي بكر عنه، وقد تقدم أن المئات منهم قد خرجوا يستقبلونه؟

منزل النبي ﷺ في المدينة:

وفي يوم الجمعة ركب «صلى الله عليه وآله» راحلته، وتوجه إلى المدينة،

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٤ و ٣٣٥، السيرة الحلبية ج٢ ص٤٩ ـ ٥٥، دلائل النبوة ج ١ ص٢٧٩.

(٢) المواهب اللدنية ج١ ص٦٧، سيرة ابن هشام ج٢ ص١٣٩، تاريخ الخميس ج١ ص٣٣٩ والبحار ج٨ ص٣٦٧، ودلائل النبوة ج٢ ص٥٠٠.

(٣) الغدير ج٧ ص٢٥٨، عن مصادر كثيرة، السيرة الحلبية ج٢ ص٤١، مسند أحمد ج٣ ص٢٨٧.

وعلي «عليه السلام» معه لا يفارقه، يمشي بمشيه، ولا يمر ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول: خلوا سبيل الناقة، فإنها مأمورة.

فانطلقت به، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» واضع لها زمامها، حتى انتهت إلى موضع مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، فوقفت هناك، وبركت، ووضعت جرانها على الأرض، وذلك بالقرب من باب أبي أيوب الأنصاري، أفقر رجل بالمدينة[1].

فأدخل أبو أيوب ـ أو أمه ـ الرحل إلى منزلهم، ونزل «صلى الله عليه وآله» عنده، وعلي «عليه السلام» معه، حتى بنى مسجده ومنازله[2].

فقيل: مكث عند أبي أيوب سنة تقريباً.

وقيل: سبعة أشهر، وقيل: شهراً واحداً[3].

ونحن نستقرب هذا الأخير، إذ يبعد أن يستمر العمل في المسجد طيلة هذه المدة والأنصار والمهاجرون يعملون في البناء بجد واجتهاد، وهو «صلى الله عليه وآله» يعمل معهم.

أما سائر المهاجرين، فقد تنافس فيهم الأنصار، حتى افترقوا عليهم بالسهمان[4].

---

(١) البحار ج١٩ ص١٢١، وراجع: مناقب ابن شهرآشوب ج١ ص١٨٥.

(٢) روضة الكافي ص٣٣٩ و ٣٤٠، والبحار ج١٩ ص١١٦ عنه.

(٣) البدء والتاريخ ج٤ ص١٧٨، ووفاء الوفاء ج١ ص٢٦٥، والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٤.

(٤) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٤.

ابن سلام والإسلام:

ويقول المؤرخون وأهل الحديث من غير مدرسة أهل البيت «عليهم السلام»: إن عبد الله بن سلام اليهودي لما سمع الضجة، حين قدوم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة، أسرع إليه، فلما رآه وسمع كلامه، عرف أن وجهه ليس بوجه كذاب[1].

ويقولون أيضاً: إنه سأله حينئذٍ ثلاث مسائل لا يعلمها إلا نبي، فأجابه «صلى الله عليه وآله» عنها، فأسلم، ثم طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسأل اليهود عنه قبل أن يعلموا بإسلامه، فسألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فلما علموا بإسلامه، قالوا: شرنا وابن شرنا[2].

ويقولون أيضاً: إن عبد الله بن سلام هذا هو الذي أنزل الله تعالى فيه: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهَ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ..﴾**[3].

---

(١) الإصابة ج٢ ص٣٢٠ عن أحمد وأصحاب السنن والإستيعاب بهامشها ج٢ ص٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣ وتلخيصه للذهبي نفس الصفحة.

(٢) البخاري هامش الفتح ج٧ ص٢١٢ و ٢١٣ برواية ابن سلام نفسه، والإصابة ج٢ ص٣٢١، والإستيعاب بهامشها ج٢ ص٣٨٢.

(٣) الآية١٠ من سورة الإحقاف، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص١٧٦ صحيح البخاري هامش الفتح ج٧ ص٩٧ والإستيعاب هامش الإصابة ج٢ ص٣٨٣ عن بعض المفسرين، والدر المنثورج٤ ص٦٩ عن: أبي يعلى، وابن جرير، والحاكم، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والترمذي، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن عساكر.

ونزل فيه أيضاً: ﴿قُلْ كَفَى بِالله شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[١].

إلى غير ذلك مما يقولونه في هذا الرجل مما لا مجال لذكره هنا.

ونحن نسجل هنا النقاط التالية:

أولاً: إنه عدا عن التناقض الظاهر في الروايات التي تتحدث عن كيفية إسلام ابن سلام، كما لا يخفى على من راجعها، فإننا نجد البعض يقول: إنه قد «تأخر إسلامه إلى سنة ثمان، قال قيس بن الربيع، عن عاصم، عن الشعبي، قال: أسلم عبد الله بن سلام قبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بعامين»[٢].

وقد ضعف العسقلاني هذه الرواية سنداً بقيس بن الربيع، وغلطها[٣].

ولكننا نقدر: أن مستنده في ذلك هو الروايات المتقدمة الدالة على أنه أسلم أول الهجرة.

ونحن لا نستطيع قبول ذلك منه، فإن الشعبي أقرب عهداً من العسقلاني، وقد عين لنا سنة إسلامه بشكل يدل على أنه لا يرسل الكلام على عواهنه.

---

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد، الإصابة ج٢ ص٣٢١، والإستيعاب بهامشه ج٢ ص٣٨٣، والدر المنثور ج٤ ص٦٩ عن: ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وابن المنذر.

(٢) الإصابة ج٢ ص٣٢٠.

(٣) الإصابة ج٢ ص٣٢٠ وفتح الباري ج٧ ص٩٧.

ثم إنه لو كانت لابن سلام كل تلك العظمة التي أشارت إليها روايات إسلامه وغيرها، فلماذا لم نسمع عنه في تلك السنين الطويلة منذ الهجرة، وإلى سنة ثمان أي قول أو رأي، أو موقف!! مع أن التاريخ قد ذكر لنا كثيراً من مواقف صغار الصحابة ممن أسلم عام الفتح، بل وحتى الذين لم يروا النبي «صلى الله عليه وآله» إلا في طفولتهم، فكيف سكت عن هذا الرجل الخطير!! برأيهم؟!.

أما تضعيف العسقلاني لقيس بن الربيع، فهو في غير محله، فإنه هو نفسه قد نقل توثيقه من قبل: عفان بن قيس، والثوري، وشعبة، وأبي الوليد، وابن عدي، وأثنى عليه يعقوب وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو حاتم، وشريك، وابن حبان، والعجلي، وأبو حصين، ويحيى بن سعيد، ومعاذ بن معاذ، وابن عيينة، وأبو نعيم وغيرهم[١].

ولكن سر الطعن عليه من العسقلاني، أو من غيره، هو ما أشار إليه أحمد، حيث قال: «كان يتشيع، ويخطئ في الحديث»[٢].

رغم أنهم يذكرون: أن عامة رواياته مستقيمة[٣] والذي يذكر هذا الطعن عليه بالتشيع هو أحمد بن حنبل، وليس ذلك غريباً عنه، فإنه عاش في زمن المتوكل الناصبي، الذي فعل بابن السكيت ما فعل، حيث أمر بأن يسل لسانه من قفاه، ففعل به ذلك فمات، لأنه لم يرض بتفضيل ولديه على

---

(١) تهذيب التهذيب ج٨ ص٣٩٢ ـ ٣٩٥.

(٢) تهذيب التهذيب ج٢ ص٣٩٤.

(٣) تهذيب التهذب ترجمة قيس ج٨.

الحسنين «عليهما السلام»[1].

كما أنه قد أمر المغنين بأن يغنوا نكاية بولده المنتصر، الذي لم يرض بتنقصه لأمير المؤمنين علي «عليه السلام»:

غـــار الــفـــتـــى لابـــن عمـــه　　　　رأس الــفـــتـــى في حـــرّ أمه[2]

وقد ضرب رجلاً ألف سوط، لأنه روى رواية واحدة في فضل علي «عليه السلام».

وهو الذي حرث قبر الحسين «عليه السلام» ومنع الناس من الوفود إلى زيارته[3].

نعم، هذه هي بعض أفاعيل المتوكل، وقد كان لأحمد بن حنبل عند المتوكل هذا منزلة عظيمة، حتى إنه يدفع إليه ولده المعتز وسائر أولاده وولاة عهده ليقوم على تعليمهم[4].

قال ابن كثير: «وكان لا يولي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد»[5].

فبماذا استحق أحمد عند هذا الرجل الطاغية هذه المنزلة العظمى يا

---

(١) الكنى والألقاب ج١ ص٣١٤ و ٣١٥ وراجع: وفيات الأعيان ج٦ ص٣٩٥ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤٠١ وتاريخ الخلفاء ص٣٤٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ج٧ ص٥٥.

(٣) الكامل لابن الأثير ج٧ ص٥٥.

(٤) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص٣٨٥ و ٣٦٤، وأحمد بن حنبل والمحنة ص١٩٠، وحلية الأولياء ج٩ ص٢٠٩.

(٥) البداية والنهاية ج١٠ ص٣١٦.

ترى؟ أما نصب الحنابلة فهو موضوع آخر لا مجال للتعرض له هنا[١].

وثانياً: بالنسبة لآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، نشير إلى ما يلي:

أ ـ لقد روي: أن هذه الآية قد نزلت في ميمون بن بنيامين، في قصة شبيهة بالقصة المنقولة عن ابن سلام تقريباً[٢].

وروي عن الزهري، ومجاهد، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وعمر، وقتادة خلاف ذلك أيضاً، فراجع[٣].

ب ـ لقد ورد عن الشعبي، أنه قال: ما نزل في عبد الله أي ابن سلام شيء من القرآن[٤].

ج ـ قال عكرمة: «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله: ليس بعبد الله بن سلام، هذه الآية مكية.

فيقول: من آمن من بني إسرائيل، فهو كمن آمن بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وأقسم مسروق على مثل ما جاء عن عكرمة.

وكذلك قال الشعبي أيضاً.

---

(١) للاطلاع على شطر من ذلك راجع كتاب: بحوث مع أهل السنة والسلفية.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٤٠ عن عبد بن حميد، وفتح الباري ج٧ ص٩٨، والإصابة ج٣ ص٤٧١.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٦٩ عن مصادر كثيرة، وراجع: مشكل الآثار ج١ ص١٣٧.

(٤) مشكل الآثار ج١ ص١٣٧، وفيه أن سعيد بن جبير قد وافق الشعبي في نفي نزول الآية في ابن سلام، والدر المنثور ج٤ ص٦٩، وج٦ ص٣٩/ ٤٠ عن ابن المنذر، ودلائل الصدق ج٢ ص١٣٥ عنه، والميزان ج١١ ص٣٨٩.

وأنكر ذلك أيضاً أبو عمر استناداً إلى نفس حجة عكرمة[1].

وجعل هذه الآية مدنية استناداً إلى رواية ابن سلام ليس له ما يبرره، بعد إنكار هؤلاء الذين هم أقرب إلى زمن النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك وبعدما تقدم عن الشعبي وغيره.

د ـ إن ظاهر الآية هو أنها خطاب للمشركين الذين استكبروا، مع كون بعض بني إسرائيل الذين يعتمدون على أقوالهم، قد آمن، ولا يناسب أن تكون خطاباً لليهود، لأنهم هم أيضاً من بني إسرائيل، إذ كان الأنسب أن يقول لهم: «منكم».

وهذا يؤيد ما تقدم عن عكرمة، والشعبي، ومسروق، وغيرهم.

هـ ـ لقد صرح الطحاوي بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح بنزولها في ابن سلام، وإنما مالك هو الذي استنبط ذلك[2].

وثالثاً: بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، نقول:

أ ـ قد تقدم أنه قد روي عن الزهري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن عمر، وقتادة، وعمر ما يخالف هذا القول، الذي لم يرد إلا عن جندب، وكذا عن ابن عباس ومجاهد في إحدى الروايتين عنهما.

ب ـ قد تقدم عن الشعبي: أنه لم ينزل في ابن سلام شيء من القرآن.

ج ـ قد أنكر ذلك أيضاً كل من عكرمة، والحسن، والشعبي، ومحمد بن

---

(١) الإستيعاب (هامش الإصابة) ج٢ ص٣٨٣، وفتح الباري ج٧ ص٩٨، والدر المنثور ج٦ ص٣٩ عن ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢) مشكل الآثار ج١ ص١٣٩.

سيرين، وسعيد بن جبير، استناداً إلى أن السورة مكية، وإسلام ابن سلام كان بعد[١].

د ـ إنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم بعد نزول هذه الآية؛ لأنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله» يقرؤها مع آيات أخر في صلاته، فانتظر عمر حتى سلم، فأسرع في أثره وأسلم[٢]. وإنما أسلم عمر في مكة كما هو معلوم.

هـ ـ هناك روايات متواترة تنص على أن المقصود بـ ﴿مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وأنه هو العالم بالتفسير والتأويل، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام.

وهذه الروايات مروية عن أبي سعيد الخدري، وابن عباس، ومحمد بن الحنفية، والإمام محمد الباقر «عليه السلام»، والسدي، وزيد بن علي رحمه الله، والإمام موسى بن جعفر «عليه السلام»، وأبي صالح[٣].

---

(١) مشكل الآثار ج١ ص١٣٧ و ١٣٨، والإستيعاب هامش الإصابة ج٢ ص٣٨٣، والدر المنثور ج٤ ص٦٩ عن النحاس في ناسخه، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ودلائل الصدق ج٢ ص١٣٥ عن الدر المنثور، وغرائب القرآن للنيسابوري ج١٣ ص١٠٠ (مطبوع بهامش جامع البيان)، والإتقان ج١ ص١٢، وإحقاق الحق ج٣ ص٢٨٠ ـ ٢٨٤، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٣٦، وينابيع المودة ص١٠٤ و ١٠٣.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٦٩ عن عبد الرزاق، وابن المنذر عن الزهري.

(٣) راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٣٠٨ و٣١٠ و٣٠٧، ومناقب ابن المغازلي الحديث رقم٣٦١، والخصائص ص٢٦، وغاية المرام ص٣٥٧ و ٣٦٠ =

ومن الطريف هنا ما جاء عن أبي صالح، في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: رجل من قريش، هو علي ولكن لا نسميه[1].

لماذا لا تسميه أيها الرجل؟ ولماذا تكتم الحق، وأنت تعلم؟ أليس ذلك خوفاً من الرمي بالتشيع، المساوي للرمي بالزندقة، ثم البلاء والشقاء من أعداء علي وأهل بيته، الذين كانوا هم أصحاب الملك والسلطان؟! حتى لقد قال الشاعر:

ومتى تولى آل أحمد مسلم ... قتلوه أو وصموه بالإلحاد[2]

ملاحظتان:

الأولى: إننا لا نستبعد أن يكون معاوية وحزبه الذين كان ابن سلام يهتم في دعمهم وتأييد سلطانهم، قد كانوا وراء إعطاء هذه الفضيلة لعبد الله بن سلام.

ويدل على ذلك: ما روي عن قيس بن سعد بن عبادة، قال: ﴿وَمَنْ

= و ١٠٤ عن تفسير الثعلبي والحبري مخطوط، ودلائل الصدق ج٢ ص١٣٥ عن ينابيع المودة ص١٠٢ ـ ١٠٥ ونقل عن أبي نعيم، وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٣٦٢ ـ ٣٦٥ وج٣ ص٤٥١ و ٤٥٢ متنا وهامشا، وج٣ ص٢٨٠ ـ ٢٨٥ متناً وهامشاً، وج٢٠ ص٧٥ ـ ٧٧ عن العديد من المصادر، والعمدة لابن بطريق ص١٢٤، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٣٦.

(١) شواهد التنزيل ج١ ص٣١٠. وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٣٦٤.

(٢) راجع كتاب: حياة الإمام الرضا السياسية للمؤلف، فصل سياسة العباسيين ضد العلويين، ورسالة الخوارزمي لأهل نيسابور في مجموعة رسائل الخوارزمي.

عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: علي.

قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام.

قال سعد: أنزل الله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأنزل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الآية الثانية، عليّ، لأنه نصّبه «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فسكت معاوية، ولم يستطع أن يردها[1].

الثانية: إن مما يلفت النظر هنا: أن نجد هذا الذي تنسب إليه فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويدعى زوراً: أنه هو المعني بها ـ نجده ـ على الدوام من أعوان خصوم علي «عليه السلام»، ومن الممالئين لأعدائه، ولم يبايع له حينما بويع بالخلافة[2].

ولعل هذا هو السر في الاهتمام بشأنه، وإظهاره على أنه شخصية لها شأن ومقام، وقدم، بل وفضل، في إثبات صدق النبي «صلى الله عليه وآله»، وصحة ما جاء به.

ويذكر أبو رية: أن ابن سلام هذا كان يدخل من إسرائيلياته في الإسلام[3].

وقد كان اليهود يبغضون جبرائيل «عليه السلام»، ولعل هذا هو السر في أن عبد الله بن سلام يفسر اللهو في آية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾.

---

(١) ينابيع المودة ص١٠٤ وكتاب سليم بن قيس.

(٢) راجع: بالنسبة لعدم بيعته لعلي «عليه السلام»: شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٩.

(٣) راجع: شيخ المضيرة، وأضواء على السنة المحمدية.

فيقول: كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله، فقد ورد: أن جبرائيل كان يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في صورة دحية هذا[1].

هذا، ويجب التذكير بأن بعض الخلفاء، ولا سيما عثمان، كانوا يستشيرونه في أمور هامة، فيشير عليهم بما يراه.

وقد دافع عن عثمان وهو محصور بلسانه ولكنه لم ينصره بيده[2] رغم وعده له بذلك.

وقد اعتبره المحاصرون لعثمان أنه لا يزال على يهوديته، فحاول أن ينفي ذلك عن نفسه[3].

بل كان هو وكعب الأحبار، وغيرهما من زعماء اليهود والنصارى، الذين أظهروا الإسلام، مصدراً للكثير من المواقف الخطيرة في الدولة الإسلامية، وكانا بمثابة مستشارين للهيئة الحاكمة في كثير من الشؤون.

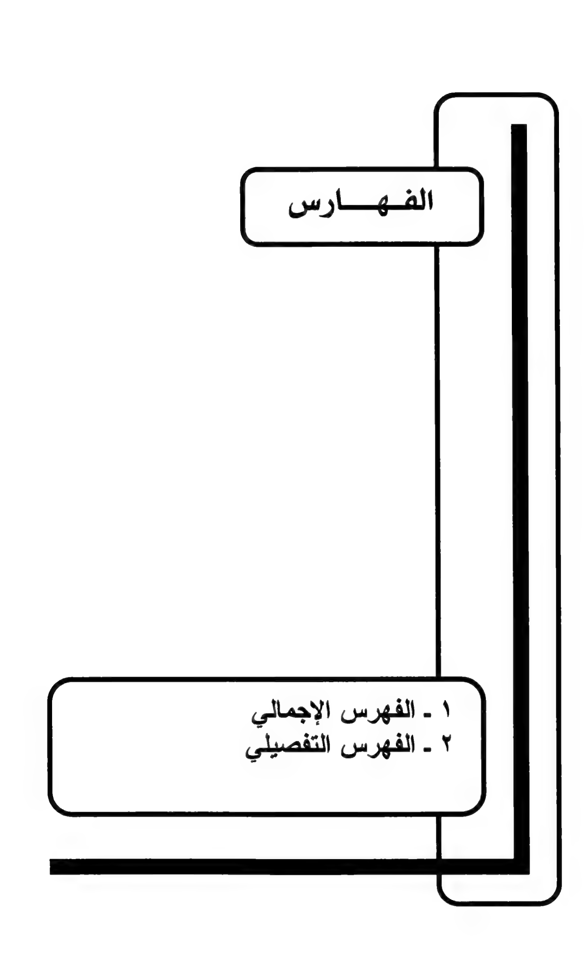
وبعد.. فإننا نسأل الله أن يوفقنا لنشر كتاب يرتبط بأثر أهل الكتاب في السياسة والعقائد، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك.

---

(١) راجع: التراتيب الإدارية ج١ ص١٩٠.

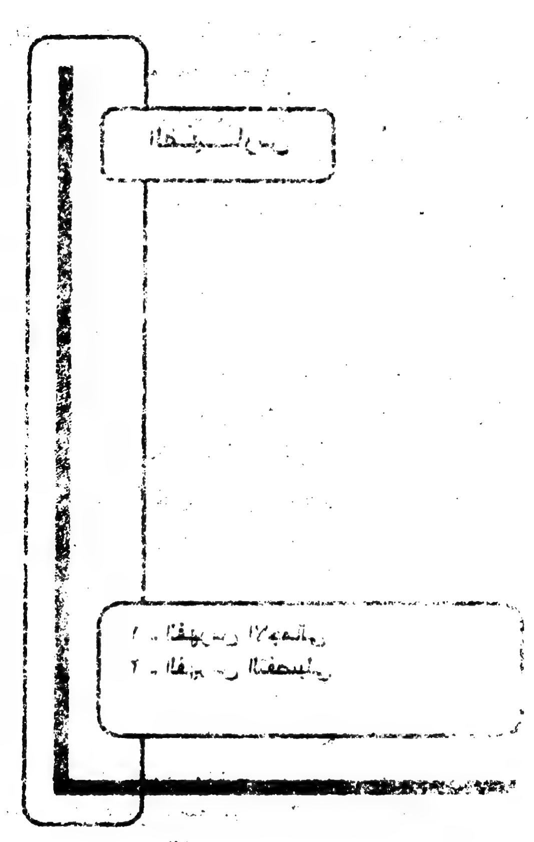
(٢) راجع أقواله في: المصنف للصنعاني ج١١ ص٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦، وفي هامشه عن ابن سعد في طبقاته ج٣ ص٨٣، وحياة الصحابة ج٣ ص٥٤٠، ومجمع الزوائد ج٩ ص٩٢ و ٩٣ وراجع الإصابة ج٢ ص٣٢١.

(٣) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٢٢٣ و ٢٢٤.



الفـهــــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي



١ ـ الفهرس الإجمالي

الفصل السابع: أبو طالب عليه السلام .... ٥ ـ ٦٨

الباب الثالث: من وفاة أبي طالب عليه السلام حتى الهجرة إلى المدينة

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف .... ٧١ ـ ٨٤

الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة .... ٨٥ ـ ١٢٠

الفصل الثالث: بيعة العقبة .... ١٢١ ـ ١٤٤

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة

الفصل الأول: إبتداء الهجرة إلى المدينة .... ١٤٧ ـ ١٧٢

الفصل الثاني: هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .... ١٧٣ ـ ٢٦٦

الفصل الثالث: إلى قباء .... ٢٦٧ ـ ٢٩٠

الفصل الرابع: حتى المدينة .... ٢٩١ ـ ٣٢٢

القسم الرابع: من الهجرة إلى بدر

الباب الأول: في المدينة وقضايا أخرى

الفصل الأول: النبي صلى الله عليه وآله في المدينة .... ٣٢٧ ـ ٣٤٢

الفهارس .... ٣٤٣ ـ ٣٥٨

[illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] .... [illegible]

[illegible] .... [illegible]

٢ـ الفهرس التفصيلي

الفصل السابع: أبو طالب عليه السلام

المبحث الأول: أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش

إيمان أبي طالب عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام: ٧

أهل البيت عليهم السلام أدرى: ٨

تآليف في إيمان أبي طالب عليه السلام: ٩

من أدلة إيمان أبي طالب عليه السلام: ١٠

أهل البيت عليهم السلام أعرف: ١٠

التضحيات والمواقف: ١٠

تشنيع الأعداء: ١١

أشعاره الصريحة بالإيمان: ١١

مدائح أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: ١٣

النار محرمة على أبي طالب عليه السلام: ١٥

النبي صلى الله عليه وآله يحب عقيلاً حبين: ١٥

كان على دين الله: ١٦

المسلم المؤمن: ١٦

خلاصة جامعة: ١٧
رواياتهم تدل أيضاً على إيمانه: ١٨
النبي ﷺ يرجو الخير لأبي طالب عليه السلام: ١٨
أبو بكر فرح بإسلام أبي طالب عليه السلام: ١٨
التشهد قبل الموت: ١٩
استغفار النبي ﷺ لـه: ١٩
تشييع جنازته ومراسم دفنه: ٢٠
لماذا لم يأمر بالصلاة عليه؟: ٢١
رثاء علي عليه السلام لأبيه: ٢٢
ولا أبو سفيان كأبي طالب عليه السلام: ٢٢
أبو طالب عليه السلام الداعية إلى الإسلام: ٢٣
الاعتراف بممارسة التقية: ٢٤
موقف النبي ﷺ من أبي طالب عليه السلام: ٢٤
أنا على دين أبي طالب عليه السلام: ٢٥
شفاعة النبي ﷺ لـه: ٢٥
إقراره على زواجه بمسلمة: ٢٥
من لم يقر بإيمان أبي طالب عليه السلام: ٢٦
دفاع النبي ﷺ عن أبي طالب عليه السلام: ٢٦
بعد قتل الفرسان الثلاثة: ٢٧

غضب النبي صلى الله عليه وآله لأبي طالب عليه السلام: ٢٩
وما لأحد عنده من نعمة تجزى: ٢٩
ملاحظة: معالجة رواية الكشي: ٣١

البحث الثاني: أبو طالب عليه السلام المظلوم المفترى عليه

الأدلة الواهية: ٣٣
١ ـ حديث الضحضاح: ٣٣
٢ ـ إرث عقيل لأبي طالب عليه السلام: ٣٨
٣ ـ آية: ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾: ٣٩
٤ ـ آية النهي عن الاستغفار للمشرك: ٤٣
ملاحظة: ٤٨
٥ ـ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: ٤٩
٦ ـ ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: ٥١
٧ ـ الذي ينجي من الوسوسة: ٥٢
أبو بكر حين أسلم أبوه: ٥٣
أبو طالب عليه السلام الشيخ المهتدي: ٥٤
هل صلى أبو طالب عليه السلام؟: ٥٥
أبو طالب عليه السلام خير الأخيار: ٥٦
خطابيات وأرجاز المديني: ٥٧

البحث الثالث: مؤمن آل فرعون

سرية إيمان أبي طالب عليه السلام: ٥٩
لا بد من كتمان الإيمان: ٦٠
مفارقات محيِّرة: ٦١
ذنب أبي طالب عليه السلام الذي لا يغفر: ٦٢
مفارقات.. ذات دلالة: ٦٥
حال أبي طالب عليه السلام حال رسول الله صلى الله عليه وآله: ٦٦
أبو لهب ونصرة النبي صلى الله عليه وآله: ٦٦
سر افتعال الرواية: ٦٧

الباب الثالث: من وفاة أبي طالب عليه السلام حتى الهجرة إلى المدينة

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف

لا بد من تحرك جديد: ٧٣
الهجرة إلى الطائف في كلمات المؤرخين: ٧٤
هجرات أخرى له صلى الله عليه وآله: ٧٦
١ ـ ما ذكر عن عداس: ٧٦
٢ ـ دخوله صلى الله عليه وآله مكة بجوار: ٧٨
٣ ـ إسلام نفر من الجن: ٧٩
٤ ـ الطائف وعلاقاتها بمن حولها: ٨١
٥ ـ الإسلام دين الفطرة: ٨٢

٦ ـ هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!........................ ٨٣

الفصل الثاني: حتى بيعة العقبة

المجاعة: ٨٧
عرض الإسلام على القبائل:.................................. ٨٨
بنو عامر بن صعصعة، ونصرة النبي ﷺ: ٩٠
١ ـ الأمر لله: ٩٢
٢ ـ سمو الهدف، والنظرة الضيقة: ٩٢
٣ ـ الدين، والسياسة: ٩٣
٤ ـ نتائج عرضه ﷺ دعوته على القبائل:........................ ٩٤
زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة:................................ ٩٥
١ ـ سن عائشة: ٩٦
من طرائف الروايات الموضوعة:........................... ١٠٢
٢ ـ جمال عائشة وحظوتها:.............................. ١٠٤
٣ ـ حسد وغيرة عائشة: ١٠٦
أ ـ خديجة عليها السلام: ١٠٦
ب ـ زينب بنت جحش. ١٠٧
ج ـ أم سلمة:....................................... ١٠٩
د ـ صفية بنت حيي بن أخطب: ١٠٩
هـ ـ جويرية بنت الحارث:............................. ١١٠

و ـ مارية القبطية:............................ ١١١

ز ـ سودة بنت زمعة:............................ ١١٢

ح ـ أسماء بنت النعمان: ١١٢

ط ـ مليكة بنت كعب: ١١٣

ي ـ أم شريك: ١١٣

ك ـ شراف بنت خليفة:............................ ١١٣

ل ـ حفصة بنت عمر:............................ ١١٤

نهاية المطاف:............................ ١١٤

وماذا بعد؟! ١١٥

دخول الإسلام إلى المدينة:............................ ١١٧

١ ـ إخبارات أهل الكتاب: ١١٩

٢ ـ المشاكل بين الأوس والخزرج: ١٢٠

٣ ـ تعاليم الشريعة السمحاء:............................ ١٢١

٤ ـ المدنيون والمكيون:............................ ١٢٢

الفصل الثالث: بيعة العقبة

بيعة العقبة الأولى: ١٢٧

دعوة سعد بن معاذ قومه: ١٢٩

البيعة: ١٣١

صلاة الجمعة: ١٣١

بيعة العقبة الثانية: ١٣٣
أبو بكر في العقبة: ١٤١
حمزة وعلي عليهما السلام في العقبة: ١٤١
سرية الاجتماع، والتقية. ١٤٣
شروط البيعة: ١٤٤
لماذا النقباء؟! ١٤٤
المشركون في مواجهة الأمر: ١٤٥
منازعة الأمر أهله: ١٤٦
النبي صلى الله عليه وآله لم يؤمر بالحرب بعد: ١٤٧

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة

الفصل الأول: إبتداء الهجرة إلى المدينة

حب الوطن من الإيمان: ١٥٣
دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة: ١٥٦
سر اختيار المدينة: ١٦٠
المؤاخاة بين المهاجرين: ١٦٦
إبتداء هجرة المسلمين إلى المدينة: ١٦٨
المثل الأعلى: ١٦٨
هجرة عمر بن الخطاب: ١٦٩
ما هي الحقيقة إذاً؟! ١٧٣

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟ ١٧٤
قريش والهجرة: ١٧٤

الفصل الثاني: هجرة الرسول الأعظم ﷺ

المؤامرة: ١٧٩
مبيت علي عليه السلام، وهجرة النبي ﷺ: ١٨١
قريش في طلب النبي ﷺ: ١٨٦
الراحلتان بالثمن: ١٨٧
أداء الأمانات: ١٨٧
نفقات الهجرة: ١٨٨
شعر علي عليه السلام بمناسبة المبيت: ١٨٩
المثل الأعلى للتضحية: ١٨٩
المبيت، والخلافة: ١٩٠
قريش، وعلي عليه السلام: ١٩١
قريش والمبيت: ١٩٣
مقايسة: ١٩٤
إرادة الله: ١٩٤
لماذا التدخل الإلهي؟! ١٩٦
بين النظرة المصلحية والواقع: ١٩٧
الأرض والمبدأ: ١٩٩

ومن معطيات الهجرة أيضاً: ٢٠٠
أبو طالب عليه السلام في حديث الغار: ٢٠٠
مع آية الغار: ٢٠١
كلام الجاحظ، وما فيه: ٢٠٧
ماذا يقول المفيد هنا، وبماذا يجيبون؟! ٢٠٩
سؤال يحتاج إلى جواب: ٢١١
تحير أبي بكر في حراسته للنبي صلى الله عليه وآله: ٢١٢
التأكيد على موقف أبي بكر ٢١٣
من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؟! ٢١٣
كذبة مفضوحة: ٢١٦
وابن تيمية ماذا يقول؟! ٢١٧
وعن قضية صهيب نقول: ٢٢٢
تسمية أبي بكر بالصديق: ٢٢٧
متى كان وضع هذه الألقاب: ٢٣٤
الراحلتان: ٢٣٤
ما هي الحقيقة؟! ٢٣٦
الخروج من خوخة أبي بكر للهجرة: ٢٣٧
قريش في طلب أبي بكر: ٢٣٩
الانتظار إلى الصباح: ٢٤٠

شراء أبي بكر للموالي!! ونفقاته!! ٢٤١
١ ـ عامر بن فهيرة: ٢٤٣
٢ ـ أبو قحافة الأعمى: ٢٤٣
٣ ـ مع أدوار لأسماء أيضاً وغيرها ٢٤٤
٤ ـ حديث سد الأبواب، وخلة أبي بكر: ٢٤٧
٥ ـ ثروة أبي بكر: ٢٤٨
إشارة عامة: ٢٥٢
اللصوص المهرة: ٢٥٨
كلمة أخيرة حول ما يقال عن ثروة أبي بكر: ٢٥٩
التزوير، والتحوير: ٢٦٠
تجلي الله لأبي بكر: ٢٦١
كلام هام حول الفضائل: ٢٦١
ما أنت إلا إصبع دميت: ٢٦٣
عمدة فضائل أبي بكر: ٢٦٥
عثمان حين قضية الغار: ٢٦٨
يوم الغار، ويوم الغدير: ٢٦٨
الكلمة الأخيرة في حديث الغار: ٢٧٠

الفصل الثالث: إلى قباء

في الطريق إلى المدينة: ٢٧٣

الكرامات الباهرة بعد الظروف القاهرة: ٢٧٥
والخلاصة: ٢٧٦
هجرة أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٧٦
السياسة الحكيمة: ٢٧٩
كتاب تبع الأول: ٢٨٠
أبو بكر شيخ يعرف: ٢٨٠
رأي العلامة الأميني: ٢٨٥
النفاق في مكة: ٢٨٦
ملاحظة هامة على ما تقدم: ٢٩٢

الفصل الرابع: حتى المدينة

بـدايـة: ٢٩٧
غناء أهل المدينة، والنبي صلى الله عليه وآله يرقص بأكمامه: ٢٩٧
المناقشة: ٢٩٩
١ ـ ثنية الوداع من جهة الشام: ٢٩٩
٢ ـ استدلال عجيب: ٣٠١
٣ ـ ترقيص الأكمام: ٣٠١
أدلة حلية الغناء: ٣٠٢
نقض أدلة حلية الغناء: ٣٠٣
أقوال العلماء في الغناء: ٣١٣

الغناء عند أهل الكتاب: ٣١٤
سر الوضع والاختلاق: ٣١٥
نزول رسول الله صلى الله عليه وآله في قباء: ٣١٨
تأسيس مسجد قباء: ٣١٩
أحجار الخلافة: ٣٢٠
أول مسجد في الإسلام: ٣٢٠
صلاة الجمعة في قباء: ٣٢١

القسم الرابع: من الهجرة إلى بدر

الباب الأول: في المدينة وقضايا أخرى

الفصل الأول: النبي صلى الله عليه وآله في المدينة

ورود النبي صلى الله عليه وآله المدينة: ٣٢٩
منزل النبي صلى الله عليه وآله في المدينة: ٣٣١
ابن سلام والإسلام: ٣٣٣
ملاحظتان: ٣٤٠

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي ٣٤٥
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٤٧